



عمادة الدراسات العليا  
جامعة القدس

"شعر الحنين في العصر المملوكي الأول (648-784هـ) في مصر والشام"

دراسة موضوعية وفنية

ياسر جميل خليل العساكرة

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1434هـ / 2013م

"شعر الحنين في العصر المملوكي الأول (648-784هـ) في مصر والشام"

دراسة موضوعية وفنية

إعداد:

ياسر جميل خليل العساكرة

بكالوريوس لغة عربية من جامعة الخليل

إشراف الدكتور : إبراهيم نمر موسى

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية  
وآدابها من دائرة اللغة العربية

2013/هـ1434م



جامعة القدس  
عمادة الدراسات العليا  
برنامج الماجستير/دائرة اللغة العربية وآدابها

إجازة الرسالة

## شعر الحنين في العصر المملوكي الأول (648-784هـ) في مصر والشام

: دراسة موضوعية وفنية

إعداد الطالب : ياسر جميل خليل العساكرة  
الرقم الجامعي : 20714052

المشرف : الدكتور : إبراهيم نمر موسى  
نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 2013\4\6 من أعضاء لجنة النقاش المدرجة أسماؤهم  
وتواقيعهم :

التوقيع.....  
التوقيع.....  
التوقيع.....

- 1- رئيس لجنة المناقشة : الدكتور إبراهيم نمر موسى
- 2- ممتحناً داخلياً : الدكتور مشهور الحبّازي
- 3- ممتحناً خارجياً : الدكتور رائد عبد الرحيم

القدس - فلسطين  
1434هـ - 2013م

## إقرار

أقرُّ أنا مقدِّم هذه الرِّسالة أنَّها قُدِّمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير ، وأنَّها نتيجة أبحاثي الخاصة ، باستثناء ما تمَّ الإشارة له حيثما ورد، وأنَّ هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يُقدِّم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

الاسم : ياسر جميل خليل العساكرة

التوقيع :

التاريخ : 2013/4/6

## الإهداء

إلى الأكرم منّا جميعاً شهداء فلسطين

إلى من قال الله تعالى فيهما:

" وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا " : إلى أمي وأبي

إلى رفيقة دربي وأبنائي

## الشكر

أُتقدم بعظيم شكري وتقديري إلى أستاذي وشيخي الدكتور: إبراهيم نمر موسى الذي اتسع صدره لي بالإشراف على هذه الرسالة، فهو لم يبخل عليّ بالنصح والإرشاد، جزاه الله خير الجزاء.

كما لا أنسى فضل أستاذتي الأعضاء في دائرة اللغة العربية وآدابها بجامعة القدس جميعاً، لما قدّموه من تشجيع ومساندة، فبارك الله فيهم، وجزاهم خير الجزاء .

## المخلص

تناولت الدراسة " شعر الحنين في العصر المملوكي الأول (648هـ - 784هـ)، في مصر والشام"، ومن الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار الموضوع ، عدم وجود دراسة مستقلة وافية تناولته سابقاً والرغبة في تتبع نتاج الشعراء من شعر الحنين في هذا العصر، وإبراز ما فيه من إبداعات تُظهر القدرة والموهبة الشعرية لهم ، والرد على من حاول وصم هذا العصر بالجمود والتخلف.

وتظهر أهمية الموضوع إلى ما سيضيفه من جديد، حيث سيتناول موضوعاً يتصل بعاطفة الناس ومشاعرهم، وهو الحنين بموضوعاته المتعددة، منها الحنين إلى الأوطان، والأهل، والمحبوب، والذكريات، وبواعث شعر الحنين من برق ونسيم وحمام ودموع، ثم الدراسة الفنية.

اعتمدت الدراسة على المنهج التكاملي؛ فتستعين بالتاريخي في دراسة الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وبالنفسي في التعرف إلى نفسية الأديب، و الوصفي والتحليلي في التعامل مع النصوص وتحليلها، والاستقرائي في استقراء النصوص الشعرية التي تناولت موضوع الحنين. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن الحنين شكل غرضاً قائماً بذاته عند بعض الشعراء في كثير من قصائدهم، ويعد الحنين إلى الأوطان أكثر الموضوعات تردداً في هذا الشعر وظهر لون جديد من الحنين نتيجة للفقر والبؤس والحرمان عند شعراء الحرف والمجتمع، وهو الحنين إلى الطعام والملبس والحيوان، وتميز الحنين بصدق العاطفة والبُعد عن التكلف والتعقيد، وجاءت ألفاظه سهلة واضحة معبرة.

يوصي الباحث بتتبع شعر الحنين في العصر المملوكي الثاني، لتكتمل حلقات هذا البحث، وتتكشف ما فيه من إبداعات شعرية ومواهب تردُّ على كل من وصفه بالجمود والضعف.

# **A Substantive And Technical Study of The Poetry of Nostalgia in The First Mamluke Era (648-784 AH) in Egypt And The Levant Area**

**Student Name: Yasser Jamil Asakra**

**Supervisor: Ibrahim Musa**

## **Abstract**

The study addressed the Poetry of Nostalgia in the First Mamluke Era (648-784 AH) in Egypt and in the Levant area. The reasons that encouraged the researcher to choose this topic is the lack of an independent and complete study addressed this topic before ,and the desire to follow and examine ‘Nostalgia’ in the products of the modern poets and show their talents in this kind of poetry, to respond on those who described that era of solidity and tardiness.

The significance of this study indicates to its new additions. It accosted the people’s passions and emotions and dealt with different kinds of Nostalgia such as, homesickness, the family, dearly loved, memories and the emitters that stand behind the poetry of Nostalgia like lightning, breeze, doves, tears, beside its technical study.

To achieve his aim, the researcher depended on the integrative approach, so sometimes he used history to study and analyze social, political and economic issues, the psychological approach to identify the writer psychological status, the analytical and descriptive approach to deal with the texts and their analysis, and the inductive approach to induce the poetic texts that deal with Nostalgia.

The study findings indicate that Nostalgia formed a self-standing intent to some poets in many of their poems, but homesickness is considered the most used one in this kind of poetry. Another kind of Nostalgia appeared as a result of poverty, misery and deprivation



with crafts and community poets showed their longing to food, clothes and animals, this kind of poetry is characterized by its honest emotions and by being away from sophistication and complexity, therefore; its words were easy, clear and expressive.

The researcher recommends to follow and depict Nostalgia poetry in the second Mamluke era to complete the episodes of this research, to reveal its poetic creations and talents, and to respond on those who described it as solidity and tardiness.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد شغل العصر المملوكي الكثير من الباحثين، الذين تناولوا الكثير من موضوعاته الأدبية بالدراسة، فبحثوا في شعر الطبيعة، والسخرية، والرثاء، وغيرها من الموضوعات، إلا أن موضوع الحنين بقي غائباً عن الدراسة المستقلة، ما عدا بعض الصفحات في ثنايا مؤلفات هذا العصر، لذا كان الدافع الأول وراء هذه الدراسة، هو الرغبة في تناول هذا الموضوع بالدراسة، وتتبع نتاج الشعراء في هذا الشعر، لذلك جاء عنوان الدراسة: "شعر الحنين في العصر المملوكي الأول 648-784هـ" في مصر والشام: دراسة موضوعية وفنية"، والدافع الثاني، هو الرغبة في إبراز ما في هذا العصر من قصائد شعرية ومقطعات وإبداع شعري يرد على بعض من يتهمه بالانحطاط والجمود والبعد عن الإبداع الشعري. هذا وقد استثنيت حنين الأندلسيين والمرتلين من الأندلس، والمديح النبوي، ورثاء المدن من الدراسة، لما كتب فيها من دراسات مستقلة، مثل المدائح النبوية، ورسالة لآمنة بدوي بعنوان "شعر النازحين"، واقتصرت دراستي كما أسلفت على الحنين في مضامين أخرى.

أما أهمية الموضوع، فترجع إلى ما سيضيفه من جديد، حيث سيتناول موضوعاً يتصل بعاطفة الناس ومشاعرهم، فالحنين من العواطف الإنسانية التي عبّر عنها الشعراء قديماً وحديثاً، فحنوا إلى أوطانهم وأهلهم ومحباتهم، ودفعهم إلى الحنين إلى الديار والأهل والأحبة بعدهم طلباً للرزق، أو العلم أو النفي والطرده، ويعد الوقوف على الأطلال من أقدم مظاهر الحنين إلى الأوطان.

من الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع، كتاب " آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي " لياسين الأيوبي، ودراسة للطالب موسى النجادي بعنوان " وصف الطبيعة في العصر المملوكي الأول" ، ورسالة أخرى بعنوان " الحنين والغربة في الشعر الأندلسي" لمها روعي الخليلي، ورسالة تناولت شعر النازحين والمرتحلين من الأندلس إلى المشرق، وقد أفدتُ من بعض هذه الدراسات في منهجية البحث وتناول الموضوع .

لا بدَّ لأي باحث من صعوبات تعترض طريقه، ومن أهم ما واجهته من صعوبات الوصول إلى بعض الدواوين، وعدم توفر بعض المصادر والدراسات الحديثة في مكتباتنا، فكثير من النصوص الشعرية عثرت عليها بين ثنايا المصادر القديمة، التي تناولت هذه الحقبة من الزمن .

أما منهج الدراسة، فقد اتبعت المنهج التكاملي ، فاستعنت بالمنهج التاريخي في دراسة الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في هذا العصر، والنفسي في التعرف إلى نفسية الأديب في حنينه إلى بلده أو محبوبه أو ماضيه وذكرياته، و الوصفي والتحليلي في تحليل النصوص، والاستقرائي في استقراء النصوص الشعرية التي تناولت موضوع الحنين.

أما أقسام الدراسة، فكانت في مدخل وثلاثة فصول وخاتمة؛ ففي المدخل : تناولت جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العصر المملوكي الأول، ثم تناولت موضوع الحنين لغة واصطلاحاً، ثم شعر الحنين على مرّ العصور ، وأسباب الحنين.

أما الفصل الأول، فعنوانه " موضوعات شعر الحنين" فجاء في أربعة مباحث، هي المبحث الأول: الحنين إلى الأوطان، ثمَّ الثاني بعنوان الحنين إلى الأهل والأصدقاء، وجاء مقسماً إلى :الحنين إلى الأهل والحنين إلى الأب والحنين إلى الأبناء و الحنين إلى الأصدقاء، ثم المبحث الثالث: الحنين إلى

المحبوبة، والمبحث الرابع : أنواع أخرى من الحنين ، ويشمل: الحنين إلى الماضي ، و الحنين إلى الأماكن المقدسة، والحنين إلى الطعام والملبس والحيوان، وخصوصاً عند شعراء الحرف والمجتمع. والفصل الثاني، "مثيرات شعر الحنين" ،وجاء في أربعة مباحث: البرق ثم النسيم والحمام والدموع.

والفصل الثالث، " الدراسة الفنية" ويقسم إلى خمسة مباحث ، الأول بناء القصيدة، و الثاني اللغة والأسلوب، الثالث الصورة الشعرية، والرابع: المحسنات البديعية، و الخامس: الموسيقى. أما أهم المصادر والمراجع فهي ، فقد أفدتُ من كتب المقرئزي " السلوك " و"إغاثة الأمة" في دراسة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي مجال التراجم أفدت من فوات الوفيات للكتبي، والوافي بالوفيات وأعيان العصر، للصفدي، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، فقد تتبعت ترجمة الشعراء وبعض أشعارهم في هذه التراجم، وشكَّلت دواوين بعض الشعراء المورد لاستقصاء شعر الحنين، مثل: ديوان التلعفري، و ابن نباته، و البوصيري، وصفي الدين الحلبي ،وابن قزل، ومختارات ابن دانيال، وغيرهم. وأفدت من كتاب آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي لياسين الأيوبي، وكتاب الغربية والحنين في الشعر العربي، ليحيى الجبوري.

وأفدت من بعض المقالات المنشورة ، والرسائل الجامعية المختلفة؛ منها مقال لعبده بدوي بعنوان " الغربية المكانية في الشعر العربي " ورسالة للدكتور عبد المنعم الرجيبي بعنوان : "الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي"، ورسالة "الحنين في الشعر الأندلسي" لمحمد أحمد دقالي وغيرها. وبعد ذلك ختمت الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها، بعد جولتي مع شعر الحنين في العصر المملوكي الأول .

**الباحث**

مدخل

لا بد للباحث عند دراسة قضية أدبية في العصر المملوكي الأول، أن يقف على بعض الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية لهذا العصر، من هذه الجوانب:

### أولاً : الحياة السياسية

المملوك عبدٌ يباع ويشترى، غير أن التسمية اقتصرَت على فئة من الرقيق الأبيض ، يشتره الحكام من أسواق النخاسة البيضاء، لتكوين فرق عسكرية خاصة، ثم أصبح المملوك الأداة الحربية الوحيدة في بعض الدول، مثل دولة المماليك في مصر والشام ، ومعظم المماليك أرقاء جلبوا عن طريق الأسر والحروب . (1)

و"ساعد على انتشار المماليك بشكل واضح في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة (ت589هـ)، الخلافات والصراعات التي دبَّت بين الحكام الأيوبيين، فاستقوى كل حاكم بمماليكه،<sup>(2)</sup> وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب(ت 647هـ) أكثر من جمعهم حوله، حتى قال بعضهم في ذلك<sup>(3)</sup>:

الصَّالِحُ الْمُرْتَضَى أَكْثَرُ مَمَالِكِنِ  
تَرْكِيٍّ يَشْرِي مَجَالِبِ  
لَا آخِذَ اللَّهُ أَيُوبِيًّا  
بِقَعَاتِهِ فَالْتَمَسَ كُلُّهُمْ فِي ضَرِّ أَيُوبِ

ويظهر من الأبيات السابقة كيف بالغ نجم الدين أيوب في الإكثار من جلب المماليك، الأمر الذي رأى فيه الكثير من الناس شراً خالصاً، ومع ذلك استمر نجم الدين في استحضارهم وبالأخص الأتراك منهم .

(1) ينظر: أحمد العبادي، قيام دولة المماليك في مصر والشام، ص11.

(2) نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل وله سير وأوصاف جميلة حميدة، وهو ممدوح الصفي الحلبي، وباني المدرسة بين القصرين المعروفة بالصالحية، النصف من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة بالمنصورة، وحمل إلى القاهرة.

ينظر : سير أعلام النبلاء: ج123 \ 233 وسمط النجوم العوالي ، ج289 \ 2

(3) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 222 \ 2

انتهى حكم الأيوبيين في مصر بمقتل توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب (ت 648هـ)<sup>(1)</sup> وتولي شجر الدر الحكم، فهي أول حكام دولة المماليك البحرية، "إذ كانت تركية الجنس، وقيل بل أرمنية، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده بحيث كان لا يفارقها سافراً ولا حضراً"<sup>(2)</sup>، فاجتمع أعيان الدولة وأهل المشورة، واتفقوا على إقامة شجر الدر، وأن تكون العلامات السلطانية على التواقع تبرز من قبلها، وأن يكون الأمير عز الدين أيوب التركماني الصالحي أحد المماليك البحرية مقدم العسكر، وكان الخطباء يقولون في الدعاء: "اللهم أدم سلطان الستر الرفيع، والحجاب المنيع، ملكة المسلمين، والدة الملك الخليل،"<sup>(3)</sup> وهكذا حكمت شجر الدر المسلمين في مصر ثمانين يوماً، ضرب فيها اسمها على الدنانير، ودعي لها على المنابر، ولكنها تخلت عن الحكم بعد أن بعث الخليفة المستعصم بالله كتاباً إلى مصر أنكر فيه أن تبقى امرأة في الحكم، فقال: "إن كانت الرجال قد عدت عندكم، فاعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً".<sup>(4)</sup>

يبدو أن شجر الدر كانت تتحرج من ذكر اسمها صراحة في المناسبات الرسمية، فضلاً عن أنها أرادت أن تضيفي على حكمها صبغة شرعية، فهي تارةً تتمسح بالخلافة العباسية

(1) الملك المعظم (000 - 648 هـ) تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد: ثامن سلاطين الدولة الأيوبية بمصر، وآخرهم، وثالث من سمي (الملك المعظم) منهم. وجد ملوك حصن كيفا كانت إقامته في حصن كيفا (بديار بكر) نائباً عن أبيه. ولما توفي أبوه سنة 647 وكتمت (شجرة الدر) خبر موته، استدعته، فجاء إلى مصر. والحرب ناشبة بين المصريين والفرنسيين على أبواب (المنصورة) فلبس خلة السلطان (بعد أربعة أشهر من وفاة أبيه) وقاتل الفرنج، فهزمهم واسترد دمياط. ثم تنكر لشجرة الدر، فحرضت عليه المماليك البحرية فقتلوه في (فارسكور) ومدة سلطنته نحو 40 يوماً لم يدخل فيها القاهرة ولم يجلس على سرير الملك بقلعة الجبل. وبمقتله انقضت دولة بني أيوب بمصر. ومدتها نحو 86 سنة ينظر: الأعلام 2\90، السلوك 1\125،

(2) ينظر: المقرئ، السلوك في معرفة دول الملوك، 1/118.

(3) ينظر: المقرئ، م، ن، 1/118.

(4) ينظر: المقرئ، م، ن، 1/118.

وتحرص على أن تلقب بالمستعصمية نسبة إلى الخليفة المستعصم، وتارة تتمسك بلقب أم خليل صاحبة الملك الصالح.<sup>(1)</sup>

بعد كتاب الخليفة المستعصم بالله خلعت شجرة الدر نفسها عن السلطة<sup>(2)</sup>

و يمكن القول إن عصر المماليك الحقيقي بدأ بعز الدين أيبك، غير أن هذا الحكم لم يدم طويلاً، حيث تحالفت شجر الدر مع بعض الخدم عليه فقتلته بعد أن رأت اهتمامه بغيرها من النساء، وتخليه عنها، فأل الأمر من بعده إلى ابنه علي الذي كان صغيراً، فاتخذت من سيف الدين قطز وصياً على العرش، وخاض سيف الدين قطز الكثير من الحروب ضد التتار والصليبيين، واستطاع أن يهزم التتار في واقعة عين جالوت سنة ( 658 هـ )، ثم جاء الظاهر بيبرس ليكون قائداً فذاً يكسب قلوب المصريين.

استطاع الظاهر بيبرس أن يكسب ود المصريين حين أعاد الخلافة العباسية التي دمرها التتار سنة (656هـ)<sup>(3)</sup> فوحد كلمة المسلمين، وأضفى على حكمه صبغة شرعية، لكن رغبة المماليك وعادتهم لم تتغير؛ فكل منهم يحاول الوصول إلى السلطة بأية طريقة، وليس من طريقة عندهم سوى الانقلابات والتآمر والقتل، فهذا المملوك يقتل سيده ليحتل مكانه مستعيناً بمماليكه، ثم لا يلبث أن يثب عليه مماليكه والمقربون منه ليقتلوه، ويتولوا مكانه.<sup>(4)</sup>

ومما يجدر ذكره في عصر المماليك هو كثرة الثورات التي قامت بها القبائل العربية؛ وبخاصة في الأقاليم الشرقية والبحيرة والصعيد بمصر، حيث قطعوا الطريق براً وبحراً،

(1) ينظر: سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، 183

(2) ينظر: المقرئ، السلوك في معرفة دول الملوك، 1/ 118

(3) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة 259

(4) ينظر: المقرئ، م، س 1201



فامتتع التجار وغيرهم من السفر، ومن أشهر زعماء تلك الثورات حصن الدين بن ثعلب<sup>(1)</sup>، صاحب مقولة " نحن أصحاب البلاد " وقوله " بأنا أحق بالملك من المماليك، وقد كفى أنا خدمنا بني أيوب، وهم خوارج خرجوا على البلاد " <sup>(2)</sup>

يظهر أن الطابع العام لعصر المماليك البحريةية ومن خلال الأحداث الكثيرة التي رافقت هذا الفترة، هو التنافس والصراع على السلطة الذي لا حدود له ، ثم الفتوحات والانتصارات التي سجلوها على أعدائهم والتي ساهمت في اتساع حدود الدولة ودخول الكثير من الممالك المجاورة في الإسلام، وأصبحت تدين بالطاعة لسلطان مصر . <sup>(3)</sup>

لقد كان للكثير من الأحداث السياسية والثورات أثرها في رحيل كثير من الشعراء من بلدانهم وقراهم إلى مدن وبلدان أخرى ، الأمر الذي دفعهم إلى الحنين والشوق إليها .

---

<sup>(1)</sup> حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير نجم الدين علي بن الأمير الشريف فخر الدين إسماعيل بن حصن الدولة مجد العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبي جميل الجمدي ، ينظر السلوك ، ج1/127

<sup>(2)</sup> المقرئزي: السلوك، 1/ 514

<sup>(3)</sup> ينظر: المقرئزي، السلوك، 1/ 479

## ثانياً : الحياة الاجتماعية

يتألف المجتمع في العصر المملوكي في مصر والشام من فئات بشرية متعددة الأعراق، ومنهم العرب والترک في الشام والقبط في مصر، وجماعة من السودانيين والأرمن، ويتكون هذا المجتمع من سبع فئات ذكرها المقريري :

أ- **الفئة الأولى** : طبقة الحكام وهم المماليك، إذ كانوا طبقة عسكرية متميزة، سيطرت على البلاد وأهلها، لم يختلطوا بأهالي البلاد كثيراً، أحاطوا أنفسهم بسياج يعزلهم عن المحيط، وأدى إحساس المماليك بعزلتهم وعدم انخراطهم في المجتمع إلى شدة الترابط بينهم، كما جعلتهم تلك العزلة يحافظون على أخلاقهم وعاداتهم على مرّ السنين، وهم ليسوا من أصل واحد؛ بل من أصول متعددة، جاءوا إلى البلاد مع تجار الرقيق، وقد تمتع أمراء المماليك بمكانة كبيرة في المجتمع، ومنزلة رفيعة عند السلاطين. (1)

ب- **الفئة الثانية** : المعمون، وهم أرباب العلم والفقهاء والقضاة والأدباء والكتاب، ويطلق عليهم أرباب الأقلام تمييزاً لهم عن غيرهم من الطوائف، وتمتع كثيرٌ منهم بمكانة ونفوذ في الدولة، ويرجع ذلك إلى رغبة السلاطين في تقريبهم إليهم ليستعينوا بهم في إرضاء الشعب، فكان لهذا النفوذ والسطان أثره في كثير منهم، فصمد بعضهم في وجه السلاطين والأمراء، من ذلك ما التمسهُ السلطان شعبان من القاضي أبي البقاء السبكي<sup>(2)</sup>، إبطال وقف، فرفض القاضي، وقال للسلطان في غلظة: اسمع يا مولانا السلطان: إن كنت لا تعرفني فأنا أعرفك بنفسي، ثمّ خرج

(1) ينظر : المقريري، إغاثة الأمة في كشف الغمة، ص58، عاشور، المجتمع المصري في عصر المماليك، 28-32

(2) ابن عبد البر (707 - 777 هـ) محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكي: فقيه شافعي مصري، من العلماء بالعربية والتفسير والادب. ولي قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولي قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولي قضاء دمشق. ولم يجتمع لاحد من معاصريه ما اجتمع له من فنون العلم مع الذكاء المفرط ودقة النظر وحسن البحث وقوة الحجة. ينظر : الأعلام 18416، بغية الوعاة

من حضرة السلطان بلا سلام . (1) ومن أشهر العلماء في هذه الفترة ، عز الدين بن عبد السلام (2) ، وابن دقيق العيد (3) ، وابن تيمية (4) ، وغيرهم الكثير .

ج- **الفئة الثالثة:** التجار، كان لهذه الفئة أثرها في تأسيس المجتمع، نتيجة للنشاط التجاري الكبير بين الشرق والغرب، فعمد السلاطين إلى تقريب التجار منهم، للاستفادة من أموالهم في أوقات الحاجة. (5)

د- **الفئة الرابعة:** الصناع وأرباب الحرف، وهم طائفة كبيرة من العمال والصناع وأصحاب المهن، وكان أصحاب الحرفة الواحدة يكوّنون نقابة، لها نظام ثابت، يحدد عددهم ومعاملاتهم، وكان لكل صناعة من الصنائع عريف يتولى أمرهم (6)

هـ- **الفئة الخامسة:** العوام، وهم جمهور كبير من الباعة والسوقة والسقّائين والمعدمين ، ويطلق عليهم العوام، ويضاف إليهم الحرافيش والزرع ، وكأنهم أفسد العامة، ولذلك يطلق عليهم بعض المعاصرين "أوباش العامة" (7)

و- **الفئة السادسة:** أهل الذمة، وهم يشكلون أقلية ، وخصوصاً الأقباط واليهود، فكان أعظمهم خطراً وأكثرهم عدداً هم الأقباط، الذين كانوا ينالون من المماليك معاملة حسنة، حتى إن بعضهم

(1) ينظر : المقرئزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة ، ص58، عاشور المجتمع المصري في عصر المماليك ، 36-38  
(2) ابن عبد السلام(577 - 660 هـ) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. وزار بغداد سنة 599 هـ فأقام شهراً. ينظر : الأعلام، 214،

(3) ابن دقيق العيد(625 - 702 هـ) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالاصول، مجتهد. ينظر : الأعلام، 283\6

(4) ابن تيمية(661 - 728 هـ) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبح واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدتها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة 712 هـ واعتقل بها سنة 720 وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق. ينظر، الأعلام 144\1

(5) ينظر : المقرئزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة ، ص43-58

(6) ينظر : المقرئزي، م، ن، ص93

(7) ينظر : سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر المماليك ، 57

تقدم على المسلمين في مناصب الدولة، بل إن حالهم الاقتصادية والاجتماعية كانت أحسن من حالة كثير من المسلمين<sup>(1)</sup>

ز- الفئة السابعة: الفلاحون، وهم السواد الأعظم من أهل البلاد، كانت حياتهم الأصعب من بين فئات المجتمع، إذ ارتبطوا بالأرض، يفنون حياتهم في فلاحتها وخدمتها، وليس لهم من خيراتها إلا القليل، ووصفوا بالجهل والتأخر وقذارة المظهر.

ح- الفئة الثامنة: الأعراب والأقليات، كانوا يعيشون حياة منعزلة عن غيرهم من الأعراب، بل وصل الأمر بالأعراب إلى عدم تزويج بناتهم من الفلاحين، حفاظاً على نسبهم، واحتقاراً للفلاحين.<sup>(2)</sup>

---

(1) المقرئزي : المواعظ والاعتبار 1 / 480  
(2) ينظر : سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر المماليك ، 65

### ثالثاً: الحياة الاقتصادية

كانت أمور المعيشة والحياة الاقتصادية في مجملها تتفاوت ما بين الرفاهية والسعة من جهة والفقر والبؤس والحرمان من جهة أخرى ، فطبقة الحكام والتجار عاشت حياة البذخ والسعادة والغنى، في حين عاشت بقية الفئات حياة الفقر والبؤس وذلك لكثرة الحروب و انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة، والكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل وغيرها .

ويرى المقريري أن سبب تردي الأوضاع الاقتصادية في هذا العصر يعود إلى ثلاث علل هي :  
العلّة الأولى : انتشار الرشوة بين أعلى مناصب الدولة، كالوزراء والقضاة، فكان يكفي أن يتوصل أحدهم إلى بعض مرافقي السلطان حتى يعده ببعض المال فيحصل على ما يريد بأسرع وقت .

العلّة الثانية : غلاء الأفيان، واشتداد وطأة الامراء وأصحاب الإقطاعات على الفلاحين وكثرة المغارم، فهجروا الأرض والزراعة وزادت الأسعار عشرة أضعاف .  
العلّة الثالثة: رواج الفلوس وبخاصة العملة النحاسية الصغيرة، لتحل محل الدنانير الذهبية والدرهم

هذه العلل الثلاث التي ذكرها المقريري والتي علل بها الأزمة الاقتصادية ، يضاف إليها اختلال أوضاع الدولة الإدارية والاقتصادية ، الأمر الذي جعل هذه الأزمة لا تزول (1).

أضف إلى ذلك ما كان يرتكبه الأمراء وأصحاب الشأن من ظلم للناس، واحتكار الأموال، وتزييفها والتلاعب بها، وأسهم انخفاض مستوى النيل في إجداب الأرض وجفافها، بينما عاش المماليك وأعوانهم من رجالات الدولة والقائمين على الأمر فيها طبقة مستعلية تنفياً ظلل النعيم،

(1) ينظر : المقريري، إغاثة الأمة في كشف الغمة ، ص60-63

وتلهو بالمال ، بينما الشعب الكادح يزرح في أغلال الفقر، ترهقه الضرائب وتتقل خطوه أعباء الحياة، وتفصل بينه وبين الأمل حواجز من اليأس " . (1)

أما الإقطاع فقد استفحل في عصر المماليك، " حيث نظمت الأراضي في عصر سلاطين المماليك مرتين : المرة الأولى في عهد السلطان حسام الدين لاجين (ت 696هـ) ، والمرة الثانية في عهد الناصر محمد بن المنصور قلاوون سنة(ت715هـ)، وكلاهما اقتصر على توزيع الإقطاعات على السلاطين والأمراء وقادة الجيش ، أما الشعب، فلم يكن له نصيب، يقول في هذا شهاب الدين المؤدب أحمد بن يحيى بن مخلوف (ت785هـ) <sup>(2)</sup>: [الطويل]

وكيف يرومُ الرزقَ في مصر عاقِلٌ      ومن دونه الأتراكُ بالسيفِ

والترسِ

وقد جمعتَه القبطُ من كلِّ جهةٍ      لأنفسهم

بالرُبُعِ والثمنِ والخُمسِ

فلتركِ والسُلطانُ ثلثَ خراجِها

وللقبطِ نصفاً والخلائقُ في السُدسِ <sup>(3)</sup>

"ومن أعظم الأوبئة فتكاً الطاعون عام (749هـ) حيث كثر الموت في الناس، " فكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس إلى عشرين ألف في كل يوم، وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجره، وحمل أكثر الموتى على ألواح من خشب وعلى السلالم والأبواب، وحفرت الحفائر وألقيت فيها الموتى، فكانت الحفيرة يدفن

(1) محمد فوزي ، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي ، 131

(2) أحمد بن يحيى بن مخلوف بن مري بن فضل الله بن سعد بن ساعد الشيخ شهاب الدين الأعرج السعدي المؤدب

الأديب اشتغل بالعلم وتعانى الأدب فمهر وأدب أولاد الأكابر ، الدرر الكامنة، ج3 397

(2) (العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة 356/1

فيها الثلاثون والأربعون وأكثر، وكان الموت بالطاعون يبصق الإنسان دماً ثم يصيح ويموت، ومع هذا عم البلاء كل أجناس بني آدم وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر .

(1)

وفي ذلك يقول ابن نباته<sup>(2)</sup> :

[ الخفيف ]

سِرُّ بِنَا عَن دِمَشْقَ يَا طَالِبَ الْعَيْ — شِ مَا فِي الْمَقَامِ لِلْمَرْءِ رَغْبَةٌ  
رَخُصَتْ أَنْفُسُ الْخَلَائِقِ بِالطَّأَا — عُـونَ فِيهَا  
فَكُلُّ نَفْسٍ بَحْبَةٌ،<sup>(3)</sup>

ولم تكن المجاعات أقل فتكاً بالناس فقد " أصاب الناس مجاعة سنة (695هـ) أكل الناس بسببها الميتة والكلاب، وكثر موت الناس وصاروا يدفنون بلا غسل ولا كفن".<sup>(4)</sup>

أما الزلازل فكان أهمها زلزال سنة (702هـ) الذي شمل الديار المصرية والشامية، فدفع أهل مصر إلى الهرب والفرار إلى الصحراء.

يقول المقرئزي " تفاقم الأمر وجل الخطب وتعاضم الرزء، وعمت البليَّة وطمت، حتى مات من أهل الإقليم بالبرد والجوع ما ينيف على نصف الناس، وعمَّ الموتان حتى نفقت الدواب، وعزَّ وجودها، وبلغت أثمانها حدًّا نستحي من ذكره"<sup>(5)</sup>

من كل ما سبق يتضح أن اقتصاد هذا العصر تأثر بكثير من الكوارث الطبيعية والأحوال السيئة نتيجة الفقر والجوع والغلاء ، بالإضافة إلى الاختلال في النظام الإداري والاقتصادي

(1) المقرئزي : السلوك 152/1

(2) ابن نباته (686 - 768 هـ) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نبأته: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميفارقين، ووفاته في

القاهرة. ينظر : الأعلام ج38\7، الوافي بالوفيات ج145\6، سير أعلام النبلاء ج321\16

(3) ابن نباته المصري : الديوان، 50

(4) المقرئزي، إغائة الأمة في كشف الغمة ، ص38

(5) ينظر: المقرئزي : السلوك 879/1

للدولة وانتشار الرشوة والفساد ، والابتعاد عن الزراعة ، وهذه الأحوال جعلت الكثير من الناس والشعراء يشعرون بالغربة في أوطانهم، فحنُّوا إلى الطعام والراحة والسعادة ، بعد أن حُرِّموا منها.

#### رابعاً: الحياة الثقافية

ازدهرت الحركة العلمية في مصر في عصر سلاطين المماليك ازدهاراً واسعاً، فأصبحت مصر الدولة مركزاً للثقافة والنشاط العلمي، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما أصاب العالم الإسلامي من أحداث وكوارث ، سواء في المشرق على أيدي التتار والمغول، أم في الأندلس على أيدي الفرنجة ، فضلاً عما أصاب بلاد الشام من دمار بسبب هجمات التتار، وفي وسط تلك الغمة التي ألمت بالمسلمين، لم يجد علماء المشرق والمغرب بلداً إسلامياً آمناً سوى مصر، التي غدت منذ منتصف القرن السابع مركزاً للخلافة العباسية ومحط أنظار العلماء<sup>(1)</sup>.

---

(1) ينظر: محمود رزق سليم ، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث 8-9



وكان للمماليك اهتماماتهم بالثقافة والعمران، وظهر ازدهار فكري في جوانب العبادة وشؤون الدين، كذلك لم يغفلوا اللغة العربية وعلومها المختلفة، واهتموا بالمجالات الأخرى كالفلك والطب وغيرها من العلوم والحرف. (1)

ومما يشكل دليلاً على ازدهار الحياة العلمية في عصر سلاطين المماليك، هو عظم تلك الثروة التي وصلتنا من ذلك العصر، فما زالت دور الكتب في كافة أنحاء العالم تزخر بالكثير من المخطوطات والمؤلفات التي ترجع لذلك العصر، والتي تناولت معظم ألوان المعرفة، ومن هذه المؤلفات الكثيرة: لسان العرب، لابن منظور، والمزهر في علوم اللغة، للسيوطي، والدرر الكامنة للعسقلاني، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي وصبح الأعشى، للقلقشندي. (2)

أضف إلى ذلك الكثير من الكتب التي فقدت، ولم نعرف عنها سوى أسماء مؤلفيها، وفي ذلك دلالة واضحة على عظم النشاط العلمي المتميز في هذا العصر، وظهرت مجموعة من الشعراء الكبار الذين ما زالت دواوينهم حافلة بعظيم نتاجهم الأدبي كالبوصيري و السراج الوراق ، وشهاب الدين العزازي، وابن نباته المصري، وغيرهم الكثير.

وقد سلك المماليك طريق الأيوبيين في تعزيز العلم والثقافة، وبذل كل ما من شأنه إعلاء كلمة الإسلام وخدمة العلماء، وبرز ذلك من خلال إنشاء المدارس التي زاد عددها عن خمس وأربعين مدرسة في القاهرة وحدها، كالمدرسة الصالحية والظاهرية والمنصورية، كذلك إنشاء الجوامع التي تعد أقدم درو العلم بالإضافة إلى كونها للعبادة، وأهمها جامع الروضة.

ولم يرغب عنهم إنشاء خزائن الكتب تاتي يعين عليها خازنٌ يجب أن يتصف بالمعرفة والثقافة الواسعة والأمانة، فضلاً عن قدرته على إرشاد القراء. (3)

(1) ياسين الأيوبي : أفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، 54

(2) ياسين الأيوبي : م، ن ، 55

(3) ينظر: ياسين الأيوبي : أفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، 54

أما اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء، فتشهد عليه تلك المكانة المتميزة، والنفوذ الكبير الذي تمتع به العلماء، وما وهبهم إياه السلاطين من الإقطاعات الزراعية والأموال، ولم يكن هذا الأمر مقتصرًا على علماء مصر والشام، بل امتدَّت الرعاية إلى علماء المشرق والمغرب المهاجرين والفارين من زحف الفرنجة على الأندلس، وكذلك الناجيين من الطوفان المغولي في بغداد، وبعض مدن المشرق الإسلامي، منهم ابن سعيد المغربي صاحب كتاب "المغرب في حلى المغرب" وابن مالك صاحب الألفية المشهورة في النحو . (1)

وثمة ظاهرة امتازت بها الحياة الفكرية في عصر المماليك، وهي الإقبال الشديد على تأليف الموسوعات الضخمة، التي تحوي معلومات متنوعة ومتباينة، مثل "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري.

لقد أسهم اتخاذ اللغة العربية اللغة الرسمية في الدولة في بقائها حية متداولة (2). "فمضى المماليك في تشجيع الحركة الفكرية والحفاظ على الحياة الثقافية، من خلال جعل اللغة العربية لغة رسمية في الدولة" . (3)

ومن الظواهر التي تستحق الوقوف عندها في هذا العصر، كثرة الشعراء والأدباء، هذه الكثرة التي تردُّ على من يدَّعي أن الشعر في هذا العصر كان مبتدلاً، فهذا الادعاء فيه ظلم لهذا العصر، فهناك كثيرٌ من الشعراء المجيدين، الذين حافظوا على الموهبة الشعرية حية نابضة معبرة عن عواطف الشاعر ، كابن نباته المصري، والبهاء زهير، وابن قزل وغيرهم الكثير.

(1) ينظر: نبيل خالد : الأدب العربي بين عصرين، المملوكي والعثماني، 32  
(2) انظر : محمود رزق سليم : الادب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث ، 8-13  
(3) محمد زغول سلام : الادب في العصر المملوكي ، 1 \ 43

1- الحنين : لغة واصطلاحاً

2- الحنين على مرّ العصور

3- أسباب الحنين ودواعيه

## الحنين : لغة

عند العودة إلى معاجم اللغة يجد الباحث أن الأصل الثلاثي لكلمة "حنين"، مأخوذ من "حنن" الذي طرأ عليه التضعيف لغير زيادة، فصار حنَّ، والحنين: صوتُ الطرب لحزن أو فرح، والحنين: الشوق وتوقان النفس<sup>(1)</sup>. وفي القاموس المحيط : حنن :الحنين والشوق وشدة البكاء، حنَّ يحن حنيناً، استطرب فهو حانٌّ كاستحنَّ وتحانَّ .<sup>(2)</sup>وارتبط الحنين بصوت الإبل عندما تحنُّ إلى أوطانها، يقول الجوهري : حنين الناقة ،صوتها في نزاعها إلى ولدها،<sup>(3)</sup> يقول الأعشى :

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة حنن.  
(2) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، 630  
(3) الجوهري : الصحاح ،مادة حنن ج5

تَرَى الشَّيْخَ مِنْهَا يُحِبُّ الْإِيْمًا \_\_\_\_\_ ب، يَرْجُفُ

كالشاربِ المستحق<sup>(1)</sup>

وحنين الناقة على ولدها تَعَطُّفُهَا، وهذا الحنين على معينين: حنينها صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها، وحنينها نزاعها إلى ولدها من غير صوت<sup>(2)</sup>، يقول رؤبة بن العجاج :

حَنَنْتَ فَأُصْبِحُ \_\_\_\_\_ وَصِيَّ أُمِّ سِيبَةَ الْأُرْدُنِّ

حَنِئِي فَمَا ظَلَمْتِ أَنْ تَحْنِيَّ<sup>(3)</sup>

ويعبر الحنان عن العطف والرحمة، فربُّ العزة من صفاته الرحمة والتعطف<sup>(4)</sup>، قال تعالى

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ، وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ، ﴾<sup>(5)</sup>

وفي تاج العروس: " الحنين ما لم يكن معه بكاء أو دمع، وهو صوت يخرج من الصدر عند

البكاء " <sup>(6)</sup>

الحنين اصطلاحاً :

الحنين اصطلاحاً : يعبر عن عاطفة إنسانية، وغريزة في النفوس سواء أكان ذلك في الإنسان

أم الحيوان، وعلى الرغم من كونه ظاهرة إنسانية عامة، إلا أن حب العرب لأوطانهم وحنينهم

(1) الأعرشي: الديوان 66

(2) ابن منظور: لسان العرب، مادة حزن.

(3) رؤبة بن العجاج : الديوان 190.

(4) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حزن.

(5) مريم : 19 / 12-13.

(6) الزبيدي : تاج العروس، مادة حنن

ظاهرٌ في أشعارهم ، فالشعر العربي سجل هذه الظاهرة من العصر الجاهلي، وحتى العصر الحديث. (1)

ويعرفه بعضهم بأنه : " النزاع المتضمن للإشفاق، وقد يكون معه صوت، ولذلك عبر به عن الصوت الدال على النزاع والشفقة، أو متصوراً بصورته، ولما كان الحنين متضمناً للإشفاق والإشفاق لا ينفك عن الرحمة عبر عنها به في آية وحنانا من لَدُنَّا" (2)

والحنين معناه: الشوق والتوقان مع الطرب والتغيم، وهو يكشف عن مدى معاناة الإنسان في ديار الغربية، بعيداً عن وطنه، فالحنين يرضي شغف النفس، ويشبع حب الناس للأوطان. (3)

من هنا فليس بمنكر " أن يتلازم الصوت مع النزوع والشوق إلى الشيء، فإن عاطفة الشوق ملهبة، تدفعه إلى التنفيس عنها سواء أكان ذلك بالأنين أم بالنفثات النثرية والشعرية، فكثيراً ما يفرّج الإنسان عن نفسه ببث ذاتها كلاماً منتوراً أو شعراً منظوماً يعبر فيه عن هذه العاطفة الملهبة". (4)

(1) ينظر : يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي ، ص5

(2) المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف ، 1، 298

(3) ينظر :مها روجي الخليلي، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي ، 18، رسالة ماجستير، جامعة النجاح 2007م

(4) محمد قباجة ، الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني ، 4، رسالة ماجستير، جامعة الخليل 2008م

## شعر الحنين على مرّ العصور:

الحنين غريزة في البشر، فعندما يتغرب الإنسان عن بلده لأي سبب كان، فإنه سرعان ما يحنُّ إلى تلك البلاد، ويثير الشوق في نفسه الكثير من مشاعر الألم والغربة، وهذا الارتباط بين الإنسان وبلده دفعه للتعبير عن الحنين إليها بالشعر، من هنا كانت بداية شعر الحنين قديمة مرتبطة بقدم الشعر نفسه، فأول من حنَّ إلى الديار وبكى عليها في الشعر العربي هو ابن حذام، وقد ذكره ابن سلام في طبقاته، حين ذكر بيت امرئ القيس الذي حنَّ فيه إلى دياره، حيث قال

: [ الكامل ]

عُوجًا عَلَى الظِّلِّ الْمُحِيلِ لَعَنَّا      نَبْكِى الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حُذَامِ (1)

يتضح من البيت السابق أن الحنين مرتبط بالبكاء على الديار، وذرف الدموع على فراق الأحبة، والحنين إلى الذكريات الماضية، لذلك جاءت المعلقات معبرة عن الحنين، من خلال مقدماتها الطليية التي تدل على صدق عواطف الشاعر، وانتمائه لموطنه وحنينه إلى الماضي بذكرياته.

وعبر الأدب العربي عن عاطفة الحنين إلى الأوطان في عصوره كلها، لما ظهر من الارتباط الشديد بين الإنسان وموطنه، ففي شعر الوقوف على الأطلال ما يدل بوضوح على حنين الشاعر إلى الوطن والديار، مختلطاً بالحب والعواطف التي شهدتها هذه الأطلال (2).

وقد أُلّف كثير من الكُتَاب مؤلفات خاصة تتناول هذا الموضوع ، من هؤلاء الجاحظ (ت 255هـ) وهو أحد كتاب العصر العباسي ، سجل رسالة في الحنين إلى الأوطان، يقول " فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع إلى الأوطان، فسمعتة يذكر أنه

(1) امرؤ القيس : الديوان ، ص114.

(2) انظر : فريد جحا ، الحنين واللقاء في شعر المهجر، ص 11 .

اغترب من بلد لآخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنابه، ولم يزل عظيم الشأن، جليل السلطان تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادهما وشجعانها، يقود الجيش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغب إليه، أو راهب منه .. فكان إذا ذكر التربة والوطن حنّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها " (1)

إن شوق الإنسان إلى وطنه ودياره، وحنينه إلى أحبته لا يضاهيه شوق، فمهما كانت المغريات ومهما كثرت مظاهر الحياة المترفة، يظل شوق النفس وحنينها إلى الوطن لا ينافسه منافس، ولعل في قصة ميسون بنت بحدل الكلبية حين تزوجها معاوية، رضي الله عنه، ما يدل على ذلك ويثبته ، فميسون التي تزوجها معاوية، ونقلها من الصحراء المقفرة، التي تخلو من أسباب الراحة والحضارة، إلى القصور والنعيم، كل ذلك لم يطفئ نار الشوق والحنين لتلك الديار وتلك الصحراء، فكانت دائمة البكاء والحنين، حتى بعد أن طلب معاوية إلى الرعاة أن يملأوا أمام قصرها ليخفف عنها، إلا أن ذلك زادها شوقاً وحنيناً، فكانت تردد :

[الوافر]

لَبِيَّتْ تَخْفُتُ فِيهِ الْأَيَّاحُ فِيهِ  
أَحَبُّ إِلَيَّ مَن قَصْرٍ مَنِيْفٍ  
وَلَبِيْسُ عِبَاءَةٍ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي  
أَحَبُّ إِلَيَّ مَن لَبَسَ الشَّفُوفِ  
خُشُونَةُ عَيْشِي فِي الْبَدْوِ أَشْهَى  
إِلَى نَفْسِي مِنَ الْعَيْشِ الظَّرِيفِ

(1) الجاحظ : رسالة الحنين إلى الاوطان ، 6-7

(2) انظر: البغدادي، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، 3/593



فَمَا أَبْغَى سِوَى وَطَنِي بَدِيلاً

فحسبي ذاك من

وطن شريف<sup>(1)</sup>

إلى هذا الحد ارتبط الشعراء والناس بأوطانهم، فميسون بنت بحدل لم يغنها كل ما أحيطت به من نعيم عن وطنها ومنزلها حيث عاشت وسكنت .

ووصل الأمر ببعض الشعراء إلى نحت أوكتابة أحاسيسهم ومشاعرهم تجاه أوطانهم على الحجارة والصخور، فورد في أدب الغرباء للأصفهاني قوله: " يقال إن الرشيد عندما أقام بخلوان، وهو في طريقه إلى خراسان، عثر وراءه على حجر حفرت عليه النقوش الآتية:

[البسيط]

وَطُّـوْل

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حِلِّ وَتِرْحَالٍ

سَـسَـعِي وَإِدْبَارٍ وَإِقْبَالٍ

عَنّ الأَحَبَّةِ لَا

وَنَازِحِ الدَارِ لَا أَنْفَكُ مُـمُـتَرَبِّباً

يَدْرُونَ مَـمَـا حَالِي

لَا يَخْطُرُ المَوْتُ مِنْ حَصْرِي عَلَى بَالِي

بِمَغْرِبِ الأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَشْرِقِهَا

إِنَّ القَنُوعَ الغَنَى ، لَا كَثْرَةَ

وَلَوْ قَنَعْتُ أَنَا فِي الرِّزْقِ فِي دَعَا

المال<sup>(2)</sup>

ويقول في موضع آخر: " حدثني أبو الفضل بن أبي نوح الكاتب قال: كنت بالبصرة، وقد وردها أبو محمد المهلب في أيام وزارته، فنزل بمسمران وأقام أياماً، ثم ارتحل نحو الأهواز، فدخلت البيت الذي كان فيه، فرأيت بخطه منقوشاً على حائطه:

[الطويل]

(2) الاصفهاني، أدب الغرباء، ص 30

أحــنُّ إلى بــغدادٍ شوقاً وإنمــا

أحــنُّ إلى إلف بها لي

شائق

مقيم بأرضٍ غبت عنها وبدعةً

إقامة معشوق ورحلة عاشق

(1)

الحنين إلى الأوطان والأحبة لا يمكن أن يخفيه الإنسان فهو مرتبط بأحاسيسه التي لا يمكن إخفاؤها وقد قيل لأعرابي: "كيف تصنع بالبادية، إذا انتصف النهار، وانتعل كل شيء ظله(2)؟" فقال: وهل العيش إلا ذلك؟ يمشي أهدنا ميلا، فيرفض عرقاً كأنه الجمان، ثم ينصب عصاه، ويلقي عليها كساه، وتقبل الرياح من كل جانب، فكأنه في إيوان كسرى(3).

[ الكامل ]

وهذا أبو تمام الطائي في موضع آخر يقول :

وحـنـينـه أبـداً لأول

كـم مـنـزلٍ في الأرض يـألفه الفـتـى

مـنـزلٍ (4)

وحن شعراء العصر الحديث إلى أوطانهم، يقول أحمد شوقي في المعنى ذاته: [الخفيف]

وطـنـي لو شـغـلتُ بالـخـلد عنه

نـازـعتـني إليه في الخلد نفسي

(6)

إن شعر الحنين يعبر عن مشاعر وأحاسيس الشعراء في غربتهم، وبُعدهم عن أحبّتهم وأوطانهم، فالشاعر حين يضطر إلى مغادرة أوطانه طوعاً أو كرهاً، فإنه يحنُّ ويشتاق إلى تلك الأوطان، فيعبر عن ذلك الحنين من خلال قصائد ومقطوعات تعكس ما في نفسه، والشعر كما نعرف هو تعبير عن صاحبه. كما أن العلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات، لأنه ليس

(1) الأصفهاني، م، ن، ص 76

(2) أي صار الظل تحت الإنسان كأنه نعل .

(3) ينظر : الجاحظ، المحاسن والأضداد، 107 .

(4) أبو تمام، الديوان، 745\1

(6) أحمد شوقي، الشوقيات، 2 / 46.

هناك من ينكرها، وكل ما قد تدعو الحاجة إليه هو بيان هذه العلاقة، فالنفس تصنع الأدب وكذلك يصنع الأدب النفس، والنفس تجمع أطراف الحياة لتصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس، والنفس التي تتلقى الحياة لتصنع منها الأدب هي النفس التي تتلقى الأدب لتصنع منه الحياة، إنها دائرة لا يفترق طرفاها إلا لكي يلتقيا". (1)

لهذا فشعرُ النسيب مثلاً ، لا يخلو من تعبير الشاعر عن أشواقه وحنينه لأطلال الأحبة وآثارهم، ويرسل أشواقه مع الرياح والبروق والحمائم والدموع، وآثار الأطلال البالية، وهذا ما جعل قدامة بن جعفر يضع الحنين والشوق تحت باب النسيب فيقول: "قد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابّة، والبروق اللامعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار الديار العافية، وأشخاص الأطلال الدائرة"(2).

وفي موضع آخر يضعه المرزوقي أول أغراض الشاعر القديم، يقول: "والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون نحوها، وغاياتهم التي ينزعون إليها، وصف الديار والآثار، والحنين إلى المعاهد والأوطان..."(3).

من خلال ما سبق يتضح أن الحنين غرض شعري مستقل، وهذا ما دفع الكثير من المؤلفين إلى وضع مصنفات ومؤلفات في خدمة هذا الغرض قديماً وحديثاً، نذكر منها "الحنين إلى الأوطان" للجاحظ، و"أدب الغرباء" للأصفهاني، كما يرتبط بغيره من الأغراض كرتداء المدن والغزل والشعر الاجتماعي، والمديح النبوي.

ومن الدراسات الحديثة، تناول عبد المنعم الرجبى هذا الغرض منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي في رسالة بعنوان "الحنين إلى الديار في الشعر العربي حتى نهاية

(1) عز الدين اسماعيل : التفسير النفسي للأدب، 13،

(2) ابن قدامة : نقد الشعر، 124.

(3) المرزوقي :شرح ديوان الحماسة ، 20/1.

العصر الأموي" ، أكد فيها وجود هذا الغرض في الشعر العربي<sup>(1)</sup>، و كذلك محمد حور في رسالة بعنوان " الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي"، وكتاب "الحنين والغربة في الشعر العربي"، ليحيى الجبوري، ورسالة بعنوان " الحنين والغربة في العصر العباسي الثاني" لمحمد قباجة و رسالة بعنوان " الحنين في الشعر الأندلسي " لمحمد احمد دقالي .

## أسباب الحنين ودواعيه :

---

(1) ينظر : عبد المنعم الرجيبي ،الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي ،75-86

شهد العصر المملوكي الأول الكثير من الأحداث، فقد عمَّ البلاء والفقير والحرمان بعض طبقات المجتمع ، فاضطروا إلى مغادرة بلدانهم وأوطانهم ومدني إلى أخرى ، فبلغ الشوق بهم إلى حدٍ لا يكن تصويره، لهذا يمكن أن نلخص أسباب شعر الحنين فيما يلي : -

1- الحروب و النكبات التي تعرض لها المسلمون في العراق والأندلس وغيرها من البلدان، ما اضطر الكثير من الناس للجوء إلى مصر والشام باعتبارها الملاذ الآمن لهم ، فدفعهم هذا البعد عن ديارهم إلى الحنين إليها والتشوق لزيارتها .

2- الأحوال الاقتصادية القاسية ، والفقير والحرمان الذي عاشوه، نتيجة ظلم الاقطاع ، وقد بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يأكلوا بعضهم بعضاً، يقول المقرئزي " لقد جعلت تلك الغلوات الناس يأكلون القطط والكلاب، حتى بيع الكلب بخمسة دنانير، .... وأكل الناس بعضهم بعضاً، وتحرز الناس، فكانت طوائف تجلس في أعلى بيوتها، ومعهم سلب وحبال فيها كلاليب، فإذا مرَّ بهم أحد ألقوها عليه، ونشلوه في أسرع وقت ، وشرحوا لحمه وأكلوه"<sup>(1)</sup>

هذه الفاقة وهذا الفقر دفعهم إلى مغادرة بلدانهم ومدنهم للبحث عن بديل أفضل يجدوا فيه ما يسد رمقهم وجوعهم . فحنوا إلى تلك المدن والقرى .

3- الأمراض والأوبئة التي عمت تلك البلاد ، وأهمها الطاعون ، ما دفع الناس للهرب خوفاً على حياتهم وأبنائهم ،واللجوء إلى مناطق آمنة.

4- تعيين بعض الشعراء في بلدان غير بلدانهم في مراكز الدولة الرسمية .

5- السعي لطلب العلم، حيث توجه الكثير من طلبة العلم إلى القاهرة لطلب العلم، حيث تواجد فيها عدد كبير من العلماء .

(1) ينظر: المقرئزي : إغاثة الأمة ، ص67

## الفصل الأول : موضوعات شعر الحنين

المبحث الأول - الحنين إلى الأوطان

المبحث الثاني - الحنين إلى الأهل والأصدقاء

المبحث الثالث - الحنين إلى المحبوبة

المبحث الرابع - أنواع أخرى من الحنين

## المبحث الأول - الحنين إلى الأوطان

لقد خلق الله الكائنات الحية، ومنها الإنسان والحيوان، وجعل فيهما نزعة من الشوق والحنين، حنين وشوق إلى الوطن والأبناء والأحبة، وجعل الأرض للإنسان فيها معاشه وحياته، يتخذ فيها بقعة لنفسه، ويبقى لتلك البقعة التي اختارها مكاناً في قلبه، يرتبط بها، ويحن إليها كلما ابتعد عنها أو فارقها، "فمحنة الوطن مستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق إليها.

والإنسان ابن بيئته، ولأنه منذ عرف الإنسان الوجود، وعرفه الوجود، موصولاً ببيئته لا فكاك له منها، وكادت الصلة بينه وبين بيئته أن تكون أو تعد من الصلة بينه وبين أسرته، أو قريبة منها، وكما يستفيد صورته من أسرته يستفيدا من بيئته، غير أنه ينمو في أسرته مرتبطاً بأفراد، وينمو في بيئته مرتبطاً بأعداد<sup>(1)</sup>. و يحن الإنسان إلى وطنه وأرضه مهما عاش في حرمان وبؤس، وعانى من الظلم والجوع والفاقة، وخير مثال على ذلك المهاجرون إلى بلاد الدنيا الجديدة، وقد كسبوا المال والجاه والترفع، لكنهم يحنون أبداً إلى أوطانهم، ويتحسرون على ما يجري فيها من عدوان ومصائب.<sup>(2)</sup>

من هنا يتألم الشعراء لفراق أوطانهم، ، ويدرِفون الدموع غزيرة عليها، فهي التي قضوا فيها أجمل سني حياتهم، يقول البهاء زهير (ت656هـ)<sup>(3)</sup>، متشوقاً إلى مصر:

[الطويل]

إلى كم حياتي بالفراق مريرةً      وحتاماً  
طرفي ليس ينتد بالغمض

(1) ينظر: الإبياري، الوطن في الأدب العربي، 3.

(2) ينظر: يحيى الجبوي، الحنين والغربة في الشعر العربي، 5.

(3) البهاء زهير زهير بن محمد بن علي المهلب العنكي، (581 - 656 هـ) كان من الكتاب، يقول الشعر ويرققه. ينظر:

الأعلام ج52\3 سير أعلام النبلاء ج355\23 النجوم الزاهرة ج365\2

وكـم رأت عيني بـلاداً كثيرةً فـم  
أر فيها ما سرّ وما يرضي

ولم أرَ مصرًا مثلَ مصرٍ تروقتني سواءً فلا أختارُ بعضاً على بعضٍ

إذا لم يكن في الدار لي من أحبُّه فلا فرق بين الدارِ وسائرِ الأرضِ (1)

يبدأ الشاعر أبياته بالسؤال الذي يكاد يؤرقه ولا يجد له جواباً، وهو يعكس حالة نفسية من الألم والحسرة على فراق الوطن والأحبة، فالحياة مريرة لا هناء ولا حلوة فيها، وفي استخدام كلمة مريرة ما يعكس مدى التعاسة واليأس الذي يعانیه.

ثم ينتقل الشاعر إلى مقارنة بلاده بما فيها من خيرات وسعادة بغيرها من البلاد، فبلاده تمثل السرور والطمأنينة لنفسه، كما أنّ فيها من الأحبة من يسعد بقربهم وحبهم، أما غيرها من البلاد، فهي على ما فيها من خيرات، لا ترقى ولا تستحق أن تنافس بلاده في حبه، من هنا " فإن التفضيل في هذا العصر لم يكن منبثقاً عن شعور وطني، أو فكرة قومية، ولكن عن عاطفة شخصية مبعثها ما وجده الشاعر من سعادة هنا أو هناك " (2) وهذا " إنما يدل على عواطف وحاجات نفسية لا يجدها الشاعر في غير موطنه، ولعل هذا الشعور هو مادفع الجاحظ إلى القول " فكان إذا ذكر التربة والوطن حنّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها " (3)

ومثل هذا الشوق والحنين يعتصر قلب ابن قزل (ت656هـ) (4)، فيعبر عن شوقه

وحنينه لمصر وكم يتألم لفراق أحبائه فيها، فهي الوطن الذي جمع أحبته، كما ويظهر فيها

عدم قدرته على تحمّل الفراق، فيقول :

[البسيط]

(1) البهاء زهير : الديوان، 188

(2) احمد بدوي : الحياة الأدبية ، 118

(3) الجاحظ : رسالة الحنين إلى الأوطان ، 7

(4) ابن قزل : الديوان، ص34



قَدْ كُنْتُ أَشْتَاقُ مِصْرَ وَهِيَ خَالِيَةٌ  
مِنْ  
الأحْبَابِ بَلْ شَوْقًا إِلَى الْوَطَنِ  
والْيَوْمَ أَضْحُوا أَحْبَائِي بِأَجْمَعِهِمْ  
بِهِمَا  
فِي طَوْلِ أَشْوَاقِي وَيَا حُزْنَ<sup>(1)</sup>

إنَّ الإحساس الصادق بحب الوطن والانتماء إليه، جعل الشاعر يحرص على ذكره  
ويحُنُّ إليه ، وفي ذكره لهذا الوطن يظهر حزنه وتذمره الداخلي من فراق وطنه، كما يحرص  
على إبراز محاسنه، ويلاحظ أن الحنين يمتزج بالأسى والحزن في تلك الفترة من الفراق.  
فابن قزل يحب مصر ويشتاق إليها خالية من أحبته، فكيف به اليوم وقد ضمت بين جنباتها من  
يحب؟ ، سيزداد شوقه وحزنه على فراقهم من جهة، ويزداد حبه وشوقه لمصر من جهة ثانية .  
إن تكرار الشاعر لألفاظ الحنين مثل كلمة "الشوق" يعكس الحالة النفسية المتوترة والمضطربة  
لفراق مصر وأهلها، فقد كررها ثلاث مرات في بيتين ليؤكد عمق مشاعره وحنينه تجاهها.  
إن الحسرة الدائمة، واللوعة المستديمة، التي تنتاب الشاعر في كل مرة يتذكر فيها  
موطنه، وتدفعه إلى اليأس والإحباط، مع قليل من التفاؤل بعودة تلك الأيام، فكثيرٌ من هؤلاء  
الشعراء يستخدمون أسلوب الاستفهام للتعبير من أحوالهم، وممن يدعوهم للنسيان والصبر.  
من الذين تناولوا هذا الموضوع أيضاً، شهاب الدين محمود(ت725هـ)<sup>(2)</sup>، الذي يصف الشام،

ويتذكر أصحابه فيها ، فيقول : [ الكامل ]

<sup>(1)</sup> سيف الدين المشد علي بن عمر بن قزل بن جلدك التركماني الياروقي، الأمير سيف الدين المشد صاحب الديوان المشهور. ولد بمصر المشد(602 - 656 هـ = 1205 - 1258م)، اشتغل في صباه وقال الشعر الرائق، وتولى شد الدواوين الأعلام ج315، فوات الوفيات ج51، النجوم الزاهرة ج266

<sup>(2)</sup> الشهاب محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي الحلبي ثم دمشقي(644 - 725 هـ)، أبو الثناء شهاب الدين: أديب كبير. استمر في دواوين الإنشاء بالشام ومصر نحو خمسين عاماً. ولد ب حلب، وولي الإنشاء في دمشق. وانتقل إلى مصر، فكتب بها في الديوان. وعاد إلى دمشق. الأعلام ج17، الوافي بالوفيات ج205، شذرات الذهب ج96

أَعْلَى فِي حَبِّ الدِّيَارِ مِـلَامُ      أَمْ هَـلْ  
تَذَكُّرُهَا عَلَيَّ حَرَامُ؟

أَمْ هَـلْ إِذَا ذَكَرْتُ مَـرْتُ نَازِلًا  
فَفَارَقْتُهَا وَلَهَا عَلَيَّ زِمَامُ

دَارُ الأَحِبَّةِ وَالهِوَى وَشَبِيبَةُ      ذَهَبْتُ وَجِـرَانُ  
عَلَيَّ كِرَامُ

فَارَقْتُهَا فَارَقْتُ مِنْ وَجَدِي بِهِمْ      أَفَهَلْ لِي لِيهِمْ أَوْ  
لِلْكَرَى إِمَامُ؟

أَشْتَأُقُهَا شَوْقَ الغَرِيبِ مَزَارِهِ      سَفَهَاءُ، وَإِلَّا أَيُّنَ  
مَنْي الشَّامُ؟<sup>(1)</sup>

جاءت ألفاظ الشاعر سهلة واضحة بعيدة عن التعقيد والغموض، فهو يتذكر الأيام الماضية، فيستغرب ممن يلومونه على حبه لدياره وتعلقه الشديد بها، إنَّ فراقه لدياره أرقه ومنعه من النوم، ففقدانهم هو ابتلاء له، وفي استخدام الشاعر لألفاظ مأساوية ( ابتليت)، و(فقدهم)، و(أرقت) دلالة على الحالة النفسية السيئة التي يعيشها نتيجة بعده عنهم.

وعبّر البهاء زهير(ت656هـ) عن حنينه لمصر، معتبراً إياها جنة الحسن التي لا ينبغي

[ الطويل ]

أن يفارقها أحد يقول :

أَرْحَلُ مِنْ مِصْرَ وَطِيبِ نَعِيمِهَا      فَيَأْتِي  
مَكَّانَ بَعْدَهَا لِي شَائِقُ

(2)الصفدي : فوات الوفيات ، 4 / 93

وأَتَرِكُ أَوْطَانًا تَرَاهُ لَنَا نَشَقُ

هُوَ الطَّيِّبُ لَا مَا ضَمَّنَتْهُ الْمَفَارِقُ

وَكَيْفَ وَقَدْ أَضَحَّتْ مِنَ الْحَسَنِ جَنَّةً زَرَابِيُّهَا

مَبْنُوتَةٌ وَالنَّمَارِقُ

بِإِلَادِ تَرَوْقِ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ بِهَجَّةٍ وَتَجْمَعُ

مَا يَهْوَى تَقِيٌّ وَفَاسِقُ

وَإِخْوَانُ صَدَقَ يَجْمَعُ الْفَضْلَ شَمَلَهُمْ بِمَجْلِسِهِمْ مَا حَوَاهُ

حَدَائِقُ<sup>(1)</sup>

تظهر هنا اللغة السهلة للشاعر، فهو " لكي يستطيع إيصال التجربة التي يعيشها لا بد أن يقترب بلغته الشعرية من الناس، ويتعد عن التكلف العقلي، الذي يؤدي إلى ضعف التأثير" (2) ويظهر تأثر الشاعر بالقرآن الكريم واضحاً، حيث أضحت الأفكار التي قدمها الإسلام جزءاً لا يتجزأ من فكرهم وكيانهم<sup>(3)</sup> ، لذا برزت المعاني الإسلامية واضحة كتأثر الشاعر في البيت الثالث بالآية القرآنية من سورة الغاشية ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ، وَزَرَابِيٌّ مَبْنُوتَةٌ ﴾<sup>(4)</sup> ، ثم يزيد الشاعر في تعظيمه لمصر فهي تدخل السرور والبهجة للعين والقلب معاً، وفيها كل ما يشتهيها تقي وفاسق، و في استخدام الشاعر للطباق في قوله ( تقي وفاسق ) ما يعكس رغبته بتصوير مصر جامعة لكل الناس وفيها كل ما يحتاجونه .

(1) البهاء زهير : الديوان، 230

(2) ابراهيم موسى : شعر الحرب في العصر الأيوبي، 113

(3) ينظر: راند عبد الرحيم ، فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي، 328

(4) الغاشية : 15، 16، 88

وعادة ما يرتبط الحنين إلى الديار بصورة الوطن في نفس الشاعر، وكثيراً ما كان الشعراء يفاخرون أنفسهم بأوطانهم ، فتأخذهم العصبية لبلدانهم للدفاع عنها وتصويرها جنة الله على الأرض، وفي هذا المعنى يقول ابن الوردي(ت749هـ) (1):

[البسيط]

ديـارُ مِصرَ هـيَ الدنـيا وسـاكِنُها  
هـمُ الأَنـامُ فـقـابِلُ هـمُ بـتـقـيـلِ  
يـا مـنْ يـبـاهـي بـبـغـدَادَ وِجـانِها  
مِصرُ مـقـمـةٌ وِالـشـرْحُ لـلـنـيـلِ (2)

الشاعر يفاخر بمصر، فهي الدنيا بكل ما حوت من فضائل ونعيم، ولا مجال للمقارنة بينها وبين غيرها، وأهلها أفضل الناس فلا بغداد ولا غيرها تباهيها في روعتها .

وكثيراً ما كان الشعراء يشكون أسباب بعدهم عن أوطانهم، وأن المصائب تدفعهم دفعا إلى التغرب عنها، ولم يكن باختيار الشاعر أن يبقى في موطنه يقول البهاء زهير(ت656هـ) في قصيدة بعنوان " قلب لا يسلو الأوطان":

[الوافر]

إلى كـمُ فـرقتي وارتحـالي  
أشكو لغير الله حـالي  
تُجددُ لي الحوادثُ كلَّ يـومٍ  
رحـيلاً قـطُ  
لـم يـخـطـرُ بـيـالي

(1) ابن الوردي عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي(691 - 749 هـ = 1292 - 1345م): شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان بسوريا ، وتوفي بحلب. من كتبه " ديوان شعر - ط " ، يعرف بتاريخ ابن الوردي.الأعلام ج67\5، فوات الوفيات ج157\3، الوافي بالوفيات ج477\7  
(2) ابن الوردي : الديوان 313

وما كان التغربُ باختيارِي ولا قلبي عــــن

الأوطانِ سالي

وما عيش الغريبِ بلا عيالٍ كعيشِ القاطنينِ ذوي العيالِ<sup>(1)</sup>

إن الألم والحسرة على فراق الوطن والبعد عنه، شيء لا يجد الشاعر معه إلا أن يذرف الدموع شوقاً وحنيناً، فالشاعر يقر بما أصابه من ألم الفرقة والرحيل، فيشكو حاله لله لعله يرأف به وبحاله، فالحوادث والمصائب تجبره على الرحيل عن بلده، فالقلب وإن طالت المسافات بينه وبين موطنه إلا أنه لا ينساه، فهو يقرّ بأن الغربة قد آلمته وقست عليه .

لقد عبر الشاعر بصدق عن عواطفه تجاه وطنه، وهذا ما يلاحظ في الأبيات الأخيرة حيث يؤكد مراراً أنه لا ينسى موطنه .

وكثيراً ما كان البهاء زهير يبدأ أبياته بأساليب إنشائية كالاستفهام ليعكس حالة من الارتباط الوثيق بالوطن، فهو وعلى الرغم من ترحاله إلا أنه يبقى متعلقاً به لا ينفك يفكر فيه، ويستخدم الشاعر ألفاظاً تفيض بالحزن والقسوة مثل ، الفرقة ، والترحال ، والتغرب ، والسلو ، والغريب ، وهذه الألفاظ تعكس الحالة النفسية المضطربة نتيجة التشرّد وعدم الاستقرار .

ويرتبط الوطن بالمكان الذي أقام فيه الشاعر، ومارس فيه طفولته، حتى ذهب جاستن باشلر إلى أن " الأماكن التي مارسنا فيها أحلام اليقظة ، تعيد تكوين نفسها في حلم يقظة جديد " <sup>(2)</sup> ما يدل على أن للمكان وجوداً في النفس لا يفارقها مدى الحياة ، ولهذا فإنّ الشعراء يحملون أوطانهم معهم ، أينما رحلوا وتوجهوا، من هنا فإن نظرية باشلر في " شعرية الفضاء المكاني " ، تصدق على علاقة الإنسان بالمكان بعامة، حيث إن علاقة الإنسان بالمكان بعامة تنمو لدى الناس كافة ، وهي تتجلى بقوة في الأدب باعتباره رسول الذاكرة والوجدان.

(1) البهاء زهير : الديوان 284

(2) غاستون باشلر : جماليات المكان ، 44

ويعبر الحنين عن مدى المعاناة التي يقاسيها الشاعر في بعده عن وطنه، يقول ابن

[ الطويل ]

قزل(ت656هـ) حاناً إلى مصر :

كُتِبَتْ وَوَلِيَّ قَلْبٍ مِنَ الصَّبْرِ مُمَلِّقٌ      وَوَلِيَّ  
مَنْ دُمُوعِ الْعَيْنِ جَارٍ وَمَطْلِقٌ  
وَعِنْدِي مَنْ فَرَطِ الصَّبْرِ بَابَةٌ لَوْعَةٌ  
تَكُونُ دُضْلُوعِي نَحْوَهَا تَتَشَقَّقُ  
إِذَا جَنَّ لَيْلٌ ظَلَمَتْ وَوَلِيَّهَا سَاهِرٌ  
وَهُوَ لَنْ نَزَحَ إِلَّا يَحْنُ وَيَأْرُقُ  
أَحَبُّ بَابَةٍ لَا أَبْعَدُ دَالِلٌ  
دَارِكُمْ      وَسَامِحٌ بَيْنَنَا بَيْنَنَا  
يَتَمَلَّقُ  
فَمَا حَزَنُ يَعْقُوبَ عَلَى بُعْدِ يَوْسُفَ      وَلَا أُمَّ  
مُوسَى وَهُوَ يَطْفُو وَيَغْرُقُ  
بَاعِظْ مَنْ مَنَ شَوْقِي وَحَزَنِي وَإِنِّي  
لَأَرْجُو بَانَ الدَّهْرِ رِيحَانُو وَيَشْفُقُ  
فِي سَاكِنِي مَصْرَ رَعِيَّتِي حَقَّ وَهِيَ  
وَحَقَّ لَهَا أَرْضٌ تَزَارُ فَتَطْرُقُ  
دِيَارُ هِيَ الدُّنْيَا سُرُورٌ وَوَلِيَّ  
وَالْعَيْشِ فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ رُونِقُ

وإِنَّمَا لَمْ يَشْتَاقْ إِلَيْهَا  
وَأَتَمَّهَا ثَنَاتِي عَنْهَا رَوْضَةُ الشَّامِ  
جَأْبِقُ<sup>(1)</sup>

إن الحزن الذي يشعر به الشاعر لفراق موطنه لا يمكن أن تصفه الكلمات، فما فراق يعقوب ليوسف عليهما السلام إلا شيئاً يسيراً مما يشعر به الشاعر لفراق موطنه، ويعبر الشاعر عن حنينه إلى الوطن مصر من خلال شكواه الممتزجة بالدموع، فهو يكتب والقلب قد أرهقه الصبر، ودموع العين تجري بغزارة، واللوعة والحزن يعتصر نفسه فتكاد الضلوع تتشقق، فلا ليل يمر بلا سهر وقلق، فكيف ينام من نزع عن بلاده؟ ثم ينتقل الشاعر لمخاطبة أحبائه مستخدماً أسلوب النداء للقريب مع بُعد المسافة ليدل على عظيم شوقه وحنينه لهم وقربهم من قلبه، فيرجو الله أن لا يبعد بعد اليوم دارهم، ولا يسامح من أسهم في تفريقهم عن بعضهم، ويصور حزنه على فراق أهله ووطنه بأنه أعظم من حزن يعقوب على يوسف عليهما السلام، لا بل لا يضاهيه حزن أم موسى على فراق ابنها، وهنا يظهر التأثر الديني بقصة سيدنا يوسف عليه السلام، وكذلك قصة موسى عليه السلام في محاولة لإظهار مدى شوق الشاعر وتحمله وصبره على فراق أحبته.

ثم يعود الشاعر للنداء مرة أخرى ليخاطب أحبائه من أهل مصر، ويطلب إليهم أن يحافظوا على وطنهم، وأن يراعوا حقوقه، لأنه أفضل بلاد الله على الأرض، وهو أحق أن يزار، ففيه اللذة والنعيم والعيش الهانئ، وشوق الشاعر له لا ينقطع ولا يقل مع الزمن، وما منعه عنه سوى دمشق روضة الشام الغناء.

وهذه الحال لا تختلف كثيراً من شاعر لآخر، فهذا مجد الدين الإربلي (ت677هـ)<sup>(2)</sup>

يعبر عن شوقه وحنينه للشام متذكراً أيامه، التي قضاه في ربوعها، يقول :

(1) ابن قزل : الديوان، ص 90  
(2) الصفيدي : الوافي بالوفيات 4 / 296 ،

## [ الطويل ]

ف\_\_\_\_\_لا نارُها تب\_\_\_\_\_دو لمرتق\_\_\_\_\_بٍ ولا  
وع\_\_\_\_\_ودُ الأمانى الك\_\_\_\_\_واذبُ تصدقُ

وع\_\_\_\_\_لّ الرياحَ الهوجَ تهدي لنازحٍ \_\_\_\_\_عن الشامِ عُرْفاً كاللطيمة<sup>(1)</sup> يعبقُ<sup>(2)</sup>

يتذكر الشاعر أيامه في موطنه، ويصف بُعدَه ونزوحه عنه، وهذا دفعه إلى الحنين والشوق  
لأيامه وأحبابه فيه، فيعكس ما في نفسه من اضطراب عاطفي، فيطلب إلى الرياح أن ترسل  
تحياته لتلك الديار، كيف لا وهو من قضى شبابه وأحلى أيامه فيها.

ويلوم ابن الوردى (ت749هـ) من يلومه على شوقه إلى بلده، فيستمر في بث أشواقه  
ووصف حاله، مؤكداً جمالها، وتعلقه بها، فدموعه كثيرة غزيرة، وضلوعه أقرب إلى التكسر  
نتيجة لهذا الحنين، يقول:

[

## [ الطويل ]

ف\_\_\_\_\_صِفْ ل\_\_\_\_\_ي عي\_\_\_\_\_ونا بال\_\_\_\_\_منابعٍ فُي\_\_\_\_\_ضاً  
أر\_\_\_\_\_ي كَ ع\_\_\_\_\_ي ونا بال\_\_\_\_\_دامعٍ في\_\_\_\_\_ضاً  
ولا تب\_\_\_\_\_تدرُ بال\_\_\_\_\_بيدرينَ فأض\_\_\_\_\_أع\_\_\_\_\_ي  
أخ\_\_\_\_\_افُ من الأشواق أن تتقضم\_\_\_\_\_ضاً

وش\_\_\_\_\_وقي إلى أن\_\_\_\_\_وارٍ مش\_\_\_\_\_هدَ يوش\_\_\_\_\_ع  
تش\_\_\_\_\_وقُ من ضاقتُ به سعةُ الف\_\_\_\_\_ضاً

(1) اللطيمة : العنبرة التي لظمت بالمسك، فتفتتت به حتى نشبت رائحتها، ينظر: اللسان: مادة لطم

(2) ابن الظهير الاربلي محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد ابن أبي شاکر الاربلي، مجد الدين، ابن الظهير(602 - 677 هـ): شاعر،  
أديب، من فقهاء الحنفية. ولد بإربل، وتقل في العراق والشام، ومات بدمشق. له تذكرة الاريب وتبصرة الأديب " و " مختصر أمثال  
الشريف الرضي " و " ديوان شعر " في مجلدين.الأعلام ج323\5، الوافي بالوفيات ج201\1،فوات الوفيات ج301\3



فوالله لا فضّلت في الأرض بقعةً عليها  
سوى ما فضّل الله وارتضى

سلاماً على ذات القصورِ وأهلها  
من حسن حالٍ بها مضى<sup>(1)</sup>

يمضى الشاعر في وصف موطنه وتصوير حنينه إليه، فيكثر من استخدام الألفاظ الدالة على ذلك كقوله (مدامع، والأشواق، وشوقي) وهو ما يعكس حالة الشاعر النفسية وحنينه واضطرابه، وتظهر في الأبيات السابقة موهبة متميزة، فالأديب المبدع هو الذي يجعل أسلوبه مملوءاً بالحيوية والمتعة والتأثير، ولا يقلد في لفظه ولا عباراته أحداً من القدماء ولا المحدثين، بل يعكس تجربة شعورية<sup>(2)</sup>، وهذا ما حاول ابن الوردي أن يبدعه في أبياته، فحنينه إلى وطنه جعله يبعد كل البعد عن التقليد والتصنع، فالعاطفة الصادقة تفرض عليه ذلك .

ويصف الأدفودي كمال الدين أبو الفضل (ت748هـ)<sup>(3)</sup> موطنه في الطالع السعيد فيقول :  
".....ولما كان صعيد قوص " الموضع الذي فيه نشأتي والمكان الذي إليه نسبتني، والمحلة التي فيها عشي الذي منه درجت، وخشي الذي منه خرجت، وأرضه الأرض التي هي أول أرض مسّ جلدي ترابها، ولذ طرفي أكامها وظرابها، وحلا لقلبي أرجاؤها ورحابها...وهي التي فيها أقول:

### [ الطويل ]

أحنُّ إلى أرض الصعيد<sup>(4)</sup> وأهلها  
ويزدادُ شوقي حينَ تبدو قبابُها

(1) ابن الوردي : الديوان 406/405

(2) ينظر: محمد خفاجي ، النقد الأدبي الحديث ومذاهبه، 49

(3) الأدفودي جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي، أبو الفضل(685 - 749 هـ)، كمال الدين: مؤرخ، له علم بالأدب والفقه والفرائض والموسيقى. ولد في أدفو (بصعيد مصر) وتعلم بقوص والقاهرة، (الطالع السعيد الجامع الأسماء

نجباء الصعيد) الأعلام ج2\122، الوافي بالوفيات ج4\18، شذرات الذهب ج6\153

(4) الصعيد : مصر العليا (جنوبي مصر) ، الحموي :معجم البلدان ، 3 / 240

وتذكرُها في ظلمة الليلِ مُهـجتي  
فتجري دموعي إذ يزيدُ التهابُها  
وما صعبتُ عليَّ يوماً مـلـمةً  
وشاهدتُها إلا وهاتتُ صـعابُها  
بلادٌ كانَ الشَّبَابُ بها مُسـاعدي  
عليَّ نـيـلِ  
آمالٍ عـزـيزٍ طـلابُها  
وقضيتُ صفو العيشِ في عـرـصـاتِها  
لـذـلكِ يحلو لـفـؤادِ  
رحابُها  
مواطنُ أهلي ثَمَّ صـحـبي وجيرتـي  
وأولُّ أرضٍ مـسـَّ جـلـدي  
ترابُها<sup>(1)</sup>

يبدأ الشاعر أبياته بألفاظ تعبر عن شدة حنينه وشوقه، فألفاظه مثل (أحنُّ، أشنق، الدموع)؛ تعبر عن حالة الشاعر وألمه وحسرتة على فراق وطنه وأحبته، "قاللفظة لا قيمة لها خارج العمل الأدبي، أو السياق الفني، ويعد اختيار الألفاظ الملائمة إبداعاً فنياً من الشاعر، لا يتأتى له إلا نتيجة تراكم لغوي، وخبرة بدلالات الألفاظ"<sup>(2)</sup> فالشاعر يحنُّ كلما بدا من تلك الديار ما يذكره بها من برق ومشاهد، فيذرف الدموع غزيرة، ويعل الشاعر سبب حنينه وحبها، فهي المكان الذي قضى فيه أجمل أوقات حياته، كما أن فيها من أهله وأحبته الذي لا يغيبون عن باله وفكره

ويتحسر كثير من الشعراء على أيام الصبا، تلك الأيام التي قضاهما الشاعر برفقة أحبته وذويه، فهو عندما يفارق مسقط رأسه إنما يترك جزءاً منه معلقاً بتلك الأوطان، فهذا الشاعر

(1) الأذفودي : الطالع السعيد، 369

(2) ابراهيم موسى : شعر الحرب في العصر الأيوبي، 114



ولم يقف هذا اليأس حاجزاً يحد من حبه لوطنه، بل يدعو لدياره بالمطر الغزير الذي يجلب لها  
الخصب والسعادة، ويواصل الدعاء للأودية والأمكنة التي قضى فيها غرة شبابه فيقول:

### [ الكامل ]

والوادي الشرقي لا برحتُ به  
ديم<sup>(1)</sup> تسحُّحٌ ووبئها يتدققُ  
أشتأفكم من أرضِ مصرَ وبيننا  
بيد تخبُّ بها المطيُّ وتُعنقُ  
وقنعتُ حتى صرتُ أرجو منكمُ  
من بعد ذاك القربِ طيفاً يطرقُ  
ولقد عطفْتُ على الزمانِ معاتباً  
فرايتُ كفيَّ عنه صبراً - أليق<sup>(2)</sup>

يتذكر الشاعر أحبابه، وتعيد له تلك الذكريات أحداثاً وأصحاباً اشتاق لهم، وحنَّ إليهم، ولكن  
المسافات بينهم بعيدة، فالخيل تحتاج إلى أيام وليالٍ لتقطع تلك المسافات، ثم يعود الشاعر لنفسه  
ليقنعها بأن اللقاء صعب بل مستحيل، وإن أفضل ما ينتظره هو خيال يطرق بابه، ليذكره بهم،  
ويعترف بأن الزمان لا يمكن عتابه لأنه يفرق بين المحبين وقليلاً ما يجمعهم.

وفي شعر الحنين " يعبر عن تجربة وجدانية عاشها الشاعر وتفاعل معها، وتنعكس في  
أشعاره، فتعبر عن صورة نفسية تظهر الحنين والشوق إلى وطنه وذاكرياته. (3)

لقد تتقل الشاعر كثيراً بين ضمائر المتكلم والمخاطب مثل (قنعتُ، و صرتُ منكم، و  
اشتاقكم)، ليعكس ما يعيشه من توتر واضطراب، ثم ينهي الشاعر أبياته بإعلانه أن عتاب

(1) ديم : جمع ديمة وهي السحابة الممطرة ،انظر: اللسان العرب ، مادة ، دوم

(2) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 361/2

(3) ينظر :محمد أحمد دقالي ، الحنين في الشعر الأندلسي، 478

الزمان لا فائدة من ورائه، كيف وهو لا يستطيع أن يعيد أياماً مضت بجوار أحبته ووطنه،  
فخضوعه للقدر لا يعني ضعفاً واستسلاماً، بل إيماناً بالقضاء والقدر الذي قدّر له هذا الفراق .

ومن الشعراء من يقف على الأطلال فيحاور الصاحب والرفيق طالباً منه الوقوف ولو  
برهة من الزمن ليتذكر أحبابه فيسعد بتلك اللحظات، من ذلك ما قاله التلعفري(ت675هـ) (1) :

[ الكامل ]

قف سائلاً بلوى الكتيب الأيمن      داراً فكأنَّ هـ  
لـ      مٌ تُسكنِ

وحذارِ أهداقِ الطِّباءِ فـ      مٌ تزلُ  
حمرُ الـ      منايا في سوادِ  
الأعينِ

أعلمت ما كابدتُ يومَ المنحنى      كمدًا غدتُ منهُ دموعي تحني  
رحلوا بواضحةِ الجبينِ إذا بدتُ      فلمجتلِ وإذا غـ      دتُ فلمجتني(2)

يتذكر الشاعر دياره وأهله، فيطلب إلى رفيقه أن يقف معه على أطلال تلك الديار  
ليسألها عن أهلها، فهي تبدو وكأنه لم يسكنها أحد، ثم يمضي الشاعر في إظهار معاناته بعد  
رحيله عنها، فهو في كمد وألم وحسرة لا تنتهي، فيبكي الشاعر على أهله وأحبته، لأنه لم يبق  
له سوى البكاء، فهو "متنفس الشعراء من معاناتهم، وباعثاً لهم على الحنين والشوق والتوقان،

(1) التلعفري محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، شهاب الدين، أبو عبد الله، التلعفري(593 - 675 هـ) : شاعر .

نسبته إلى (تل أعفر) بين سنجار والموصل. ولد وقرأ بالموصل. وسافر إلى دمشق، فكان من شعراء صاحبها الملك  
الأشرف موسى الأيوبي. وابتلي بالقمار، فطرده الأشرف إلى حلب، فنودي في حلب: من قام مع الشهاب التلعفري  
قطعته يده. وضافت عليه الأرض، فعاد إلى دمشق. ينظر: الأعلام ج15، النجوم الزاهرة ج2، الوافي

بالوفيات ج182

(2) التلعفري: الديوان 48



ويتكرر في شعر الحنين دعاء الشاعر المملوكي إلى وطنه بالسُّقيا والمطر والخير، وهذه  
الفكرة تكررت عند معظم شعراء الحنين، فحنين الشاعر إلى موطنه يدفعه إلى حبه وتمني الخير  
له،

يقول ابن التيتي الأمدي (ت704هـ) <sup>(1)</sup> يحن إلى مسقط رأسه بانقوسا <sup>(2)</sup> وهي مكان في الشام  
، ويتذكر أحبباً له هناك حيث تركهم مكرها ، يقول :

### [ الطويل ]

سقى الله وادي بانقوسا من الحيا سماء تـــــــروي تربة  
وتُصيب  
وحــــي بهــــا قوماً كراماً أعــــزة  
علــــى وذكراهم إلي حبيب  
صحبتهم والفؤاد أســــود حالك وغصن التصابي والشباب رطيب  
إذ العيش غضّ والزمان مساعد وقــــد غاب عنا حاسدٌ ورقيبُ

(3)

يدعو الشاعر لمسقط رأسه بالمطر والغيث الغزير، ثم يتذكر أحببه الأعراء على نفسه، والذين  
أحبهم في شبابه وصباه، وما زال وفيأ لهم لا ينسى أيام سعادته بقربهم . وهذا يعكس نفسية  
الإنسان العربي فهي "لم تزل من أبعد العصور كما هي بمقوماتها، لم يغير فيها الزمن كثيراً،

(1) ابن التيتي الأمدي(.... - 704هـ)محمد بن اسماعيل بن أسعد، كان وزيراً بماردين ، جفل به فرس فمات سنة أربع

وسبع مائة بمصر. ينظر: الوافي بالوفيات 1\244، أعوان العصر 2\264 ، سير أعلام النبلاء 4\593

(2) بانقوسا : بالقاف جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال ينظر: لحموي : معجم البلدان 1\ 331

(3) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 4\593

فالعربي كغيره من البشر ما زال يخشى فراق الأرض التي نشأ فيها، ويحس بالحنين

والغربة،

أيما اتجه، فالنفي يفرعه والهجرة تضنيه<sup>(1)</sup>

إنَّ الإحساس الصادق بحب الوطن والانتماء إليه، جعل شاعراً آخر وهو البهاء زهير

يحرص على ذكره ويفتخر به ، وفي ذكره لهذا الوطن يذكر مسقط رأسه والمكان الذي ولد

فيه، فيصفه وصفاً دقيقاً بجداوله وبترابه وحبائه، لهذا يدعو لتلك الديار بالخير والنعمة،

ويحفز الهمم على زيارتها، ويستميل القلوب نحوها، ثم يختتم بالتأكيد على الوفاء لها وعدم

[ الطويل ]

نسيانها وأهلها، يقول:

سقى وادياً بين العريش وبرقعة<sup>(2)</sup> من الغيث هطّال الشّآبيبِ

هتَانُ

وحياً النَّسيمَ الرطبَ عني إذا سرى هنالك أوطاتاً إذا قيلَ

أوطانُ

بلادٌ متى ما جنتها جنتَ جنةً لعينك منها

كلما شئتَ رضوانُ

تمثّل لي الأشواقُ أن ترابهها وحصباها

مسكٌ يفوحٌ وعقيانُ

فيا ساكني مصرَ تراكمُ علمتُمُ بأني ما لي عنكم الدهرَ سلوانُ

(1)

(1) ماهر حسين فهمي: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، 37

(2) برقة بفتح أوله والقاف اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، ينظر الحموي

،معجم البلدان، 388/1



والمتتبع لشعر الحنين يجد ( المكان ) يشكل هاجساً كبيراً للشاعر، فالشاعر يبث حنينه لذلك المكان الذي شهد طفولته وصباه، متذكراً أيامه التي قضاها فيه، وكان للنسيم أثره في إثارة شوق الشاعر وحنينه إلى مسقط رأسه، واستخدم الشاعر ألفاظاً وأساليب متعددة؛ ليؤكد علاقته وحنينه لتلك الديار، فبدأ بالدعاء لوطنه ومسقط رأسه، كما صورها جنة من جنان الله على الأرض، ففيها كل ما يريده الإنسان من النعم.

وعبر البهاء زهير في موضع آخر عن حنينه الذي يعكس شعوراً بالوجد والحزن على فراق المحصب<sup>(2)</sup>، فتذكره النجوم بذلك المكان، فيزداد شوقاً، يقول:

[ الطويل ]

سقى الله أرضاً لست أنسى عهودها      ويا طولَ شوقي نحوها وحنيني

ببلادٍ إذا شارفتُ منها نجومها      بدا النورُ في قلبي

وفوق جيبيني

منازلُ كانت لي بهنَّ من منازلُ      وكان الصبا

إلفي بها وقريني

تذكرتُ عهداً بالمحصب من منى      وما دونه من أبطح ومجون<sup>(3)</sup>

يدعو الشاعر لموطنه بالسقيا، مظهراً شدة حنينه وشوقه لها، ففراقها يؤلمه ويجعل الحسرة تسيطر عليه ، وتذكره النجوم بها، فيستبشر برؤيتها والتنعيم بخيرها، وفيها قضى أيام صباه وشبابه الغالي، فتدفعه الذكريات إلى الحنين والشوق، وتذكر الشاعر أيامه في ذلك المكان، فحنَّ إليه.

(1) البهاء زهير ، الديوان ، ص360

(2) المحصب ، هو موضع بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب وهو بطحاء مكة ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان 4/ 541

(3) البهاء زهير ، الديوان ، ص 360

ويتكرر حنين البهاء زهير ودعاؤه لموطنه بالسقيا، فالشاعر يتذكر دار أحبته فيبث شكواه،  
لعلها تتأجبه، ويتذكر تلك الديار فيصفها معللاً نفسه بأن العودة لتلك الديار لا بد منها وإن طالت،  
يقول البهاء زهير مصوراً حنينه :

[ البسيط ]

سَقَاكَ صَوْبَ الْحَيَا يَا دَارُ يَا دَارُ      فَكَمْ تَقَضَّتْ لِقَلْبِي فِيكَ  
أوطارُ

وَحَبَذَا فِيكَ آثَارُ أَشَاهِدُهُمَا      مِنْ الْحَبِيبِ لَهَا  
في القلبِ آثَارُ

عَهْدَتْ رُبْعَكَ مَانُوساً يُغَاذِلُنِي      فِيهِ شَمْسٌ وَسُ مَنِيرَاتُ  
وأقمارُ

مَتَى تَعُودُ لِيَالٍ فِيكَ لِي سَلَفَتْ      فَهَمْ يَقُولُونَ إِنَّ الدَّهْرَ  
دَوَّارٌ<sup>(1)</sup>

لقد جرى الشاعر على عادة معظم شعراء الحنين في هذا العصر، فبدأ حنينه لموطنه بالدعاء  
بالخير والغيث والسقيا لتلك الأوطان، "فالسَّقْيُ مصدرٌ سَقَيْتُ سَقِيًّا وفي الدعاء سَقِيًّا لَهُ وَرَعِيًّا  
وَسَقَاهُ وَرَعَاهُ قَالَ لَهُ سَقِيًّا وَرَعِيًّا"<sup>(2)</sup>، ويكثر هذا الأسلوب في الدعاء عند شعراء هذا العصر،  
اقتداءً بالشعراء القدماء، إظهاراً لحبهم وعلاقتهم بديارهم، فالدعاء بالغيث والمطر لها يعني أن  
تبقى طيبة خصبة، صالحة للعيش.

(1) البهاء زهير ، الديوان، ص147

(2) ابن منظور : لسان العرب ، مادة سقي

ويلاحظ في الأبيات التكرار في عبارة (يا دار، يا دار) لتأكيد العاطفة المتأججة في نفسه؛ عاطفة الشوق والحنين، والحالة النفسية التي يعيشها الشاعر تبدو واضحة، كما يتمنى الشاعر عودة تلك الأيام السابقة، حتى يأنس بأحبته وبقربهم، ويظهر جلياً شعور الشاعر بالأسى لفراقهم، فهو يخفي في قلبه ألماً يعتصر قلبه.

ومما لا شك فيه أن الشعراء في هذا العصر افتتنوا بجمال بلادهم وطبيعته الخلابة، فأصبحت الطبيعة وسيلة الشعراء للتعبير عن الحنين إلى الأوطان، لذلك نجدهم يصفون الديار بما حوت من عمران وأنهار وكنائس ومساجد، بل وصل الأمر ببعضهم إلى وصف نساءها بجمالهن وزينتهن، فانعكست في قصائدهم آثار الحنين والشوق إليها، ويحنُّ ابن الوردي إلى المعرة، فيصفها ويجعل منها جنة الله على الأرض، ثم يسمي ما فيها من أديرة، ومنايع الماء، فيقول: [الطويل]

رعى الله عيشاً بالمعرة لى مضى حكاة  
ابتسامُ البـرق إذ هـو مـضى  
وعصرُ شَبَابٍ في سُبُباتٍ قَطَعَتْهُ وفي أرضِ  
حَدوثين<sup>(1)</sup> في ذلك الفضا  
أعـاذلُ لـو شـاهـتْ بـابَ جـنـاتِها  
لمـا كـنتَ يـوماً نـاهياً بـلْ مُحـرَّضـاً  
ولو "عين معرانا"<sup>(2)</sup> رأيتَ صفاءها لأصـبـحتَ من  
غـيظِ المـلامـةِ رِيضاً<sup>(1)</sup>

(1) حدوثين : مزرعة قريبة من معرة النعمان في شمالها الغربي، يطلق عليها اليوم "حدوثين" ينظر : الحموي، معجم

البلدان 310/2

(2) تقع جنوب عين مدة قرب المعرة ، ينظر تاريخ معرة النعمان 418/4

لقد بدأ الشاعر بالدعاء لمسقط رأسه جرياً على عادة شعراء الحنين بوجه عام، لكنه استخدم لفظاً جديداً للدعاء خلافاً للشائع وهو الدعاء بالرعاية، فالغاية واحدة وهي تمني عودة تلك الأيام الماضية، التي عاشها بسعادة في موطنه، فهو يصف ذلك العيش الذي مضى سريعاً في موطنه، ثم يتذكر أيام شبابه ويظهر حزنه على فراقها، ويطالب من يعذله ويلومه على شوقه إليها وحزنه على فراقها، بأن يذهب لمشاهدتها وتقدير جمالها، فيعود محرضاً على الذهاب إليها لا ناهياً عن ذلك، وليفهم أن البعد عنها سيسبب له المرض شوقاً وحنيناً .

## المبحث الثاني : الحنين إلى الأهل والأصدقاء

### أ- الحنين إلى الأهل والأقارب

1- الحنين إلى الأهل

2- الحنين إلى الأب

3- الحنين إلى الأبناء

ب- الحنين إلى الأصدقاء

---

(1) ابن الوردي ، الديوان، ص405-406

## أ - الحنين إلى الأهل والأقارب:

لا يستطيع الإنسان بأية حال من الأحوال أن يعيش بمعزل عن غيره من الناس، فمهما توفرت له سبل الحياة، لا بد من أناس يحدثهم ويحدثوه، ويعاملهم ويعاملوه، لأن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(1)</sup>، من هنا فلا غنى للإنسان عن غيره، فكيف به أن يعيش بعيداً عن أقرب الناس إليه: أهله وجيرانه وأحبته، لا بل كيف به يتحمل فراقهم وبعدهم عنه؟! من هنا كان شوق الشاعر وحنينه إلى الأقارب والأصدقاء أمراً حتمياً يعبر عنه في أشعاره، فبيث من خلال تلك الأشعار عواطف ملتهبة، وأشواقاً مستعرة في نفسه، وقد عبر عن ذلك بصور عدة أهمها:

---

(1) الحجرات : 13 \ 49



طَارَ قَلْبِي يَبِيَّوْمَ سَارُوا فَرَقَا      وَسَوَاءٌ فَاضَ  
دَمْعِي أَوْ رَقَا

حَارَ فِ فِي سَقْمِي مِنْ بَعْدِهِمْ      كُلُّ مَنْ فِي الْحَيِّ دَاوَى  
أَوْ رَقَى

بَعْدَهُمْ لَا طَلَّ وَادِي الْمُنْحَى      وَكَذَا بَانَ الْحِمَى لَا  
أَوْ رَقَا (2)

يعبر الشاعر عن عواطفه وقد غادره الأحبة وفارقوه، فهو في حسرة وألم دائمين، كيف لا؟! وقد حار في مرضه كل طبيب وراق، إلا أن سبب علته يعرفه هو فقط ألا وهو الحنين الذي أضناه .

إنَّ الناظر إلى المعجم اللغوي المستخدم في الأبيات السابقة، يجد الكثير من الألفاظ التي وظَّفت ضمن تراكيب وجمل جاءت بصيغ مختلفة لتصبَّ كلها في بوتقة (الحنين) فالشاعر استخدم ألفاظ مثل ( طار قلبي ، و فرقا، دمعي ، و سقمي، وداوى ، و رقا ) وهي ألفاظ تعكس الحالة النفسية السيئة التي وصل إليها الشاعر (3)، كما جاء بعضها بصيغة الماضي، لتدل على العودة إليه واستحضار صورته.

## 2 - الحنين إلى الأب

(1) شمس الدين الحنبلي (.... - 675هـ) محمد بن عبد الوهاب بن منصور العلامة شمس الدين أبو عبد الله الحراني الحنبلي. كان إماماً بارعاً أصولياً من كبار أئمة الفقه والأصول والخلاف. شذرات الذهب ج5\347، فوات الوفيات

ج3\428 ، الوافي بالوفيات ج1\477

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج2/329

(3) ينظر : محمد أحمد دقالي ، الحنين في الشعر الأندلسي ، 444،

عَبَّرَ الشَّابُّ الظَّرِيفَ (ت688هـ) -<sup>(1)</sup> عَنِ شَوْقِهِ لَوَالِدِهِ بِشَكْلِ يَعْكُسُ مَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الْمَشَاعِرِ  
الْجِيَّاشَةِ شَوْقًا وَحَنِينًا لِذَلِكَ الْأَبِ الَّذِي فَارَقَهُ، فَيَقُولُ :

### [الكامل]

أَبِي دَأْبُذَكَ تَنْقُضِي أَوْقَاتِي  
مَمَّا بَيْنَ سَمَّارِي وَفِي خَلَوَاتِي  
يَسَا وَاحِدِ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ لَذَاتِهِ  
أَنَا وَاحِدُ الْأَحْزَانِ فِيكَ لَذَاتِي  
وَبِحُبِّكَ اشْتَغَلْتُ حَوَاسِي مِثْلَمَا  
امْتَلَأْتُ جَمِيعَ جِهَاتِي  
حَسْبِي مَمْنَنُ اللَّذَاتِ فِيكَ صَبَابَةٌ  
عِنْدِي شَغَلَتْ  
بِهَا عَمَلُ اللَّذَاتِ  
يَا حَاضِرًا غَابَرًا تَبِيبُهُ عُشَاقُهُ  
عَنْ كُلِّ مَاضٍ فِي الزَّمَانِ وَآتِ  
حَاسِبْتُ أَنْفَاسِي فَكُلُّ أَرَا وَاحِدًا  
مِنْهَا  
خَلَا وَقْتًا مَمْنَنًا مِنَ الْأَوْقَاتِ<sup>(2)</sup>

إن عاطفة الحنان والحب للأب تتجلى في أبهى صورها في أبيات الشاب الظريف، كيف لا وهو يرى في والده أعلى ما يملك، فيذكره يستطيع التغلب على ما يلاقيه من مصاعب، فهو في نظره

(1) الشاب الظريف (661 - 688 هـ) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، شمس الدين، المعروف بالشاب الظريف، ويقال له ابن العفيف: شاعر مترقق، مقبول الشعر. وهو ابن عفيف الدين التلمساني الشاعر أيضا. ولد بالقاهرة، توفي بدمشق. الأعلام ج6\150، الوافي بالوفيات ج1\350، فوات الوفيات ج3\372

(2) الشاب الظريف، الديوان ص 99



واحد في الحسن والجمال ما له مثيل، وأصبح حبه والحنين إليه الشغل الذي يملأ نفسه وحياته، وما استخدام الشاعر لأسلوب النداء إلا أنه لا ينفك يرى في والده الأمل والكمال، وأنه وعلى الرغم من بعده، فهو قريب من نفسه لا ينساه .

إن المشاعر التي عبّر عنها الشاب الظريف في أبياته تعكس ما يحمله كل إنسان مخلص برّ بوالديه، فهو يتحسس ذلك العطف الذي ناله من أبيه، وتلك التربية والرعاية التي حفّه بها في أثناء حياته، وهو الذي ربّاه وفتح أمامه الآفاق، وكشف عن عينيه ذلك الجهل، فيقول :

[ الكامل ]

لَمَّا بَكَوْا وَضَحِكْتُ أَنْكَرَ بَعْضُهُمْ شَأْنِي وَقَالُوا :

الْوَجْدُ بِالْعِبْرَاتِ

يَا قَطْرُ عُمِ دِمَشْقَ وَأَخْصُصْ مَنْزِلًا فِـي

قَاسِيُونِ (1) وَحَلَّهُ بِنَبِيَّاتِ

فِيهِ الَّذِي كَشَفَ الْعَمَى عَنْ نَاطِرِي وَجَلَّا شُمُوسَ

الْحَقِّ فِي مِرَاتِي

فِيهِ الْأَبُ الْبَرُّ الشَّفَّوُقُ فِدَيْتُهُ مِنْ

سَائِرِ الْأَسْوَءِ وَالْآفَاتِ (2)

ومن الشعراء الذين وقفوا عند هذا المعنى شهاب الدين محمود (ت725هـ) حيث يقول :

[ السريع ]

(1) قاسيون: هو الجبل المشرف على مدينة دمشق وفيه عدة مغاور وفيها آثار الأنبياء وكهوف ، ينظر: الحموي ، معجم

البلدان ، 295١4

(2) الشاب الظريف : الديوان 99

هَلْ زَمَنْ وَأَنْى بِكُمْ عَائِدٌ

أَمْ هَلْ تَرَى يَرْجِعُ عَيْشٌ مَضَى

فَارَقْتُمْ بِالرَّغْمِ عَنِّي وَلَمْ

أَخْتَرَهُ

لَكِنِّي أَطَعْتُ الْقَضَا (1)

يستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام ، والذي يخرج إلى التمني ببقاء أبيه، فهو الفراق الذي جعل الشاعر يرحل دون رغبته لطلب الرزق، وما هذا الخروج إلى لإطاعة القضاء الذي هياً له ذلك .

### 3 - الحنين إلى الأبناء

عبر الشعراء عن حنينهم لأبنائهم، فلم يكن الشاعر بمنأى عن تلك الملمات التي أجبرته على الرحيل والفراق، هذا الفراق الذي أجبره على ترك الأهل والزوجة والابن، فمن الشعراء من يحنُّ إلى أبيه وزوجته وابنه، وكلما تذكرهم اشتعلت في نفسه نار الشوق والحنين، هذا الشاعر ابن العديم(ت666هـ) (2) يعبر عن شوقه لابنه مظهراً لوعة وحنناً على فراقه، يقول :

[ البسيط ]

وَشَخْصُهُ فِي سَوَادِ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

هَذَا كِتَابٌ إِلَى مَنْ غَابَ عَن نَظْرِي

عِنْدَ الْمَنَامِ

وَلَا يَمُنُّ بِطَيْفٍ مِنْهُ يَطْرِقُنِي

وَيَأْتِينِي عَلَى قَدَرٍ

(1) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة 3 186

(2) ابن العديم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم(588 - 660 هـ):ولد بالقاهرة. من كتبه " بغية الطلب في تاريخ حلب - خ " كبير جداً، اختصره في كتاب آخر سماه " زبدة الحلب في تاريخ حلب ، وله شعر حسن. الأعلام ج40\5 ، شذرات الذهب ج303\57 ، فوات الوفيات ج126\3

ولا كتـابٌ لهُ يَأْتِي فأسْمَعُ بِهـ

أنبـاءَ عَنهُ فِيهِ أَطِيبُ الْخَبْرِ

حَتَّى الشَّمَالُ الَّتِي تَسْرِي عَلَى حَلْبِ ضَمَّتْ عَلَيَّ فَلَمْ تَخْطُرْ وَلَمْ

تَسِرْ

أَبِيْتُ أَرَعِي نُجُومَ اللَّيْلِ مُكْتَتِباً مَفْكَراً

فِي الَّذِي أَلْقَى إِلَى السَّحْرِ

وَلَيْسَ لِي أَرْبٌ فَفِي غَيْرِ رُؤْيَتِهِ وَذَاكَ عِنْدِي أَقْصَى

السُّؤْلِ وَالْوَطْرِ (1)

تتضح العلاقة التي تربط بين أبناء الأسرة الواحدة، فالشاعر يتذكر ابنه الذي فارقه، فيذرف عليه الدموع، وينتظر من يأتي حاملاً له خبراً من فلذة كبده، ليسعد بسماع أخباره، "كما تتضح الوحدة العضوية في الأبيات بقوة، لأن الموضوع ينبثق من خلجات النفس، وجيشان العاطفة، وهما لا يقبلان أن يوضعا في قوالب عقلية جافة، وجاهزة سلفاً". (2)

ب - الحنين إلى الأصدقاء :

لا يمكن للإنسان أن يستغني عن أهله وأقاربه، فهو لا يستطيع أن ينسى أصدقاءه، وخصوصاً

من تربطه بهم علاقة متينة، يقول الشاعر شهاب الدين محمود يحنُّ إلى صديقه علاء الدين بن

[الطويل]

غانم من حصن صهيون:

أَلَمْ يَكْفِنِي شَيْءٌ وَقَى إِلَيْهِ وَأَدْمُغَ

عَلَيْهِ إِذَا مَا جَادَتْ الْغَيْثُ أَمْسَكَ

(1) الكنتي : فوات الوفيات 3 / 129

(2) ابراهيم نمر موسى ، شعر الحرب في العصر الأيوبي ، 102،

وإِنِّي مُنذِرٌ فَارْقَتُ - لَا دُقْتُ بَعْدَهُ - مُحْيَاهُ لَمْ  
أَصْحَبَ حَمِيمًا سِوَى الْبُكَاءِ  
إِلَى أَنْ شَكَ حَمَلًا غَدَوْتُ لِحَمَلِهَا  
أَكْبَادُ مِنْ هَمِّي فَوْقَ مَا شَكَا  
وَحَرَّكَ أَشْجَانِي عَلَى أَنْ فِي الْحَاشَا لَهَا بَاعِثًا  
فِي النَّفْسِ وَمُحَرِّكًا  
فِي نَازِحًا أَوْ دَى بَقَلْبِي وَلَمْ يَزَلْ  
بِإِخْلَاصِهِ فِي حُبِّهِ مُتَمَسِّكًا  
جَوَى لَوْ غَدَا فِي حِصْنِ صَهْيُونَ<sup>(1)</sup> بَعْضُهُ تَزَلْزَلًا أَوْ أَخْنَى  
عَلَيْهِ تَدَكِّكًا<sup>(2)</sup>

يتجلى حزن الشاعر وحنينه إلى صديقه من خلال بكائه الغزير، فالحزن والبكاء أصبح الرفيق الدائم له، فالشاعر استخدم ألفاظاً تعبر عن حالته النفسية، مثل، الدمع، والبكاء، و الهم، و الشجن ..كلها تعبر عن تلك العاطفة المتقدة حزناً وشوقاً.

ويقول ناصر الدين ابن النقيب(ت687هـ)<sup>(3)</sup> متشوقاً لصديقه السراج الوراق :

[ الرجز ]

(1) صهيون: حصن من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص لكنه ليس بمشرف على البحر ، ينظر: الحموي ، معجم البلدان، 436\3

(2) الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج4 ص94

(3) ابن النقيب (000 - 687 هـ) الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن ابن النقيب الكناني، ناصر الدين، المعروف بالنفيسي: شاعر، من أفاضل مصر. له (ديوان مقاطيع) في مجلدين، وكتاب (منازل الأحباب ومنازه الألباب) مجلدان. وشعره عذب. الأعلام ج2\192 ، فوات الوفيات ج1\324 ، الوافي بالوفيات ج4\143

يَا ساكنَ الرُّوضَةِ أَنْتَ المُشْتَهَى مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ

المُقْتَضَى

وَيَا سُرُورَ النَفْسِ بَيْنَ الشُّعْرَا أَنْتَ

الرَّضِيُّ فِيهِمُ وَالْمُرْتَضَى

وَيَا سِرَاجاً لَمْ تَزَلْ أَنْوَارُهُ

تُعِيدُ أَسْوَدَ اللَّيْلِ أَبْيَضاً

مِمَّا لَمْ يَأْرَاكَ قَاطِعاً لَوَاصِلِ

وَمُعْرِضاً عَنِ مُقْبِلِ مَا أَعْرَضَا (1)

إن حالة من الإحباط والتشتت ألمت بكثير من الشعراء نتيجة لفقد الأصدقاء والخلان، فالعاطفة بقوتها وروعها تستمد من نفس الأديب وطبيعته، من هنا جاءت عاطفة الأديب في شعر الحنين قوية ناتجة عن ألم وحسرة بسبب الفراق وعدم اللقاء (2).

وتستمر أحاسيس الشعراء متدفقة بالحنين والشوق لأصدقائهم، معبرين عن ذلك في أجمل اللوحات الفنية، ومن الشعراء الذي حنوا إلى أصدقائهم يحيى بن عبد العظيم المعروف بالجزار (ت679هـ) (3) يقول وهو يحنُّ إلى صديقة الشاعر ابن مطروح :

[ الرمل ]

هُوَ ذَا الرَّبِيعِ وَلِي نَفْسٌ مَشُوقَةٌ فَاحْبِسِ الرَّكْبَ عَسَى أَقْضِي حُقُوقَهُ

(1) الصفدي : الوافي بالوفيات، 51/12

(2) ينظر : محمد عبد المنعم خفاجي ، النقد العربي الحديث ومذاهبه، 38

(1) يحيى بن عبد العظيم (601 - 679 هـ) يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد، أبو الحسين الجزار، جمال الدين: شاعر مصري ظريف. كان جزارا بالفسطاط، وكذلك أبوه وبعض أقاربه. وأقبل على الادب،

وأوصله شعره إلى السلاطين. الأعلام ج8، 153، فوات الوفيات ج4، 277، شذرات الذهب ج5، 364

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان، 5265/6



هَلْ مَنَ عِنْدَهُمْ بُرْئِي وَإِسْقَامِي عِلْمٌ  
بَأَن نَوَاهُمْ أَصْلُ الْآمِي  
وَأَنَّ قَلْبِي وَجَفَنِي بِعَدْبُعْدِهِمْ  
ذَا دَائِي وَمُوجِدُهُ فِيهِمْ وَذَا دَامِي  
بِأَنُّوَا فَبِأَن رُقَادِي يَوْمَ بَيْنِهِمْ  
فَلَسْتُ أَطْمَعُ مَن طَيْفٍ بِالْمَامِ  
ضَنَيْتُ وَجَدًا بِهِم وَالنَّاسُ تَحْسَبُ بِي  
لُؤَامِي سَقَمًا فَأُبْهِمَ حَالِي عِنْدَ

وَلَيْسَ أَصْلُ ضَنِي جِسْمِي سِي سِي  
اشْتِيَاقِي إِلَى لُقْيَا ابْنِ تَمَّامٍ (1)

يؤكد الشاعر في الأبيات السابقة عمق حبه وشوقه وحنينه لصديقه، فيرى في قربه الشفاء والسلامة، وفي بعده السقم والمرض، ثم يمضي في وصف حاله، وكيف ترك ذلك البعد أثراً سيئاً في نفسه، ويعزو سبب تعب جسمه وضناه إلى الشوق المتدفق، والذي يورقه في كل أوقاته

ويقول شمس الدين بن غانم متشوقاً للصفدي : [ الكامل ]

شَوْقِي صِلَاحُ الدِّينِ نَحْوِكَ لَمْ يَزَلْ  
مَعَ فُرْطٍ وَجَدِي آخِذَا بَعْنَانِي  
أَوْحَشْتَ عَيْنِي مِنْذُ سَرْتِ وَلَمْ تَزَلْ  
وَاللَّهِ يَا مَوْلَايَ نُصَبَ عِيَانِي  
لَا كَانَ هَذَا الْمَرْجُ أَجْرِي عِبْرَتِي  
فَلِي الْخَيْدُ كَالْبَحْرِ

يلتقيان (1)

(1) الكتبي: فوات الوفيات، 161/2

من خلال المبحث السابق يتضح أن شعراء الحنين في العصر المملوكي الأول حنّوا إلى أصدقائهم ، فذكروا مناقبهم الحسنة، وارتبط حنينهم لأصدقائهم بالحنن والبكاء والحسرة، ويظهر تعلقهم بديار أصدقائهم، واستخدامهم لألفاظ ترتبط بالحالة النفسية لهم، كالبكاء والدموع والسقم والضنى وغيرها.

### المبحث الثالث : الحنين إلى المحبوبة :

للإنسان عواطف وأحاسيس سرعان ما تتدفع في لحظة وداع أو فراق حبيب باعدت المسافات بينهما، وهذا الارتباط الروحي لا ينفك يدفع الشاعر إلى أن يعبر عنه، وهذا ما جعل الحنين إلى المحبوب من الموضوعات المهمة في نتاج هذا العصر، وهذا حال كثير من الشعراء، فهذا البهاء زهير يؤكد تلك العلاقة ويدعو إلى التمسك بالعهد لأنه ما زال وفياً لمحبوبه، يقول:

[ الطويل ]

سَـنَـنَـمِي عَـلَى مَـنْ لَـا يَـرُدُّ سَـلَـمِي      لَـقَدْ  
هَـأَنَّ قَدَّرِي عِندَهُ وَمَقَامِي  
وَإِنِّي عَـلَى مَـنْ لَـا أَسْمِيهِ عَاتِبٌ      فِـيـأ  
رَبٌّ لَـا يَبْلُغُ إِلَيْهِ كَلَامِي  
فَـكَمْ بَيْنَنَا مَـنْ حَـرْمَةٍ وَمَـوَدَّةٍ  
وَكَـم مَـنْ مَـنْ وَثِقَ وَدَمَام

(1) الصفدي: أَلحان السواجع ، ج 81\1



حفظتُ لكمُ وداً أضغتمْ عهـ ودهُ فها  
هـ و مختومٌ لكمُ بختامي  
أحـ نـ إليكم كـ لـ يـ وم  
وليـةٍ وأهـذي بكمُ في يقظتي ومقامي (1)

عانتب الشاعر محبوبه باللين وإظهار الود، فهو لا يجد تجاوباً منه على الرغم من وفائه له، ومع ذلك ما يزال الشاعر وفياً له، بل وصل الأمر به إلى الهديان باسمه وبحبه في ليله ونهاره، ولعل في استخدام الشاعر للفعل المضارع مثل (أحنُّ ، أهذي) ما يدل على ارتباط بالمحبيب. وقد ربط النقاد القدامى والمحدثون "بين موضوع رثاء المرأة، والغزل الباكي، ذلك أن الشاعر الذي هجرته محبوبته يعبر في شعره عن تعاسته وحنينه إليها وتشوقه، ويصف ما فعله الفراق به،" (2)

إن الحنين والتلهف إلى لقاء المحبوبة يدفع الشاعر لبث أشواقه وحنينه، فالشاعر يتذكر المحبوب فيزداد الشوق والحنين، ولا يجد طعماً للراحة في بعده عنه، وتبقى الدموع هي حليفه الذي يخفف من آلامه وأشواقه، يقول مجد الدين الإربلي (ت 677هـ) :

أحـ بابنـا والـ عذـر منـ كم  
إليكم إذا ما شغلنا بالنـوى أن نودعـا  
أبثكم شـوقاً أبـاري ببعضـه  
حمام العشايا رنةً وتـوجـعا

(1) البهاء زهير : الديوان 305  
(2) راند عبد الرحيم : فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي ، 176

أبيتُ سُمرَ البَرِّ رِقَ قَلْبِي مِثْلُ  
أقضي به اللَّيْلَ التَّامَ مُرُوعًا  
وما هو شوقٌ مُدَّةٌ ثمَّ يَنْقُضِي  
أَنَّ لَنَا كُنْ مُحِبًّا تَفَجَّعًا  
ولكنَّهُ شوقٌ عُلَى القربِ والنَّوَى  
الأمَّا قِي مَدَمَعًا ثمَّ مَدَمَعًا

ومن فارقَ الأحبابَ في العمرِ ساعةً كمن فارقَ الأحبابَ في العمرِ أَجْمَعًا؟ (1)  
وظَّف الشاعر أسلوب النداء في بداية قصيدته وهو نداء للقريب على الرغم من بعد محبوبه،  
ليؤكد أنه ما زال يرى فيه ذلك الحبيب القريب الذي يتمنى لقاءه، كما أكثر من استخدام  
المضارع المستمر (أبتكم، أبيتُ) ليؤكد أن هذا الشوق والحنين مستمر لا ينقطع .  
وهذا علي بن أحمد الحسين الأسفوني (ت731هـ) (2) يتشوق إلى محبوبه فيخطبه : [ الكامل

أَيَا هَاجِرِينَ أَمَا كَفَى هَجْرَانِ  
ذُلُّ الهَى وَوَى  
فِي الحَالَتَيْنِ هَـ وَانُ  
نَمْتُمْ قَرِيرِينَ الجُفُونِ مِنَ الكَرَى  
وَالطَّرْفُ سَاهِ  
بِعَدَاكُمْ سَهْرَانُ  
بِاللَّهِ يَا حَادِي الرِّكَابِ إِذَا جِئْتَ الحِمَى

عَرَّسَ فَنَمَّ تُعَرَّسِ الأَظْعَانُ (1)

(1) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 1 \ 194  
(2) علي بن أحمد بن الحسين الأسفوني ذكره الكمال جعفر وقال أخذ الفقه عن البهاء القفطي والأدب عن الغضنفر  
الأصفوني والجلال ابن الشواق الدشنائي وغيرهما وكان أديبا ذكيا كريم الأخلاق وخدم في الديوان وجلس مع  
الشهود ومات في رمضان سنة 731هـ ، الدرر الكامنة 1\346 ، الطالع السعيد ، 369

يخاطب الشاعر من فارقهم ومن هجروه بأن الهوى قد أذله، فبينما هم ينامون قريري العيون لا يجد هو سبيلاً للنوم أو الراحة، وهذا ما يظهر عند معظم شعراء الحنين .

وعندما يتحدث الشاعر عن رحيل المحبوب وفراقه، تكون الشكوى هي الغالبة على تلك المعاني، ولكن الشكوى هنا مرتبطة بالشوق الشديد الذي يدركه المحبوب، وهنا يطغى الرجاء والأمل بأن تتمكن تلك العين من الغفو والرقاد بعدما منعها الشوق من ذلك، وكثيراً ما يتمنى الشاعر أن لا يفارق حبيب حبيبه، يقول صفي الدين الحلي(ت750هـ) (2):

[ البسيط ]

أشكو إليك اشتياقاً لست تنكره      منّي وأبدي  
ارتياحاً أنت تعرفه  
أرتجيك لعين أننت ما عرفت لها  
طيب الرقاد ، وقلب أنت متلفه  
فكل يوم مقالي حيان يلقني      قلب  
لبعدك باللق يا أسوقه  
لا أوحش الله من لا أرى أحداً      من الأنام ، إذا ما  
غاب يخلفه (3)

(1) الأدفودي ، الطالع السعيد ، 369

(2) صفي الدين الحلي (677 - 750 هـ) عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السندي الطائي: شاعر عصره. ولد ونشأ في الحلة (بين الكوفة وبغداد) واشتغل بالتجارة، فكان يرحل إلى الشام ومصر ومار دين وغيرها، ورحل إلى القاهرة سنة 726 هـ فمدح السلطان الملك الناصر. وتوفي ببغداد. له "ديوان شعر الأعلام ج174 ، فوات الوفيات ج3382 ، الوافي بالوفيات ج1726

(3) صفي الدين الحلي : الديوان ، 45

لقد استخدم الشاعر أسلوب الخطاب على الرغم من بعد المسافة والفرق الذي يعاني منه ليؤكد أن هذه العلاقة وهذا الشوق والحنين متجدد فيه، لا يخبو وإن طال به الزمن، لذلك يعزز تصميمه وإرادته من خلال التأكيد على علاقة المحبة الدائمة التي لا تنقطع .

ومن الملاحظ بكثرة في شعر الحنين ارتباط الحنين للمحبوبة بديارها، وسؤاله عن الأحبة، وكأنه مسافر قادم من أرضهم ، ومن الشعراء الذين حنوا إلى محبوباتهم وأظهروا حسرة ولوعة على فراقها شهاب الدين التلعفري حيث يقول :

[الطويل]

بَكَيْتُ فَحَرَّمْتُ الْمِيَاهُ وَرَدَّهَا  
وَلَوْلَمْ تُخَالَطْهَا دُمُوعِي لَحَلَّتْ

وَقَسَفْتُ بِجُرْعَاءِ الْعَيْقِقِ مُسَائِلًا  
مُنَازِلَ أَقْوَى رَسْمِهَا وَاضْمَحَلَّتْ

وَمَازَا إِذَا عَسَى يُجِدِي سُؤَالَ مَعَالِمِ  
عُرُوشِ مَغَانِيهَا تَدَاعَتْ فَتَلَّتْ

فَلَيْتَ الْحَمَى لَا اخْضَرَ رَوْضُ وَرُودِهِ  
فَقَدْ رَحَلَّتْ أَطْعَانَهُ  
وَاسْتَقَلَّتْ<sup>(1)</sup>

استطاع الشاعر أن يوظف الكثير من الأساليب ليعبر من خلالها عن مدى شوقه وحنينه لتلك المحبوبة، فالأمر لمخاطب وهمي خيالي إنما يوحي بحاجة شديدة لدى الشاعر لمعرفة مكان الأحبة، ثم أسلوب الاستفهام الذي يعكس اضطراباً وضياعاً وعدم استقرار، ثم ينتقل إلى أسلوب

(1) التلعفري ، الديوان، ص 7

التمني الذي تكرر مرتين ليوحي بحاجة ماسة للقاء والقرب، بعد أن يئس الشاعر من سؤال الأطلال، فالرحيل تمّ، وأصبحت الديار خالية مقفرة لا خضرة ولا حياة .

إن هذا الحنين والتلهف للقاء المحبوبة يدفع الشاعر إلى الشكوى من الفراق، فالديار أصبحت بعيدة، ولا مفر أمام الشاعر إلا أن يذرف الدموع غزيرة، ثم لا بد من الاعتراف بأن الفراق هو سنة المحبين، فقلما يجتمع شملهم، ثم ينتقل الشاعر بالاستفهام عن أي عاشق ما زال يبكي ويندب حظه العاثر، بل يصل الأمر به إلى مساءلة الأطلال عن محبوبه، فلا يجد جواباً، لذلك لا ينسى بكاء ديار محبوبته، فيقول :

[ الخفيف ]

نَزَحَتْ دَارُهُمْ وَشَطَّتْ مَمَّ زَارَا  
فَدَعَوْنِي أَجْرِي الدُّمُوعِ غِزَارَا  
هَذِهِ سُنَّةُ الْمُحِبِّينَ إِذَا تَمَّ سِي  
المغاني من الغواني قفارا<sup>(1)</sup>

بدموع إذا استعرا عرن استعارا  
في ربوع ما استعرا رن استعارا

يا جوارى الدموع أين الجوّاري ؟ وعذارى الأطلال  
أين العذارى

أصبحت عنك أعين اللهو صوراً حين لم تلق فيك ذاك  
الصوّار<sup>(2)</sup>

من خلال الأبيات السابقة نشعر بمدى اللوعة والحسرة التي يعيشها الشاعر، بعيداً عن محبوبته التي رحلت، فتعزّيه الدموع التي تنهمر، ويظهر استخدام الشاعر للبديع من جناس مثل ( مزاراً

(1) الغواني : مفرد غانية ، وهي المرأة التي غنيت بجمالها وحسنها عن الحلي ، ينظر: اللسان : مادة غني  
(2) التلعفري، الديوان، ص 17

و غزاراً والتصريع في الشطر الأول، مثل (مزاراً ، غزاراً) ، وهو يبدو عفويًا ، في كثير من الأحيان ويضفي إيقاعاً موسيقياً جميلاً .

ومن الحنين لديار المحبوبة تلك اللحظات التي وقفها التلعفري على أطلال محبوبته يناجي تلك الديار، ويُعلّل نفسه بالبكاء على تلك الأيام التي عاشها بالقرب من المحبوبة : [الطويل]

عَدَاتَ عَلِيٍّ أَنْ الْمَلَامَةَ تَنْفَعُ      وَلِيٍّ مَنْ  
غَرَامِي شَاهِدٌ لَيْسَ يُدْفَعُ

أَعْدُو مَمْنُ الْوَجْدِ الْمُبْرِحِ وَادِعَاً      وَقَدِ  
جَدَّ لِلْبَيْنِ الْخَلِيطِ الْمُوْدَعُ

وَمَا شَجَانِي بَعْدَ أَسْمَاءَ أَرْبَعُ      خَلَّتْ وَعَفَى  
مَنْهَا مَصِيفٌ وَمَرَبَعُ

وَقَفْتُ بِهَا أَسْقِي الثَّرَى مِنْ مَدَامِعِي      سَحَائِبَ مَا كَانَتْ عَنِ الدَّمْعِ تُقْلَعُ  
أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْبُكَاءِ عَلَيَّ الْحَمَى      وَأَيُّ

عَلِيٍّ بِالتَّعَلُّلِ يَنْفَعُ<sup>(1)</sup>

من خلال الأبيات السابقة يحنُّ الشاعر إلى دياره، حيث محبوبته، ويظهر شوقه إلى اللحظات التي قضاها بجوارها، ويبرر تلك الدموع للائيمه من العذال، و كان الشعراء يتشوقون لأيام قربهم من المحبوب، فيتذكرون تلك الأيام فيتجدد الحزن على فراقهم، فيتمنى الشاعر عودتها، يقول عثمان الفرجوطي (ت739هـ)<sup>(2)</sup>:

[الكامل]

(1) التلعفري : الديوان، ص 26

(2) الفرجوطي (000-739هـ) عثمان بن أيوب عرف بابن مجاهد. أديب شاعر ظريف الشكل، حسن الخلق، متواضع النفس. قال الفضل كمال الدين جعفر الإدفوي: رأيتُه بفرجوط مرات، له نظم كثير. وكان ملازماً

سُقِيَّاً لَأَيَّامِ الْوَصَالِ وَطَيْبِهَا  
وَالْحَيِّ وَالْمَغْنَى الْغَنَى أَنَيْسُ

وَجَدِي يُجَدِّدُهُ الْغَمُّ رَامٌ لِنَحْوِكُمْ  
صَبْرِي بَعْدَكُمْ مَدْرُوسُ

حَدَّتْ الْحُدَاةُ بِذِكْرِكُمْ فَاسْتَحَدَّتْ  
لَهُ تَأْسِيسُ

وَجَرَّتْ أَحَادِيثُ الْحَمَى فَكَانَتْهَا  
عِنْدَ ذَاكَ كُؤُوسُ

فَوَغَدَتْ مَطَايِنَا تَجِدُ بُوَجْدِنَا  
طَرِبَ بِنَا وَتَمَيْسُ

وَتَحِنُّ حِينَ تَرَى الْقَبَابَ وَتَرْتَمِي وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَحِنَّ الْعَيْسُ<sup>(1)</sup>

يدعو الشاعر للأيام التي قضاها بالقرب من محبوبه بالسقيا، فهي الأنيس له في وقت الوحشة  
ويزداد شوق الشاعر عندما يرى تلك المنازل تبدو من بعيد .

إنَّ المعاني التي تضمنها شعر الحنين إلى المحبوبة تدور في فلك الصبابة والشوق،  
والحنين واللوعة والاحترق والأمل الشاحب أو الثابت، والاستنكار والاستعبار، والخوف من  
المصير المجهول، الذي يترقبه الحبيب. <sup>(2)</sup>

للتلاوة، عديم الطلب مع ظهور فاقتة، قانعا بالقليل من الرزق. الدرر الكامنة ج3\1\337 ، الوافي بالوفيات

ج335\6، فوات الوفيات ج140\3

(1) الأدفودي : الطالع السعيد ، 348

(2) ينظر: ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر الملوكي، ص139





جميل، هجره وطال بعباده، فاعتلَّ لهذا الفراق، ولم تبق له سوى الذكريات الجميلة: ]

### [ الخفيف ]

أيِّ دَمْعٍ مَعِ مَنَ الْجَمْعِ فَوْنُ أَسْأَلِهِ إِذَا  
أَتَتْهُ مَعِ النَّسِيمِ رِسَالِهِ

حَمَّاتُ الرِّيحِ أَسْرَارَ عُرْفِ  
أودعتها السحائبُ الهطَّالة

يَا خَلِيلِي وَاللَّيْلِ خَلِيلِ حَقِّ وَقْفِ  
واجباتُ الدَّاءِ فِي كُلِّ حَالِهِ

وَلِيَّ قِيَالِ قَضِيَّةٍ هَا  
كَلَّالِ بَغْزَالِ تَغَارُ مِنْهُ

### الغزاة

بِابِلِي اللَّحْظِ وَالرِّيِّقِ وَالْأَلِّ  
فَاطِ كَلِّ مَدَامَةِ سَلْسَالِهِ (1)

الناظر في الأبيات السابقة يجدها تعبر عن عاطفة متأججة تجاه هذا الغلام، وهذا ما شعاع في شعر الغزل بالغلماَن بشكل عام.

إن ارتباط شعر الغزل الغلماَني بالحنين في هذا العصر ليس بجديد، فالتلعفري واحد من أولئك

الشعراء الذين خاضوا غمار هذا الفن، فكتبوا فيه ما عانوه من ألم الفرقة والشوق والحنين<sup>(2)</sup>.

(1) الكتبي : فوات الوفيات، 674

(2) ينظر: ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، 154

ومن شعر الحنين إلى الغلمان، ما نظمه صفي الدين الحلي في صبي نصراني هام به وأحبه حباً شديداً، فوقف الشاعر على كل ما يتعلق بالنصارى من مقدسات وأماكن دينية، يقول: (1)

[ الرجز ]

يَا وَيْحَهُ مِــــنَ عَاشِقٍ مَــــا يَلْقَى  
مِــــنَ أَدْمَعٍ مَنهَلَةٍ مَــــا تَرْقَا  
ذَابَ إِلَيَّ أَنْ كَادَ يَفْنَى عَشْقًا  
وَعَمَّنَ دَقِيقِ الْفِكْرِ عَنْهُ دَقًّا  
لَمْ يَبْقَ مِــــنْ غَمٍّ غَيْرُ طَرْفٍ يَبْكِي  
بِأَدْمَعٍ مِثْلَ نِظَامِ السَّمَاكِ  
كَأَنَّهَا قَطْرُ السَّمَاءِ تَحْكِي  
هِيَ هَاتَ هَلْ قَبَسَ دَمٌّ بِقَطْرِ (2)

يتشوق الشاعر إلى ذلك الغلام، فدموعه لا تتوقف عن الانهمار بغزارة، حتى كاد يختفي من شدة الشوق، وهو يستخدم تلك الألفاظ الدالة على مدى شوقه وحنينه، ومنها (أدمع، ذاب، يفنى، يبكي، ) وهي ألفاظ مستمدة من معجم مأساوي يفيض بمعاني الحزن والألم.

[ البسيط ]

وهذا سراج الدين الوراق يتشوق إلى غلام أحبه :

عندي من الشوق مالا أستطيع له      وصنفاً ولم أستطع حصراً فأحصره  
يميتني ثمَّ يحييني ، فَأَكْتَمُهُ      تجري دموعي على  
خدي فيظهره

(1) ينظر: ياسين الأيوبي، م، ن، 147

(2) صفي الدين الحلي : الديوان، 443

سَلْ إِنَّ شَكَّتْ نَجُومَ اللَّيْلِ عَنْ خَبْرِي      تُخْبِرُكَ أَنَّ لِي لَطُولَ اللَّيْلِ  
أَسْهَرُهُ

يَا لَأَتَمِّي فِي هَوَى الطَّبِيِّ الْأَعْنَى عَسَى      تَطْوِي لِي لَطُولَ اللَّيْلِ  
فِيهِ يَقْصُرُهُ (1)

نستنتج من خلال المبحث السابق أن الحنين إلى المحبوبة اقترن بالحنين إلى ديارها، وأن الحفاظ على العهد مستمر حتى وإن باعدت بينهم المسافات، كما يظهر حزن الشاعر وألمه على فراق المحبوب، فهو يأمل دائماً باللقاء الذي يجمعه مع من يحب، وتغلب على أشعار الحنين في المحبوبة ألفاظ الحزن والشوق والدموع والبكاء، وهي تعكس ما يعيشه الشاعر من الألم والحسرة.

#### المبحث الرابع: أنواع أخرى من الحنين

أ- الحنين إلى الماضي

ب- الحنين إلى الديار المقدسة

ت- الحنين إلى ال

(1) ميسر حميد: سراج الدين الوراق، حياته وشعره، ص127

## أ- الحنين إلى الذكريات الماضية:

حنَّ الشعراء إلى الماضي بكل جوانبه ، ومن صور الحنين إلى الماضي الحنين إلى أيام الصِّبَا والشَّبَاب، حيث عاشوا السعادة والهناء. ومن الشعراء الذين تأثروا كثيراً بظهور الشيب، وتحسروا على شبابهم، شهاب الدين التلعفري، يقول :

[ الطويل ]

سَلامٌ على عَصْرِ الشَّبَابِ الذي مَضَى      وروحي بضافي ظلّه ما تمّلتِ

وأهـاً لأهـاً الشَّبَابِ التي بهـاً

تجلّت غياباتُ العمى وتولّت

عرفتُ بِها هـ ذَا الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ

فَرَحْتُ بِشَيْبِي غَافراً كُلَّ زَلَّةٍ (1)

يبدو الشاعر متألماً متحسراً على تلك الأيام التي كان فيها شاباً يافعاً، وهو يظهر حزنه على فراقها.

ومن الشعراء الذين وقفوا عند هذه المعاني البوصيري، حيث يقول: [الكامل]

كَتَبَ الْمَشِيبُ بِأَبْيَضٍ فَبِي أَسْوَدٍ بَغْضَاءِ

مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُرْدِ

فَجَلَّتْ عِيونُ الْحورِ حِينَ وَصَفْتَهَا وَصَحْفُ الْمَشِيبِ قَلَنَ لِي: لَا

تُبْعِدُ

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَسَوْفَ أَذْهَبُ مِثْلَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ وَمَا

أَمْرٌ بِمُخَدِّ (2)

يتضح من خلال أبيات الشاعر تحسره على تلك الأيام، فهو يرى في الشيب نذيراً بقرب أجله، فيعلن أنه ذاهب كما ذهب شبابه، وأن الإنسان لن يتخلد مهما طال عمره.

إن التجربة القاسية التي عاناها الشعراء أخذت تسيطر على أنفسهم، فزمن الشيبية لا يرجع، وقدره لا يعرف إلا بفواته. (3)

يقترن الحنين لأيام الشباب عادة باليأس والإحباط، والخوف من الموت، فالشيب نذير للشاعر بأن حياته شارفت على نهايتها، فمن الشعراء من تصوّف أو تزهد في أواخر أيامه، خوفاً من الحساب، وطمعاً في الجنة، فالبوصيري يعترف أن الشباب زائل، وأن الإنسان لا محالة زائل.

(1) التلعفري: الديوان، ص 8

(2) البوصيري: الديوان، ص 64

(3) ينظر: محمد أحمد قالي، الحنين في الشعر الأندلسي، ص 335

ومن الشعراء من يرى أن الحياة والعيش لا يكون إلا في أيام الشباب والصبا، فهذا الشيخ جمال

الدين محمد بن علاء الدين الهروي المعروف بالشيخ زادة (ت751هـ) <sup>(1)</sup> يقول : [ الطويل ]

وما العيشُ إلا والشبيبةُ غَضَّةٌ      ولا الحُبُّ إلا  
والمحبُّونُ أطفالٌ

وهُمُ زعموا أنَّ الجنونَ أخو الصِّبا      فليتَ جنوناً دَامَ والناسُ  
عُقَّالٌ <sup>(2)</sup>

يتمنى الشاعر أن يدوم صباه ولو اعتبر ذلك نوعاً من الجنون، ويبدو من خلال البيتين مقدار الحزن الذي يكتنف نفس الشاعر، لفراق أيام الشباب.

وهذا سراج الدين الوراق (ت695هـ) <sup>(3)</sup> يبكي شبابه ويحنُّ إليه، بعد أن غزا الشيب رأسه يقول:

[ الوافر ]

وكنتُ حبيباً إلى الغانياتِ      فألبسني المشيبُ  
بُغضَ الرقيبِ

وكنتُ سراجاً بـليلِ الشَّبَابِ      فأطـفأ  
وري نهارُ المشيبِ <sup>(4)</sup>

يسير الشاعر على نهج الشعراء في عصره، فيبدأ بالدعاء لتلك الأيام السالفة، ويعبر عما يختلج في قلبه من مشاعر متدفقة، تجاه أحبته وذكرياته، ويظهر في الأبيات ما يعانيه الشاعر، من ألم البعد والفراق ، فكلما تذكر أحبته تأججت مشاعر الشوق والحنين في نفسه .

(1) الهروي ( 000 - 753هـ ) جمال الدين محمد بن علاء الدين على بن الحسن الحلبي الحنفي، المعروف

بالشيخ زادة. كان فقيهاً متصوفاً زاهداً ، النجوم الزاهرة ج1763 ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 147/3

(2) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 147/3

(3) السراج الوراق ( 615 - 695 هـ ) عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين الوراق: شاعر مصر

في عصره. له " ديوان شعر " كبير، في سبعة مجلدات.الأعلام ج63١5 شذرات الذهب ج430١5 فوات

الوفيات ج140١3

(4) الكتبي : الوافي بالوفيات ، 1140/3

كذلك تتكرر ظاهرة الحنين إلى الأيام الماضية والذكريات الجميلة، فهذا محمد بن فضل القوسي(ت743هـ)<sup>(1)</sup>، حين يتذكر أيام شبابه، تهيج الأشواق في نفسه، يقول :

### [ الطويل ]

تُـرَى هـَـلْ لِعَيْنِي حَمِيمَةً أَنْ تَرَآكُمُ  
وَكَيْفَ؟ وَفِيهَا لِلدُّمُوعِ تَرَآكُمُ  
وَمَا بِي فَقْرٌ إِنْ حَلَلْتُ بِأَرْضِكُمْ  
وَقَفَّةً فِي تَرَآكُمُ  
أَسِيرٌ إِلَيْكُمْ وَالسَّيِّءُ قَامٌ يَقُودُنِي  
حَمَامِي دُونَكُمْ أَوْ حَمَاكُمْ  
وَكَمَا أَنَّ شَبَابِي إِنْ غَضِبْتُمْ تَجَنَّبًا  
رِضَاكُمْ  
وَكُنْتُ أَظُنُّ الشَّوْقَ يُنْهِى عَنِ النَّوَى  
فَلَمْ يُنْهِنِي عَنْكُمْ وَلَا  
نَهَاكُمْ<sup>(2)</sup>

يبدأ الشاعر بالتساؤل عن إمكانية اللقاء، إلا أنه يشير إلى صعوبة ذلك، كيف والدموع تتراكم غزيرة من طول الفراق، ويتذكر أيام شبابه، وتلك الذكريات الجميلة، فتثور في نفسه الأشواق، وتسيطر عليه الأحزان .

---

(1) القوسي (000 - 715هـ) إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن برتق القوسي ثم المصري جلال الدين أبو الطاهر اعتنى بالعلم وفاق في العربية والقراءات وقال الشعر الحسن وتصدر بجامع ابن طولون وبأشر العقود وكان آية في التنذير وحسن المحاضرة وكان يحفظ شيئاً كثيراً من الأشعار والنوادر. الدرر الكامنة 121\1 ، المنهل الصافي 170\1، أعيان العصر 140\1  
(2) الأدفودي : الطالع السعيد ، 604

ولا تخفى في الأبيات تلك الصنعة البديعية ، وهي هنا لطيفة خفيفة، لا تخالف صدق المشاعر والأحاسيس، وهي بعيدة عن التكلف والمبالغة، منها الجناس في البيت الأول بين كلمتي (تراكم وتراكم)، فالأولى من الرؤية، والثانية من التجمع و التزايد، كذلك كلمتي (الثراء والثرى) فالأولى من الثراء والغنى، والثانية من التراب .

ولا يخفى ما لموسيقى بحر الطويل من الأثر الموسيقي، وهو بحر يصلح للتعبير عن المشاعر والأحاسيس .

ويحُنُّ مجد الدين ابن الظهير الإربلي إلى أيام الشباب، والأيام الماضية والذكريات السابقة مع الأهل والأحبة، فلا يخفي حنينه لأيامه العذبة، وذكرياته الرقيقة . يقول : [ الطويل ]

ديارٌ قضيـنا فيها العيشَ مُنعمًا      وأيـاً مـامنا  
تَحَنُّو عَـلينا وتُشْفِقُ  
سَحَبنا بها بردَ الشَّبَابِ وشُرْبُنَا      لـذيذٌ كما شئتَ مُصَفَى ،  
مُصَفَّقٌ<sup>(1)</sup>

ثم يمضي لإلقاء التحية على تلك الديار وأهلها، ولو من وراء الحجب والأعوام، مذكراً أنه باق على العهد، ما بين غياب الأمل والفرح وحضور العذاب :

[ الطويل ]  
أجيراننا بالغا وطتين عليـكم  
سـلامٌ مشوقٌ قد براهُ التشوقُ  
لـهُ كُـلُّ يـومٍ ثـوبٌ وجِدٌ مُجدٍ      وصـبرٌ  
كما شاعت نـواكم ممزقٌ

(1) الكتبي : فوات الوفيات ، ج3 306



أظُلُّ نَجِيَّ الشُّوقِ لَا نَارَ لَوْعَتِي      تَبْـوُحٌ ، وَلَا شَمْلَ الْأَسَى  
يَتَفَرَّقُ

وَكَمْ لَيْلَةٍ شَابَ الْفَوَادُ بِطَوْلِهَا      وَمَا  
شَابَ لِلظُّلْمَاءِ فُودٌ وَمَفْرَقٌ<sup>(1)</sup>

إن الألفاظ الحزينة طاغية على هذه القصيدة، فمن التشوق الذي يرى جسمه، إلى الوجد المتجدد ، ثم اللوعة التي تشعل نار الحزن في نفسه، كل هذا المعجم المأساوي إنما يعبر عن حالة من الأسى يعيشها الشاعر بعيداً عن أحبته وأهله.

ثم يمضي الشاعر يتساءل وهو يعلم باستحالة العودة واللقاء، فيقول : [ الطويل ]

وَهَلْ يَجْمَعُنِي وَالْأَحَبَّةُ مَوْقِفٌ      لَنَشْكُو جَمِيعاً مَا لَقِينَا وَمَا لَقُوا<sup>(3)</sup>

وهذه القصيدة من القصائد اختصت بموضوع واحد وهو شعر الحنين، لذلك فهي غنية بالمعاني التي تعبر عن هذا العاطفة الإنسانية.

ومن أمثلة الحنين إلى الذكريات الماضية، قول عبد الملك بن الأعز بن عمران

الأسنائي (ت707هـ)<sup>(2)</sup> : [ السريع ]

رَفَقاً بِصَبِّ يَأْهُيْلَ الْعَقِيقِ

دُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَيْكَ عَقِيقُ

سَقَيْتُمُ كَأَسْ هَوَاكُم لَمَّ لَهْ

صَرَفاً، فَمِنْ سَكْرَتِهِ لَا يُفِيقُ

(1) الكتبي : م، ن، 306\3

(3) الكتبي : م، ن ، 306\3

(2) الأسنائي (000-707هـ) عبد الملك بن الأعز بن عمران الثقفي الأسنائي؛ كان أديباً شاعراً، قرأ النحو والأدب على الشمس الرومي، وله ديوان شعر. فوات الوفيات 2\396 ، الدرر الكامنة 2\415 ، معجم المؤلفين 6\180

طريقُ أشواقِي لكم سَـالكُ وما إلى

السلوان عنكم طريقُ

زوروا ولو بالطيفِ مُضنيَ بكم إذا هَجَرْتُمْ ، هَجْرُكُمْ لا يُطيقُ (1)

يتشوق الشاعر لأهله وأحبته، ويحنُّ إلى تلك الأيام الخوالي، حيث يسعد بقرب من يحب، فيطلب زيارة ولو بالخيال، علَّها تخفف عنه وتُسعده.

وهذا ناصر الدين التتوخي (ت751هـ) (2)، يحنُّ إلى تلك الأيام والذكريات الماضية، فيقول:

[ البسيط ]

ودعتُكم وفؤادي في وديعتكم رهـنـ

وقلبي ولبي أنتم فيه

فلا صديقُ صدوقُ السرِّ ذو كرمٍ بعينيه في الذي أمسى يعانيه

يحنُّ شوقاً إذا جـنَّ الظلام وإن ناحت مطوقةً في الصبح تحكيه

وإن يهبُ نسيماً مـن ديـاركم معطراً

بشـ ذاكم، فهو يبكيه (3)

يعبر الشاعر عن عميق حزنه لفراق من يحب، فهو يشعر بالوحدة التي لم يعهدها في أيامه السالفة، لذلك يزداد حنانه وشوقه وما نواح الحمامة على فراخها، إلا لتحاكيه في شوقه وحنينه .

(1) الأدفودي: الطالع السعيد، 307

(2) أمير الغرب (668 - 751 هـ) الحسين بن خضر بن محمد بن حجي ابن كرامة بن بحتر التتوخي، ناصر الدين ابن سعد الدين ابن نجم الدين: أمير تنوخي، من (آل كرامة) من بيت (أمير الغرب) بلبنان. وكان فصيحاً بليغاً، له نظم وعناية بالأدب. ينظر: الأعلام ج2/237 الوافي بالوفيات ج4/240 السلوك ج2/176 الأدفودي: الطالع السعيد، 307

(3) ياسين الأيوبي: آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، 320

وما أكثر ما حمل النسيم أخبار الأحبة والديار البعيدة، فكأنه بريد سماوي، ينتقل من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، وهو ينقل الأحاسيس والمشاعر، لا فرق عنده بين شاعر وآخر، فالأحاسيس واحدة، لا تختلف باختلاف مكانة أصحابها، يقول محمد بن فضل القوصي(743هـ):

### [ الكامل ]

لا أكثرُ الشكوى له فأتى فأتى  
وكفى على  
حالي النسيم دليلاً  
لمس الصبا جسدي فألبسه الضنى  
فنسيمها يسري إليّ عليه عليلاً  
أصبح جسمي والعهدود ساقية  
وأقرّ، إن عزم الخليط  
رحيلاً

لهم أدر إلا كمان حُماً قريباً لهم  
والبعدُ بعدهم أتى تأويلاً (1)

يجد الشاعر في النسيم شاهداً على ما هو فيه من الألم، فيطلب منه أن ينقل أخباره إلى أحبائه  
لعلهم يتذكروه .

وتستمر تجربة الحنين عند الشاعر لتبدو من خلالها تلك الحسرة الدائمة، واللوعة المستديمة  
،التي تترك الشاعر يائساً محبطاً، مع التفاؤل والأمل بالعودة لتلك الديار ورجوع تلك الأيام  
السعيدة، يقول خليل بن أبيك الصفي(ت 764هـ) (2) ، يتذكر دياره فيحنّ إلى الشام : يقول :

### [ الطويل ]

(1) الأذفودي :الطالع السعيد ،342

(2) الصفي (696 - 764 هـ) خليل بن أبيك بن عبد الله الصفي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف  
ولد في صفد (فلسطين) وإليها نسبته. وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم

لأَيِّـامنا تَلَكْ

تَذَكَّرْتُ عَيْشاً مَرَّ حُلُواً بِكُمْ فَهَلْ

الدَّوَاهِبُ وَاهِبٌ

ولا أَنَا عن هذي الرغائبِ

وما انصرفتُ آمالُ نفسي لغيركمُ

راغبٌ

لعلَّ

سأصبرُ كرهاً في الهوى غير طائعٍ

زمانتي بالحبايبِ آيبٌ<sup>(1)</sup>

يبدأ الشاعر بيته الأول بالذكريات الحلوّة التي مرت سريعاً، لأنها كانت بالقرب من أحبابه وأهله فلحظات السعادة غالباً ما تمر سريعة، وعلى الرغم من البُعد والمسافات إلا أن الآمال ما زالت معلقة بتلك الديار وبأهلها، ومع هذا الإحباط والاضطراب النفسي والضياع إلا أن الشاعر ما يزال يعزي نفسه بالصبر على الفراق والأمل بالعودة.

وهذه الحال لا تختلف كثيراً من شاعر لآخر، فهذا الشاعر مجد الدين الإربلي يعبر عن شوقه وحنينه للشام متذكراً أيامه بها، والشباب الذي قضاه في ربوعها ، يقول : [ الطويل ]

ديـارٌ قضينا العيشَ فيها مُنعماً وأيـامنا

تحنو عليها تشفقُ

سحبنا بها بـردَ الشَّبَابِ وشُرِينا لذيذٌ كما شِينا

مُصفي مُصفقُ<sup>(2)</sup>

---

الأعيان. له زهاء مئتي مصنف، منها (الوافي بالوفيات).الأعلام 315\2 شذرات الذهب 199\6 السلوك

241\2

(1) التلمساني : نفع الطيب ، 1 / 96

(2) الصفدي : الوافي بالوفيات 4 / 296 ،

يستذكر الشاعر أيامه الماضية، والعيش السعيد الذي قضاه بجوار أحبته، فيتذكر تلك الأيام وما أنتفه فيها من شباب غض، فيحنُّ إليها حنيناً يدفعه إلى البكاء، وذرف الدموع غزيرة .

وهذا شمس الدين الصائغ (ت725هـ) يتذكر أيامه الماضية في موطنه دمشق ، فيحنُّ إليها ،

يقول : [ الكامل ]

أنفقتُ في ناديكِ أيامَ الصِّبا      حباً وذاك أعزُّ شَيْءٍ يُنْفَقُ  
ورحلتُ عنكِ ولي إليكِ تَلَفْتُ      ولكلِّ لِّجَمْعِ صَدْعَةٍ وَتَفَرَّقُ

(1)

يتذكر الشاعر أيام إقامته في موطنه دمشق، فيحنُّ إلى أيام الصبا حيث الذكريات الجميلة، التي قضاها بقرب أهله وأحبته.

#### ب- الحنين إلى الديار المقدسة :

أكثر شعراء هذا العصر بعامة وفي مصر بخاصة من النظم في شعر الحنين للأماكن المقدسة، بل إن شعر الحنين للأماكن المقدسة كان أسبق من شعر مديح الرسول عليه السلام؛ وكان شعر الحنين للأماكن المقدسة قد ظهر إبان العصر الفاطمي عند المهذب ابن الزبير وأخيه الرشيد والشريف الرضي (2).

وشعر الحنين للأماكن المقدسة، ظهر بخاصة عند شعراء الصعيد، الذين كانوا من أسبق شعراء مصر، في ذكر الأماكن المقدسة والحنين إليها في قصائدهم، ولا سيما شعراء قوص وأسوان وإدفو، والسبب في ذلك راجع إلى أن "قوص وما جاورها، كانت تزخر بالذاهبين إلى مكة والمدينة والعائدين منهما، أي أن تلك البلاد كانت طريق الحج الأمين، ولا شك أن رؤية

(1) الكتبي: فوات الوفيات ، 328 ١3

(2) انظر: الأدفودي ، الطالع السعيد 100،-105

الحاج وهو متوجه إلى أرض الحجاز أو وهو راجع منها، تثير في نفس الشعراء وعواطفهم ذكر تلك الأماكن المقدسة، وهاتيك البقاع المباركة، فتتوق إليها نفوسهم وتتحرق قلوبهم إليها شوقاً " (1) وقد أكثر شعراء مصر من ذكر تلك الأماكن المقدسة في أشعارهم وحنوا إليها في قصائدهم.

وكثير من أهل الصعيد هم أحفاد أولئك العرب الحجازيين، الذين نزحوا إلى صعيد مصر في العصور السابقة؛ فراراً مما كانوا يلقونه من اضطهاد الولاة وتعسفهم، وهؤلاء ما زالوا يحملون في جوانحهم وأحشائهم نفساً كئيبة، تفيض بالشوق والحنين إلى أرضهم وديارهم، التي خرجوا منها مكرهين . (2)

## 1- الحنين إلى الحجاز

من بين الشعراء الذين تناولوا في شعرهم الحنين للأماكن المقدسة في شعر هذا العصر، ابن دقيق العيد (ت702هـ) (3) فذكر من الأماكن المقدسة (الحجاز ، منى ، زمزم) وغيرها من المواضع التي تعبر عن شوقه وحنينه إلى تلك الرحاب الطاهرة، وذلك من خلال وصفه لموسم الحج، ورغبته الشديدة في زيارة تلك الديار الحجازية ، يقول :

**[السريع]**

(1) علي صافي، ابن دقيق العيد حياته وديوانه، ص118

(2) ينظر : علي صافي، م، ن، 119،

(3) ابن دقيق العيد (625 - 702 هـ) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد.نشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة). له تصانيف، منها (إحكام الأحكام) مجلدان، في الحديث، و (الإمام بأحاديث الأحكام) ، الأعلام ج283\6، الوافي بالوفيات ج108\1، شذرات الذهب ج4\6

يَهِيمُ قَابِ طَبِي رِبًا عِنْدَمَا

أَسْتَمَلِحُ الْبَرْقَ الْحِجَازِيَا

وَيَسْتَخْفُ الْوَجْدُ عَقْلِي وَقَدْ أَصْبَحَ لِي

حُسْنُ الْحِجَازِيَا

يَا هَلْ أَقْضِي حَاجَتِي مَنْ مَنِي

وَأَنْحَرُ الْبُزْلَ<sup>(1)</sup> الْمَهَارِيَا

وَأُرْتَوِي مَنْ زَمَّ زَمَّ فَيَ لِي

أَلْذَمَنْ رِيَقَ الْمَاهَا رِيًّا<sup>(2)</sup>

إنَّ استخدامَه لكلمة (هيام) تدل على عظم ذلك الحب والوجد الذي يعتصر قلب هذا الشاعر، فبمجرد لمحِه البرق قادمًا من جهة الحجاز يهيم قلبه طرباً وفرحاً، ويسيطر الحزن على عقله وقلبه، ثم لا يلبث أن يعزي نفسه بقاء قريب يؤدي فيه تلك الشعائر المقدسة، وينال من زمزم ما يسدُّ رَمَقَهُ ويشفي غليله .

إن ترديد الشاعر لتلك الأماكن يؤكد تجربة الحنين، ورغبته الشديدة في شد الرحال

إلى تلك البقاع، وهو إنما يعكس حنين الشاعر، وشعوره بالغربة وهو بعيد عن تلك الأماكن .

ومن الشعراء الذين وقفوا عند هذا الغرض أحمد بن عبد الملك العزازي (ت710هـ)<sup>(3)</sup> حيث

يبدأ القصيدة بوصف الديار المقدسة ليعبر بعد ذلك عن شوقه وحنينه إلى تلك الرحاب الطاهرة،

(1) البزل : جمع بازل ، وهو الجمل السريع الذي تشقق نابه ، وهو الذي استكمل الثامنة ، انظر: اللسان: مادة بزل

(2) علي صافي : ابن دقيق العيد ، 117 ، انظر : المقرئ، نفع الطيب 268\5

(3) العزازي (627 - 710 هـ) أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز، شهاب الدين العزازي:

شاعر مصري. كان بزازاً في القاهرة، بقبسارية جركس. له موشحات وألغاز و (ديوان شعر) غير

كامل. الأعلام ج16\1 ، الوافي بالوفيات ج426\2 ، شذرات الذهب ج21\6





وَلَا عَدَتْ أَهْلَكَ النَّائِبِينَ مِنْ نَفْسِ الْ— صَبًّا تَحِيَّةً عَانِي الْقَلْبِ

مُكْتَتَب

قَوْمٌ هُمْ الْعَرَبُ الْمُحَمَّمِيُّ جَارُهُمْ فَلَا

رَعَى اللَّهُ إِلَّا أَوْجُوهَ الْعَرَبِ

أَعَزُّ عِنْدِي مِنْ سَمْعِي وَمِنْ بَصَرِي وَمِنْ فُؤَادِي وَمِنْ أَهْلِي وَمِنْ نَشْبِي (1)

يخاطب الشاعر الديار الحجازية بنواحيها وجبالها، ويدعو لها بالمطر الغزير، لتحل فيها البركة والخير الوفير، ويبعث لها بالتحية من قلب متعلق بها مشتاق لها، يرهقه هذا الشوق والحنين ، ويركز الشاعر على مدح أهل تلك الديار من العرب الذين عرفوا بنخوتهم وحمائتهم للمظلوم، وهؤلاء العرب عنده أعز من سمعه وبصره ، فحق تلك الديار عليه أن يعشقها ويحبها ويشتاق إليها في كل لحظة. ويواصل الشاعر حنينه إلى البقاع الطاهرة ، فيقول : [ البسيط

التام]

حَيَّاكَ يَا تُرْبَةَ الْهَادِي الشَّفِيعِ حَيًّا بِمَنْطِقِ الرَّعْدِ بَادٍ مِنْ فَمِ السُّحْبِ

يَا سَاكِنِي طَيِّبَةَ الْفِيحَاءِ هَلْ زَمَنْ يُدْنِي الْمَحَبَّ لَنْبِيلِ السَّوْلِ وَالْوَطْرِ

ضَمَمْتَ أَعْظَمَ مَنْ يُدْعَى بِأَعْظَمِ مَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ أَخُو صَدَقِ فَلَمْ يَخْبِ

وَحُزَّتْ أَفْصَحَ مَنْ يَهْدِي وَأَوْضَحَ مَنْ يَبْدِي وَأَرْجَحَ مَنْ يُعْزِي إِلَى نَسَبِ (2)

يذكر الشاعر بمن تحتضنه تلك البقعة الطاهرة من خير البرية ، وهو محمد الهادي ، صلى الله عليه وسلم ، فهذه البقاع عظيمة لأن فيا رسول عظيم كريم، أيقظ البشرية من غفلتها وأخرجها إلى النور، فأخذت عزتها وأهميتها بسبب وجوده فيها.

(1) الشاب الظريف : الديوان ، ص49

(2) الشاب الظريف : م، ، 49

ومن الشعراء الذين تشوقوا وحنوا إلى الديار الحجازية العلامة كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني دمشقي (ت727هـ)<sup>(1)</sup> ، يقول :

### [ البسيط ]

أَهْـوَاكِ يَـا رَبَّـةَ الأَسْوَارِ أَهْـوَاكِ      وَإِنْ  
تَبَاعَدَ عَن مَعْنَايَ مَعْنَاكِ  
وَأَعْمَلُ العَيْسِ والأَشْوَاقُ تُرْشِدُنِي      عَسَى يُشَاهِدُ  
مَعْنَاكِ مَعْنَاكِ  
تَهْوِي بِهَا البَيْدُ لا تَخْشَى الضَّلَالِ وَقَدْ      هَدَتْ بِبُرْقِ النَّيَا العُرُ مَضْنَاكِ  
تَشْوَاقُهَا نَسَمَاتُ الصُّبْحِ سَارِيَةً      تَسْـوَوْقُهَا  
نَحْوَ رُؤْيَاكِ بَرِيَّاكِ<sup>(2)</sup>

إن هذا العشق للديار المقدسة طغى على الشاعر حتى نكاد نشعر وكأنه يخاطب محبوبه الذي فارقه، فالشاعر وإن فرقت بينه وبين تلك الديار المسافات فإنه سيبقى يحن إليها .

وهذا جابر بن سويد الحجازي (ت738هـ)<sup>(3)</sup> المقيم في دمشق يتشوق للحجاز، فيقول :

### [ الكامل ]

(1) الزملكاني (667 - 727 هـ) محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني: فقيه، ولد وتعلم بدمشق. وتصدر للتدريس والإفتاء، وولي نظر ديوان (الأفرم) ونظر الخزانة ووكالة بيت المال. وكتب في ديوان الإنشاء ثم ولي القضاء في حلب، فتوفي في بلبس ودفن بالقاهرة. الأعلام ج284\6 ، الوافي بالوفيات ج25\2 ، الدرر الكامنة ج41\2 (2) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 3 \ 54

(3) جابر بن سويد السلمى الحجازي (000 - 738هـ) ذكره ابن فضل الله في ذهبية القصر وقال شعلة ذكاء ألفت منه أعرابياً ملتفاً بشملته محتفاً بطائفة من أهل حليته، وفاته سنة738هـ) الدرر الكامنة للعسقلاني ،



تعكس الأبيات السابقة الحالة الروحانية للشاعر، فهو يجد في الديار الحجازية ملاذاً آمناً من شرور الدنيا ومتاعبها، وهذا الشوق لهذه الديار والحنين لها يجعله يتطلع دائماً إلى لقائها، فهو يجد فيها الأمان والطمأنينة وهي من البقاع الطاهرة التي يستجاب فيها الدعاء.

ويحن العفيف التلمساني<sup>(1)</sup> إلى قباء، ذلك المكان الطاهر الشريف، فيقول : ]

[ المنسرح

يا سائقَ العيسِ نَحْوِ كَاطِمَةٍ      أَبْلَغُ سَلَامِي  
لِنَازِحِينَ قُبَاً

وَقُلْ قَضَى ذَاكَ الْمَشُوقُ بِكُمْ      وَمَا قَضَى مِنْ وَصَالِكُمْ

أرباباً<sup>(2)</sup>

يرسلُ الشاعر مع القوافل الذاهبة إلى الحجاز سلامه وتحياته إلى كل من فيها، ويؤكد أن الشوق والحنين لها قد قضى عليه وآلمه وأمراضه قبل أن يصلها ويزورها .

نستنتج من المبحث السابق أن الشعراء في حنينهم إلى الحجاز كانوا يركزون على قدسيّتها وطهارتها، وأهميتها لكل المسلمين، ثم ترتبط تلك القدسية والطهارة بوجود خير البرية، رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه فيها، ولا ينسى الشعراء مدح أهلها لما يتسمون به من صفات عربية أصيلة كالجود والكرم وحماية المظلوم .

2-الحنين إلى القدس :

---

(1) العفيف التلمساني (610 - 690 هـ) سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني، عفيف الدين: شاعر، كومي الأصل (من قبيلة كومة) تنقل في بلاد الروم وسكن دمشق، فباشر فيها بعض الأعمال. وكان يتصوف ويتكلم على اصطلاح (القوم) يتبع طريقة ابن عربي.الأعلام ج130، فوات الوفيات ج2\72  
شذرات الذهب ج411\5

(2) التلمساني : الديوان ، 1 \ 105

ومن الأماكن المقدسة التي حنَّ إليها الشعراء في هذا العصر " القدس الشريف " كيف لا؟! وقد كانت قبلة المسلمين الأولى، وإليها تشدُّ الرحال، لذلك وجدنا من الشعراء من يحنُّ إليها بشدة ويرسل إليها السلام مع الرياح العابرة، يقول الشاب الظريف :

### [الطويل]

سلامٌ مشوقٌ مغرمٌ القلبِ صَبَّه  
إلى حرمِ القدسِ الشريفِ فقرَّ به  
تذكركمُ والشوقُ يجري بدمعه  
على خَـذِّه والوجدُ  
يسري بقلبه

لقد كانَ يَرجو أنْ يَبثَّ اشتياقَهُ  
شفاهاً فإلـم يَـقـدـرُ  
فبثَّ بلبِّه

وقد كان يهديه من النجم نوره  
فمذَّ غابَ عنه خلُّ ما بينَ صحَّبه (1)

إن ما تعرضت له القدس جعل أنظار الشعراء تتجه إليها باستمرار، فمن لم يستطع الوصول إليها يخاطبها ويسلم عليها، كأنها محبوبه لا يمكن لعاشق نسيانها أو حتى الانشغال بغيرها ، إنها لعبارات قوية تعكس علاقة الشاعر بهذه البقعة المقدسة، فكما تذكرها جرت دموعه بغزارة، وقطع الوجدُ قلبه حزناً وألماً، ولعلَّ أكثر أمانيه رغبة هي أن يبثها ذلك الحب والحنين وجهاً لوجه، غير أنه لا يستطيع فبثها بعقله وقلبه ،

لقد استخدم الشاعر الكثير من الألفاظ التي تفيض حزناً وحسرة وشوقاً، كـ( شوق ، و مغرم القلب، وصب، والدمع، والوجد، وهذه الألفاظ تعكس عاطفة صادقة تعبر عن الشوق والحنين .

في ختام هذا الفصل يتبين أن حنين الشعراء لأوطانهم وأهلهم وأصدقائهم ومحوباتهم وذكرياتهم الماضية، وشوقهم إلى أيام الصبِّ والشباب، وكذلك حنينهم إلى الديار المقدسة وبخاصة الحجاز

(1) الشاب الظريف : الديوان ، 95

كان حنيناً صادقاً ومعبراً، يصدر عن عاطفة صادقة وعميقة، وعبروا بأصدق الأحاسيس والمشاعر عن هذا الحنين والشوق ، ما يدل على شدة ارتباطهم بوطنهم، فهم لا يرضون عنه بديلاً، فحنوا إليه وإلى ما فيه من أماكن وأطلال، وتوسعوا في وصفه، بل وصل الأمر ببعضهم إلى تصوير وطنه وكأنه جنة الله على الأرض، وظهر حنين بعضهم ممزوجاً بالحسرة والحزن والأسى على فراقه .

وجاء حنينهم إلى الأهل من أبناء وآباء وأصدقاء معبراً عن صدق مشاعرهم وأحاسيسهم، فاستخدموا من الألفاظ والمعاني ما يعكس تلك المشاعر والعواطف الصادقة ، وركز كثير منهم إن لم يكن كلهم على الأمل باللقاء والعودة لكي يسعدوا ثانية بالوصل والاجتماع بمن يحبون .

وشعر الحنين إلى الديار المقدسة، لا يخلو من عاطفة دينية متأججة للحجاز والقدس ، وخروج منقذ الأمة من الظلمات إلى النور من الحجاز ، الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وارتبط الحنين إلى تلك الديار بالحنين إلى الرسول ومدحه في معظم الشعر .



تظهر من الأبيات السابقة مدى الحاجة التي يعيشها الشاعر مع أسرته ، فهذه العائلة لم تأكل اللحم منذ زمن طويل ، وهي تحنُّ إليه منذ زمن ، لذا فهي تنتظر عيد الأضحى لتتعم ببعض اللحم ، إلا أن رب الأسرة لا يجدُ ما يضحى به ، ومن شدة عجزه عن تلبية رغبتهم يطلب منهم القيام بأكله .

ويرسم ابن دانيال صورة لأبنائه وهم يحنون ويتشوقون إلى الخبز ، فيطالبون أبيهم بأن يوفر

لهم ولو القليل منه ، يقول : [ الخفيف ]

ورأيتُ الأَطْفَالَ مِنْ عَدَمِ الخُـ \_\_\_\_\_ بـ

ز تَلَطَّى وَلَوْ عَلَى قُرْصِ جِلَّةٍ \_\_\_\_\_

تلك تشكو وتيك تدعو وهـ \_\_\_\_\_ ذي

تتجأ عأى عأى وهى مدأى هـ \_\_\_\_\_

فتراى ملقأى وعرسأى تنأدى فأم فعجلُ

فليس في الصوت مهله

عنترُ الحربِ لـ ويطالبُ مثأى بـ دقأى لـ رـ

مـ ن فـ رـ د حمأ هـ (1)

يشكو أطفاله من قلة الخبز وشحّه، لذا يتحرقون شوقاً للقمة خبزٍ تسد رمقهم، فتندفع زوجته في مطالبته بشدة ، ليدبر أمره ويحضر لهم ذلك .

وفي موضع آخر يطالبونه بالخبز ويبحثون عنه في كل مكان ، فيعبر عن ذلك فيقول :

( مجزوء الرمل )

(1) الصفي: مختارات من شعر ابن دانيال ، ص 69



إِنَّ عِنْدِي مِمَّنْ

عِيَالٌ صَبِيحَةٌ

مِثْلَ الْخَبْرِ أَيَا

يُخْرِجُونَ الْخُبْرَ لِي وَخَبًّا

تَحْتَهُ تَحْتِ الْحَشَايَا

وَأَلْوَأْنِي كُنْتُ

بِحَرِّ رَأْسِي

شَرُّ رُبُونِي

بِأَلْوَأْنِي (1)

وفي موضع آخر يتشوق أبناؤه إلى الحمص، فيروا في تلك الليلة التي يطبخ فيها الحمص ليلة

عيد و ليلة عرس سعيدة ، يقول : [البسيط]

وَصِيحَةٌ لِيهِمْ فِيهِمْ مِثْلَ وَلِي عِيَالٌ بِهِمْ قَدْ عِيلَ مُصْطَبْرِي

بُرْجَاسٍ (2)

مَقْرَضِينَ بِأَيْبَابِ يَسْعُونَ حَوْلِي كَالْجُرْدَانِ مِنْ شَغْبِ

وَأَضْرَاسِ

إِذَا اصْطَلَوْا بِلِظَى قَدْرِ حَسْبَتِهِمْ لِسُوءِ حَالِهِمْ فِيهِمْ

صَبِيحَانَ عَدَّاسِ

(1) الصفدي: م، ن، ص 80.

(2) برجاس: نجم زهر المشتري، و ابو برجيس، شجر شائك له ناصية نصف كروية، ينظر: اللسان، مادة برجس





أَكَلْتُ حِمًّا طَالَمَا رَكِبْتُ

كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِأَخْبَارِ خَيْبِرٍ<sup>(1)</sup>

يُصَوِّرُ الشَّاعِرُ مَدَى الْفَقْرِ وَالْمَعَانَاةِ الَّتِي يَعْانِيهَا مَعَ عَائِلَتِهِ ، فَهُوَ يَتَشَوَّقُ إِلَى اللَّحْمِ الْأَمْرِ الَّذِي اضْطَرَّه لِأَكْلِ حِمَارِهِ ، وَهَذَا لَيْسَ بِعَجِيبٍ عَلَى هَذَا الْعَصْرِ إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ النَّاسَ مِنْ شِدَّةِ فَقْرِهِمْ وَجُوعِهِمْ أَكَلُوا الْحَيَوَانَاتِ وَالْبِهَائِمَ .

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ الْمَعْرُوفَةِ الزَّلَابِيَّةِ ، فَيَتَشَوَّقُ لَهَا الْوَرَاقُ ، فَيَقُولُ :

[ الطويل ]

أَحْبَبْتُ التَّيَّخِي خِي لَافًا

لِعَادَلِي وَإِنْ صَدَّعْتَنِي بَعْدَ صَدِّ لَهَا عَنِّي

وَمَا سَلِمْتُ مَعَ ذَاكَ مِمَّنِ الطَّعْنِ<sup>(2)</sup>

يَحْنُ الشَّاعِرُ إِلَى ذَلِكَ الْمَأْكُولِ الْمَعْرُوفِ فِي الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِيِّ ، فَيُرَى أَنَّ فِرَاقَهَا قَدْ صَدَعَهُ وَآلَمَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ سَيَبْقَى يَحِبُّهَا وَيَخَافُ عَلَيْهَا مِنْ أَنْ تَمَسَّهَا الْأَيْدِي .

وَيَسْتَمِرُّ حَنِينُ الشُّعْرَاءِ إِلَى أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْأَطْعِمَةِ ، فَهَذَا الْبُوصِيرِيُّ يَعْجُرُّ عَنِ الْمَعَانَاةِ الَّتِي يَعْيشُهَا مَعَ أَطْفَالِهِ ، فَيَحَاوِلُ أَنْ يَهْدَأَ مِنْ رُوعِهِمْ ، وَيُخَفِّفُ مِنْ شَوْقِهِمْ إِلَى الْخَبْزِ ، فَيَقُولُ :

[ السريع ]

فِي قَائِمَةِ نَحْنُ وَلَكِنْ لَنَّا

فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ

<sup>(1)</sup> ميسرة : سراج الدين الوراق حياته وشعره ، ص 4

<sup>(2)</sup> الصفدي : الكشف والتنبيه ، ص 396

صَامُوا مَا مَنَّاعَ النَّاسِ لَكَنَّهْمِ كَانُوا لَمَنَّ  
أَبْصَرَهُمْ عِبْرَةَ

إِنْ شَرِبُوا فَالْمَاءُ زِيَرٌ لَهُمْ مَا بَرِحَتْ  
وَالشُّرْبَةُ الْجِرَةُ

لَهُمْ مِنَ الْخَبِيْزِ مَسْلُوقَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَشْبَهُ  
النَّشْرَةَ

أَقُولُ مَهْمَا اجْتَمَعُوا حَوْلَهَا تَنْزَّهُوا فِي الْمَاءِ  
وَالْخَضْرَاءِ (1)

يعبّر الشاعر عن حالة من الفقر والحرمان تعيشها عائلته ، ويظهر هذا الفقر بشكل واضح من خلال حنينهم وشوقهم إلى اللحم وغيره من الطعام ، بعد أن أصبح الماء والخبز المسلوق الذي أصبح مائدتهم اليومية، فيسخر من حالهم ويطلب إليهم التمتع في هذه الخضرة والنعيم .

ويستمر في تصوير معاناتهم، فيقول : [ السريع ]

وَأَقْبِلْ الْعَيْدُ وَمَا عِنْدَهُمْ قَمْحٌ وَلَا خَبْزٌ وَلَا  
فُطْرَةَ

فَأَرْحَمُهُمْ إِنْ أَبْصَرُوا كَعَكَّةً فِي يَدِ طِفْلِ أَوْ رَأَى تَمْرَةَ

تَشْخَصُ أَبْصَارَهُمْ نَحْوَهَا بِشَهْقَةٍ  
تَتَبَعُهَا زَفْرَةٌ (2)

(1) البوصيري : الديوان ، ص 110

(2) البوصيري : م ، ن ص 111

أَيُّ حَالٍ يَعْيشُهَا الشَّاعِرُ مَعَ أُسْرَتِهِ؟ إِنَّهَا تَعَكْسُ حَالاً مِنَ الْفَقْرِ الْمَدْقَعِ ، وَالْحَرَمَانِ الَّذِي لَا يُمْكِنُهُمْ تَحْمَلُهُ .

[ الخفيف ]

ويتشوق الجزار إلى الكنافة ، فيقول :

أَيُّهَا \_\_\_\_\_ ذَا الْأَمِيرِ \_\_\_\_\_ رُقِ قَدْ أَشْرَ كَلَّ

ال\_\_\_\_\_ الم\_\_\_\_\_ نِي

وَمَا زِلْتُ عَارِفًا بِالْمَعَانِي

فَإِذَا س\_\_\_\_\_ حَرَ الْمُ سَحَرُ

لِي \_\_\_\_\_ لَا أَلْتَقِي الْأُمِّي رَفِيهِ

بِالْعَصِي\_\_\_\_\_ان

كَلَّمَا بَبَاتَ وَه\_\_\_\_\_ وَيَأْمُرُ

بِالْأَك\_\_\_\_\_ لِ أَتَى الْفَقْرُ مَقْبَلًا

فَنَهَانِي

م\_\_\_\_\_ رَأَتْ عَيْنِي \_\_\_\_\_ ي

الْكُنَافَةَ \_\_\_\_\_ عِنْدَ بَيْعِهَا عَالِي

الدُّك\_\_\_\_\_ان

وَلَعَمْرِي \_\_\_\_\_ عَايِنْتُ مُقَاتِي قَطْ

رَأَى سِوَى دَمْعِهَا مِنَ الْحَرَمَانِ



بِأَذِّ وَقَعاً فِي حَشَا

ي مِ الْكُنَافَةِ وَالْقَطَائِفِ

[ الطويل ]

ويقول ابن نباته متشوقاً إلى القطائف :

أقول وقد جاء الغمّ لئلا بصحنه عقيب طعام الفطر

ي غاية المنى

بعيشك قل لي جاء صحن قطائف وبُح باسم من تهوى ودعني من الكنى<sup>(1)</sup>

يعبر الشاعر عن الحنين لتلك الحلوى التي شاعت في عصره، فهي لم تعد في متناول الناس

الفقراء ، بل أصبحت حلماً يحلمون بتناوله في منامهم .

[ مجزوء البسيط ]

ويتشوق ابن نباته إلى القمح في موضع آخر ، فيقول :

استشدونني لطيف شعري والقلب بالجو

في حريق

وقيل هـ ل من دقيق معنى فقلت لهفي على

(2) الدقيق

يظهر حنين الشاعر وتلهفه على الدقيق الذي أصبح الوصول إليه نادراً وصعباً ، ومحفوفاً بكثير

من المخاطر، فالشاعر كيف ينشد شعراً لظفاً وهو يستطيع أن يسد جوعه لقلّة الدقيق.

[ الطويل ]

ويتشوق النصير الحمامي (ت 708هـ)<sup>(3)</sup> إلى الزلابية ، فيقول :

(1) ابن نباته: الديوان ، 1293/1

(2) ابن نباته : الديوان ، ص357

(3) نصير بن أحمد بن علي المناوي، (699-707هـ) بعض الكتب أسماه النصر بدل النصير، ونسب إلى مصر فقبل

المصري، ولقب بالحمامي لانه كان يعمل في اكتراء الحمامات. ينظر: الدرر الكامنة 155/2 ، الوافي بالوفيات 103 / 27 ،

وفوات الوفيات 205/4



أُحِبُّ الَّتِي فِي الصَّدْرِ مَوْضِعَهَا      تَصَدَّتْ إِلَى صَدِّي وَإِنْ بَعُدَتْ عَنِّي

وَلَوْ حَمَلْتَنِي خَفَّهَا لِحَمَلْتَهُ      وَأَعَشَّقُهَا لَوْ قَدِطَّعَتْهُ عَلَى ذِقْتِي (1)

ويتشوق صفي الدين الحلي لرغيف الخبز، فيقع حاور بينهما ، لأنه عزَّ على صاحبه ابن سنان ،

فيقول : [ الخفيف ]

لَوْ تَرَانِي فَوْقَ طُودٍ مِنَ الْجَبَلِ      ع ، أَنَا جِي رَغِيْفِ ابْنِ سَنَانِ

كَلَّمَا قَمْتُ قَائِلًا : أَرْنِي وَجْهَ      هَكَ ، نَادَى وَعَزَّتِي لَنْ

تراني (2)

تظهر لهفة الشاعر وشوقه لرغيف الخبز، فعلى الرغم من تمنيه لقاء ذلك الرغيف، إلا أنه لا يمكن أن يراه ، فصاحبه بخيل والخبز ثمينٌ في تلك الفترة.

ب- الحنين إلى الملابس :

عانى كثير من الناس في العصر المملوكي الأول من الفقر ، هذا الفقر الذي حرّمهم من المأكل

والملبس ، وحتى المسكن، فحرموا من كثير من الخيرات والنعم التي تمتع بها غيرهم من

الإقطاعيين وأصحاب النفوذ، ومن الأشياء التي حنوا إليها الملابس ، فكثير منهم كانت ملابسه

تبلى وتهترئ ولا يجد غيرها يستر بها جسمه، يقول الجزار متشوقاً إلى جبة حريرية يتباهى

بها أمام غيره : [ الطويل ]

قفا نَبِكِ مِنْ ذَكَرِي قَمِيصٍ وَسُرْوَالٍ      وَدِرَاعَةٍ لِي قَدِ

عَفَا رَسْمُهَا الْبَالِي

وَمَا أَنَا مِنْ يَبِكِي لِأَسْمَاءَ إِنْ نَأَتْ      وَلَكِنِّي

أَبِكِي فَقَدْ أَسْمَالِي

(1) الصفدي : الكشف والتنبيه ،ص397

(2) صفي الذي الحلي : الديوان ،ص536



يبدو الشاعر ساخرًا من الحالة التي وصل إليها نتيجة ، فأصبح يسعى للمجد من خلال جبة  
وثياب فاخرة تجعل عدوه حاسداً مغتاضاً لأنه لا يملك مثلها .

### ج- الحنين إلى الحيوانات :

حنَّ عدد من الشعراء إلى حيواناتهم ، بعد موتها ونفوقها ، فتذكروا صفاتها وفضلوا بعضها في  
الرفقة والأمانة على بعض البشر ، يقول ابن دانيال متشوقاً إلى حماره بعد أن باعه :

[ الطويل ]

وما ساعني لَمَّا نطقت ببيعه      سوى وحشتي من ذلك المنظر الهشِّ  
وقد سال من همي الغداة وعينه      من الدمع ما يعمي المتيمَّ أو يُعشي  
ولم أنسه إذ حنَّ نحوي وكلِّما      تجافاه مولاه تشاغلَ بالقشِّ<sup>(2)</sup>

ويحنُّ الوراق إلى حماره فيقول :

[ الكامل ]

ولكم بكيتُ عليه عند مرابِعِ

ومرابعٍ رشَّتْ بدمعي الذارفِ

يمسي على يسري وعُسري صابراً      بمعارفٍ تلُ هيه دون

معارفِ

وقد استمرَّ على القناعةِ يقتدي      بي وهمي في ذا الوقتِ جُلِّ وظانفي<sup>(3)</sup>

تظهر في الأبيات السابقة لوعة الشاعر على فراق حماره ، فهو كان بالنسبة له نعم الصديق  
والمعين والوفي ، الذي لم يتخلف عن عونته في ضعفه وعسره ويسره .

(1) اليونيني : مرآة الزمان ، 71/4

(2) الصفدي : مختار ابن دانيال ، ص224

(3) الكتبي : فوات الوفيات ، 257/3

ولا يختلف الجزار عن سابقه في حنينهم إلى دوابهم ، فهو يمتلك حماراً أحبه وارتبط به ، فلما

فارقه حنَّ إليه ، يقول :

[ الكامل ]

مــــاذا عليّ جــــرى لأجلِ فراقه      وجــــرتُ دموعُ

العينِ وهي غزارُ

لــــم أنسَ حــــدّةَ نفسهِ وكأنّه      من أن تسابقه

الريــــاحُ يغارُ

لــــم أرَ عيباً فيــــه إلا أنــــه      مع ذا الذكاءِ

يقال عنه حمارُ

راعتُ لصاحبهِ عهداً قد مضتُ      لــــمّا علــــمني

بأنــــتُ جزارُ (1)

[ الطويل ]

و يتشوّق ابن نباته لحماره بعد أن فارقه ، فيقول :

مضيتَ وقد كانتَ لمنْ أنتَ عندهُ      مصائدُ نــــرجو نفعها ونطارِدُ

فأصبحَ يبكي والمجرُ الذي حــــلا      ومثلكَ من تبكي عليه المطاردُ (2)

يتضح مما سبق أن الحنين لم يقتصر على الوطن والأحبة ، بل تجاوز ذلك إلى ما فرضته

ظروف الحياة من فقر وبؤس وحرمان ، فظهر الحنين إلى الطعام والملبس وكذلك الحنين إلى

بعض الحيوانات التي ألفها الشعراء ورافقتهم في بؤسهم .

(1) الصفدي : الغيث المسجم ، 235/2

(2) ابن نباته : الديوان ، ص 164

## الفصل الثاني : مثيرات وبواعث شعر الحنين

### المبحث الأول : البرق

المبحث الثاني : الريح والنسيم

المبحث الثالث : الحمام

المبحث الرابع : الدموع

عندما يتغرب الإنسان عن موطنه وأهله وأحبته لأي سبب كان، فإنه يبقى على تعلق شديد بهم،  
فيهزه الشوق والحنين إليهم، ويبعث ذلك الحزن والألم مثيرات عدة تأجج في نفسه صراعاً نفسياً

تجاه من يحنُّ إليهم، وأهم مثيرات شعر الحنين: البرق، والنسيم، والدموع، والحمام، وهذه المثيرات تذكره بأهله وموطنه وغربته، فتكون سبباً في ألمه. (1)

### المبحث الأول : البرق

يحنُّ شهاب الدين التلعفري إلى موطنه عندما يتألق البرق من جهة دياره ، فيزداد شوقه وحنينه لها، يقول:

[ الطويل ]

يُذَكِّرُنِي بِبَرْقِ الْحِمَى الْمُتَأَلِّقِ  
زَمَاناً تَوَلَّى بِالْحِمَى وَهُوَ مُؤَنِّقِ  
سَقَى بَانَةً بِالْجِرْعَاءِ (2) إِنْ أَخْلَفَ الْحَيَا  
وَضُنَّ حَيَا مِنْ عِبْرَتِي  
يَتَدَفَّقُ

ولا حادَ عَن تَلْكَ المَعَاطِفِ صَيِّبُ  
مِن المَزْنِ أَوْ مِنْ مَقْلَةٍ  
الصبُّ يُغْدِقُ (3)

يشكل البرق مع النسيم مثيراً يبعث على الشوق والحنين، فالبرق يذكره بأيامه الماضية في موطنه، ويحمل النسيم رسائل الشوق، فهو يشتاقيها ويحنُّ إليها عندما يتذكرها. البرق مزدوج الدلالة، فهو الخيط الذي يسري فيفصل بين الشاعر والوطن ، ولكنه في الوقت نفسه، الخيط الذي يربط بينهما، فيذكر بالاقتران، ويكون موحشاً لذاتٍ تهولها ظلمة الليل، أو مذكراً بانشطاراتها، إلى مفارق وكاره للاقتران، متشوق للبرق ومستوحش منه. (4) لذلك درج الشعراء في حنينهم على مخاطبة البرق ، وحملوه رسائل من الأشواق والحنين إلى الديار

(1) ينظر: يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، 155

(2) الجِرْعَاءُ الأَرْضُ ذاتُ الحُرُونَةِ تُشَاكِلُ الرَمْلَ وَقِيلَ هِيَ الرَمْلَةُ السَّهْلَةُ، انظر: اللسان: مادة جرع

(3) التلعفري ، الديوان، 29

(4) ينظر: لطيفة ابراهيم، بلاغة الحنين في قصيدة (زارني طيف الخيال فهاجني) لأبي العلاء مجلة التراث، 1\115\2008

والأحبة، فعندما يرى الشاعر البرق يلعب من جهة بلاده ، تشتد عاطفة الحنين لديه، ويبدأ ببث عواطفه وأشواقه، هذا التلعفري يخاطب برق الشام فيقول:

[ البسيط ]

يَا بَارِقَ الشَّامِ حَيِّ الأَهْلِ وَالبَّانَا      وَانـقـل  
حَدِيثَكَ عَنِّي لِبَنِي وَلبِنَانَا  
وَهَوَاتِ مَا حَمَلَتْ عُظْفَاكَ مِنْ خَبْرٍ      فـانـ  
لِي بِرُبِّي جِيرُونَ<sup>(1)</sup> جِيرَانَا  
سَقَتْ لِي يَأْتِيكَ بالأحـ بابِ سَـ      ارِيَّة  
تُعِيدُ ظَمَائِي ذَاكَ التُّرْبِ رِيَّانَا  
وَلَا تَعْدِي الرُّبِّيَ مِنْ قَاسِيُونَ حُبًّا      يُعِيدُ فـوق  
الصَّبَاحِ مِنْهُ عُدرَاتَا  
تلكَ الرُّبُوعُ الَّتِي لَمْ تَأُلْ مُذْ عَمَرْتَ      فِي الأَرْضِ للهِوِ والأَوطَارِ  
أوطانَا<sup>(2)</sup>

إن البرق رسول الشاعر إلى محبوبته، فقد رسم في خياله ذكريات جميلة، أعادت له تلك العلاقات مع الأهل والأحبة، فتذكر أسماء الأماكن لما لها في نفسه من مكانة وثيقة كـ ( ربي جيرون ،وقاسيون )، فيتصاعد الحنين والشوق لديه ، حيث يوظف بعض الأساليب كأسلوب النداء ( يا بارق ) ليزيد من استحضار الماضي، وأسلوب الإشارة للبعيد ( تلك ) ليدلل على أن تلك الربوع باتت بعيدة عنه، ليس من السهل العودة إليها ، إلا أنها ستبقى أرض اللهو والملذات

(1) حصن جيرون بدمشق بناه رجل من الجبابرة يقال له جيرون في الزمن القديم، ينظر الحموي، معجم البلدان، 199\2  
(2) التلعفري : الديوان ، 53



ويمازج الشاعر بينه وبين البرق، فالبرق هو الذي ينقل أخبار الشاعر الذي يعاني لواعج الحب والشوق والحنين. (1)

ويواصل شهاب الدين التلعفري رؤيته في البرق رسولاً، يحملُه همومه ولواعج نفسه علَّه يوصلها لأحبته فيقول:

[الكامل]

ما بَالُ ذَاكَ الْبَرْقُ لَاحَ مُعْرَضًا      بِحَدِيثِ مُنَعَرَجِ الْأَرَاكِ  
وَعَرَضًا

طَارِحَتُهُ بِمَدَامِعِي وَأَضَالَعِي      أَخْبَارَ مَنْ سَكَنَ الْعَقِيقَ أَوْ الْغَضَا  
أَدْكَى لُظَى وَجَدِي وَأَذْكَرَنِي الْحَمَى      وَمَضَى فَلَيْتَ سَنَاهُ لِي مَا أَوْمَضَا (2)

وهذه الحال لا تختلف كثيراً من شاعر لآخر، فهذا الشاعر مجد الدين الإربلي يعبر عن شوقه وحنينه إلى الشام متذكراً أيامه التي قضاها في ربوعها عندما يلمع البرق من جهتها، يقول:

[الطويل]

لَعَلَّ سَنَابِلَ رِقِّ الْحَمَى يَتَأَلَّقُ      عَلَيَّ النَّأْيِ  
أَوْ طَيْفًا لِأَسْمَاءَ يَطْرُقُ

وَعَلَّ الرِّيَّاحَ الْهَوَجَ تُهْدِي لِنَازِحِ      عَنِ الشَّامِ  
عُرْفًا كَاللَّطِيمَةِ يَعْْبِقُ (3)

يتذكر الشاعر أيامه في موطنه أربيل، فهو يتمنى ظهور ضوء البرق، أو يلمح طيف المحبوبة أسماء، لانه لا يرى أملاً في ذلك، فهو يرتقب ذلك فلا يرى ناراً، ولم تصدق الوعود الكاذبة، فيتمنى لو أن الرياح تأتيه برائحة أحبته .

(1) ينظر: موسى النجادي، وصف الطبيعة في شعر العصر المملوكي الأول، 22، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2006.

(2) التلعفري: الديوان، 21.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات 14، 296.

يقول نجم الدين عبد الرحيم بن ابراهيم بن هبة الله قاضي حماة (ت683هـ) (1) متشوقاً

[ الطويل ]

إلى أحبته في الشام :

إذا شِمتُ من تلقاء أرضكم برقاً      فلا أضلعي تهذا ولا أدمعي ترقاً

عليكم سلامُ الله أما مدادكم      فباق وأما البعدُ عنكم فما أبقي (2)

لقد تكررت المعاني التي ردها شعراء الحنين عند كثير من الشعراء، وهي تذكر الأهل والأحبة عند رؤية البرق، وما يتركه ذلك من أثر نفسي في نفوسهم، فيثير عواطفهم ويدفعهم للتعبير عن مكنونات أنفسهم بكل الوسائل، وهذا ما نلاحظه عند الشاعر، فهو دائم الشوق والحنين لأهله وأحبته، الأمر الذي يجعله في عناء وألم دائمين .

ويقول ابن دقيق العيد متشوقاً إلى الحجاز والبلاد الطاهرة المقدسة، ومعبراً عن حبه وإعجابه بالبرق الحجازي :

[السريع]

يهِيمُ قِيمُ أَبِي طَـ \_\_\_\_\_ رَبًّا عِنْدَ \_\_\_\_\_

أَسْتَمُحُ الْبَرْقَ \_\_\_\_\_ حِجَازِيَا

وَيَسْتَخْفُ \_\_\_\_\_ وَجَدُّ عَقْلِي وَقَدْ \_\_\_\_\_ أَصْبَحَ \_\_\_\_\_

لِي حُسْنُ الْحِجَازِيَا (3)

ويقول صفي الدين الحلبي مشتاقاً لأهله وأحبته عندما رأى برقاً لاح من جهتهم:

(1) عبد الرحيم بن ابراهيم بن هبة الله الجهني الشافعي (608-683هـ) ولد بحماة سنة ثمان وستمائة وسمع من موسى بن عبد القادر وكان بصيراً بالفقه والأصول والكلام له ديانة متينة وصدق وتواضع وشعر بديع شذرات الذهب ج5/381 ، المنهل الصافي ج2/114

(2) الحنبلي : شذرات الذهب ، ج5/382

(3) التلمساني ، نفع الطيب ج5/268

(4) صفي الدين الحلبي : الديوان ، 144

[البسيط]

وبارق كسقيط الزند مقتدحاً له يد لزناد الشوق قد قدحت

بدا فذكرني أرض الصراة وقد تكلفت بالكلا والشيح واتشحت (3)

ويقول العفيف التلمساني (ت683هـ) متشوقاً إلى أحبته :

[ الكامل ]

يا برق نجد هل حكيت فؤادي في ذا التلهب والخفوق البادي

لولا اشتراك هواكما لم تسفحا دمعيكما في سفح ذاك الوادي

أترى سويكنة الحمى بجمالها سلبت رقادك في الهوى ورقادي (1)

يخاطب الشاعر البرق وكأنه إنسان مائل أمامه، فهو يرى في البرق مثله في الحب وخفوق

القلب، لذلك يعبر الشاعر عن الحالة النفسية التي يعيشها بعيداً عن أحبته، فلمعان البرق يحكي

نبض قلبه عند تذكرهم .

ويتذكر العفيف التلمساني أهله وأحبته من خلال رؤيته للبرق، فيهيج الشوق في نفسه فيقول :

[ الوافر ]

صَباً لربى الآراك وحاً هني هني

ط ریح صباية وحليف وجد

وهـ اجته البروق فحن شوقاً إلى

رشف اللمى من ثغر هند (2)

(1) التلمساني : الديوان ، 1941،

(2) التلمساني : الديوان 1 236

يهيِّج البرق مشاعر الشاعر نحو أهله وأحبته، فهي عندما تلمع من جهتهم تنير في نفسه مشاعر الشوق والحنين، كما استخدم الشاعر ألفاظاً تعبر عن تلك الحالة النفسية التي يعيشها، مثل ( هاجته، حنّ، شوقاً)

ويتشوق الصفي إلى صديقه علاء الدين الجاوي (الطنبغا) فيقول : [السريع]

بِاللّهِ يَا بَارِقاً مِّنْ قَاسِيَةٍ وَنَبَّاهٍ  
أَعْلَامُهُ خَافِقَاتٌ فِي دِيَاغِيهِ  
قِفْ لِي بِتِلْكَ الرُّبُوعِ إِنْ شِئْتَ تُسَعِّفُنِي وَأَنْشُدْ فُوَادَ شَيْخٍ قَدْ عَزَّ  
فَادِيهِ

وَنَبَّاهٍ الْوُرُقَ وَالظَّمَاءَ عَاكِفَةً  
لَيْلاً لَتَحْكِي نَوَاحِي فِئْتِي نَوَاحِيهِ (1)

يخاطب الشاعر ذلك البرق البادي من جهة موطنه قاسيون، طالباً منه أن يقف على تلك الربوع ، حتى يذكره بأهله وأحبته، ولا ينسى أن يطلب إلى الحمام أن يخبر عن حاله .

وهذا محمد بن يوسف بن عبد الله المعروف بالخطيب (ت711هـ) (2) متشوقاً إلى

أصدقائه، يقول : [ الكامل ]

لَمْ أَصِبْ لِلْبُرُقِ مِنْ تِيْمَاءٍ يَأْتَلِقُ إِلَّا وَلِلْقَلْبِ مِمَّنْ حَبِيكُمُ  
عَلَّقُ

(1) الصفي : أعيان العصر 6141

(2) الجزري(637 - 711 هـ) محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود، أبو عبد الله شمس الدين الجزري: خطيب، من فقهاء الشافعية. كان أبوه صيرفيا بالجزيرة، فولد ونشأ بها. وسافر إلى مصر، فأقام بقوص ثم بالقاهرة وتوفي فيها. له (ديوان شعر وخطب) و (شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي - خ) في دار الكتب، و (شرح ألفية ابن مالك) . ينظر: الأعلام، ج15، 1517، وأعيان العصر، ج3، 3185

يا لمع البرق إما لحت معترضاً لا تستقر قلب هـ زه  
القائـق (1)

يذكر البرق الشاعر بأحبته، فهو متعلق بهم، يثير البرق مشاعره ، فيسبب له الألم على فراقهم وبعده عنهم ، كذلك لا ينسى أن يرسل مع النسيم رسائل الشوق والحنين .

وحنّ ابن نباته<sup>(2)</sup> إلى أحبته في مصر، فأثار البرق في نفسه حنيناً مستعراً، يقول : [ البسيط]

يا ساري البرق في آفاق مصر لقد أنكرتني من زمان النيل ما عذبا  
حدث عن البحر أو دمعي ولا حرج وأنقل عن النار أو قلبي وما كذبا<sup>(3)</sup>

لقد ذكر البرق الشاعر بموطنه، فأخذت دموعه بالانهمار بغزارة، فقد تذكر الأيام التي أمضاها برفقة أهله وأصحابه، وها هو الآن قد غاب عنهم وفارقهم، فحنّ إليهم.

ويقول في موضع آخر: [ البسيط]

أذكى سنا البرق في أحشائه لها وجـاذبته يد الأشواق فاجذبها  
كأن مهجتـه مـآته فـاتخذت سببها في بحر البكا سربا<sup>(4)</sup>

يظهر الشاعر شوقاً وحنيناً منقطع النظير، فقد اشتعلت أحشائه لها من شدة الحنين، وأصبحت الأشواق تتجاذبه بقوة نحو تلك الديار، وانهمرت الدموع من عينيه بغزارة، لأنها كل ما تبقى له .

(1) الصفيدي : م، ن 3715

(2) ابن نباته (686 - 768 هـ) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميفارقين، ووفاته في

القاهرة. الأعلام ج38١7، الوافي بالوفيات ج145١6، سير أعلام النبلاء ج321١16

(3) ابن نباته : الديوان، ص 31

(4) ابن نباته : م، ن، ص 31

## المبحث الثاني : النسيم و الرياح :

برز النسيم مثيراً لمشاعر شعراء الحنين ومهيّجاً لعواطفهم ، فبعض الشعراء وجد في الريح والنسيم رسولاً ، يذكر الشاعر بأحبته، فيحملها همومه وأحزانه، لتنتقلها إلى دياره وأهله ، ومنهم الشاب الظريف الذي يقول :

[ الكامل

]

أَحْبَبْنَا بِنَا قُضِيَّ الْفُرَاقُ وَإِلَيَّ يَدُ  
لِفِرَاقِكُمْ لَكِنْ عَلَيَّ أَحْشَاءِي  
فَمُرُوا الرِّيَّاحَ بَأَنْ تَقْصَّ حَدِيثَكُمْ  
عِنْدِي فَمَا يُبْدِي  
الْكِتَابُ شِفَائِي (1)

عبر الشاعر عن شوقه وحنينه، ورأى أن اللقاء لن يتحقق، فيطلب من أحبته أن يأمرؤا الرياح لتنتقل أخبارهم إليه، وأخباره إليهم .

[ الوافر ]

وهذا المعنى لا يختلف كثيراً عند التلعفري، حيث يقول :

أَتَفَّهُمْ مَآ تَقُولُ لَكَ الْجَنُوبَ  
وَأَيَّ  
لَسَانُهَا إِيَّا الْهَبُوبَ

(1) الشاب الظريف : الديوان ، 34

تَقُولُ أَنَا الرَّسُولُ لِكُلِّ سِرِّ

بِمَا قَدِ

شَاءَهُ فَهِيَ الْحَبِيبُ (1)

يتخذ الشاعر من رياح الجنوب رسولاً، ينقل له أخبار أهله وأحبته ودياره، فيحملها أخباره  
ويُنْتَظَرُ منها أن تأتيه بالأخبار، فهي تكشف كل سر بينهم.

وتبدو المعاني السابقة في قوله : [ الخفيف ]

يَا نَسِيمَ الصَّبَا لَعَلَّكَ تَقْرِي لِي  
عَلَى بَانَةِ الْكَثِيبِ السَّلَامَا

حَبَّذَا أَنْتَ رَسُولَ كَرِيمٍ

لِمَشْهُوقِ أَبِي الْهُوَيِ أَنْ يَنَامَا (2)

وهذا صفي الدين الحلي يعبر عن شوقه لأحبته وذكراه معهم، فيقول :

[ الطويل ]

وَرَبَّ نَسِيمٍ مَرَّ لِي مِنْ دِيَارِكُمْ فَفَاحَ

لَنَا مِنْ طَيْبِهِ النَّشْرَ

وَأَذَكَّرَنِي عَهْدًا ، وَمَا كُنْتُ نَاسِيًا وَلَكِنَّهُ

تَجْدِيدَ ذِكْرِ عَلِيٍّ ذَكَرَ (3)

هنا يتكرر ذكر النسيم، فهو مرسل الأحبة، يذكرهم ببعضهم ، ويفجر أحاسيسهم ومشاعرهم تجاه  
من يحبون، ويثير الشوق والحنين لديهم، فهو يذكرهم بأجمل أوقاتهم، وأحلى لحظات القرب  
بينهم.

(1) التلعفري : الديوان ، 6،

(2) التلعفري: م، ن ، 41

(3) الحلي : الديوان، ص 285

وفي موضع آخر يرسل إلى أحبائه سلاماً مع ريح الصبا، ليذكرهم بأنه لا ينسى من يحب ، وأن العهد بينهم لا تنفصل عراه، حتى وإن باعدت بينهم المسافات ، يقول : [مجزوء الرمل]

بَـأَغِي الأَحْبَابِ يَـ  
رِيحَ الصَّـبَا عَنِّي السَّلَامَا  
وَإِذَا خَاطَبَـكَ  
جَاهِلٌ بِي قـولي : سلاما  
أَنَا مَن لَمْ يَذُمَّـهُ  
نَاسٌ لَمْ يَـمُؤْمَرُوا  
يَحْفَظُ العَهْدَ وَلَا يَسـ  
مَعَ فِـي الخِـلِّ المَلامِـ  
إِنَّ نَارَ الشَّـوْقِ سـ  
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا(1)

يظهر في هذه الأبيات الوفاء للمحبوب ، والحفظ للعهد ، و يظهر التأثر بالقرآن الكريم ،من خلال الاقتباس من القرآن الآية الكريمة ﴿ إِنَّهَا سَاعَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (2) فالشوق عند الشاعر

كالنار التي تزداد اشتعالاً مع البعد . ويقول ابن نباته : [ الطويل ]

يُداوي أَسَى العِشاقِ مَن نَحْوِ أَرْضِكُمْ  
نَسِيمٌ صَـبَاً أَضـحى عليه  
قـبولُ

بروحي مَن ذاك النَسِيمِ إِذَا سـرى  
طبيبٌ يـداوي  
النَّـاسَ وَهُوَ عَـلِيلٌ (3)

(1) صفي الدين الحلبي : م، ص 289

(2) الفرقان: 66 \ 25

(3) ابن نباته : الديوان ، ص 422



يرى الشاعر في النسيم طبيباً يداوي كل ذي شوق وحنين

وهذا العفيف التلمساني يعبر عن شوقه لأحبته وذكره معهم، فيقول : [ الوافر ]

(1) أَحْسَنُ إِذَا تَبَسَّمَتْ النَّعْمُ عَامِي  
مُعْطَرَةً بِمَسْحَبِ ذَيْلِ هِنْدٍ  
وَأَصْبُرُ وَالصَّبَّاءَ النَّجْدِيَّ إِذْ سَرَى  
مَا بَيْنَ بَنَاتِ وَرْنَدٍ (2)

هنا يرى الشاعر في النسيم رسولاً ، فيثير النسيم في نفسه الشوق والحنين .

وفي موضع ثانٍ، يتذكر الأحبّة من خلال نسيم الصبا، الذي يبعث في نفسه الأشواق ، فيقول:

[ الطويل ]

نَسِيمُ الصَّبَّاءِ أَذْكَرْتَنِي الْعَهْدَ بِالْوَادِي وَهَيَّجَتْ  
أَشْوَاقاً شَقَقْنَ فُؤَادِي  
فَإِنْ كُنْتَ تُحْيِي مَيِّتَ الْهَجْرِ وَالْجَاوِي بِقَتْلِ  
الْهَوَى، أَجْبَنِي بِمُرَادِي (3)

يخاطب الشاعر النسيم بأنه ذكره أهله وأحبته، فهيج الشوق في نفسه، فهو يرى أنه كالميت إذا

بقي مفارقاً لهم، فتكون حياته فقط بالقرب منهم .

ويحن العفيف إلى أيام شبابه مع أحبته، فيذكره النسيم بهم، فيقول :

[الكامل]

(1) النعمى : من أسماء ريح الجنوب ،لسان العرب، مادة نعم

(2) التلمساني : الديوان 197 \1

(3) التلمساني : م، ن 222 \1

أهلاً بمعتلِ النسيمِ ومَرحباً  
ومُذكري عَهْدَ الصَّبَابَةِ والصِّبَا  
حملَ التحييةَ عَن أَهْلِ المُنْحَنِ وَأَبَانِ  
عَنهم بالمَقَالِ وَأَعْرِبِيَا  
فَعَرَفْتُ عُرْفَهُمُ بِهِ لَكِنِّي  
أُنْكِرْتُ صَبْرًا عَن عَهْدِي نَكْبًا (1)

يتعلق الشاعر بالأوطان، ومن فيها من أهله وأحبته، فهو يذكرهم في بعدهم فيحترق جوفه ألمًا وحسرة على فارقهم، ويثير النسيم هذا الشوق ويأججه .

ويكرر حنينه من خلال نسيم الصبا فيقول :

[ المنسرح ]

مَا هَبَّ مِن نَحْوِكُمْ نَسِيمُ صَبَا  
وَأَذْكُرِي بِمُهْجَتِي لَهَبَا  
وَلَا شَدَا مَطْرَبُ رَبِّ بِي ذِكْرُكُمْ  
إِنَّا نَادَى المَشْوَوقُ وَأَطْرَبَا  
وَلَا تَذَكَّرْتُ عِيْشَةً سَأَلْتُ  
بِالْخَيْفِ إِلَّا وَقَلْتُ وَاحِدًا رَبَا (2)

يظهر الشاعر شوقه إلى أيام الصبا من خلال ما يحمله النسيم من ذكريات ماضية، ومع هذا فهو يصبر على لقائهم، و تستمر صورة المعاناة في نفس الشاعر، كيف وهو عندما يهب نسيم الصبا يثير عواطفه ومشاعره على فراق الأحبة.

(1) التلمساني : الديوان 103\1

(2) التلمساني : الديوان 104\1

والنسيم يبعثُ الشوق في نفس صاحبه، ويجعل القلب يتألم من شدة الحنين والشوق، يقول العفيف

[ المجتث ]

التلمساني :

يَا نَسِيمَةَ الْبَنَانِ هُبِّي

وَجَدَّ

وَجَدَّهَا مَرُّ النَّسِيمِ

وَمَا عَلَيَّ إِذَا مَا

وَقَدْتُ نِيرَانَ قَلْبِي

إِنْ تَكْتُمِي سِرِّي لِيَا

فَطِيهَا

عَنِّي يَنْبِي (1)

وهذا أحمد بن محمد الحاجبي (ت 738هـ) (2) يخاطبُ أحبته ، فيقول : [ الكامل ]

لا تبعثوا غير الصبا بتحبيبة

ما طاب في

سمعي حديثاً سواها

حفظت أحاديث الهوى وتضوعت

نشراً في الله

ما أذكها (3)

يريد الشاعر من أحبته أن يتخذوا من النسيم وريح الصبا رسولاً يرسلوا من خلاله بالتحية

والأشواق، والشاعر لا يرى أذكى وألطف من تلك الرسائل التي تحملها الرياح إليه منهم .

وعادة ما يرى الشاعر في النسيم راوياً لأحاديث الشوق والحنين، فهو ينقل ألطف السلامات

[ الطويل ]

وأحاديث الحب بين الأحبة، يقول العفيف التلمساني :

(1) التلمساني : الديوان 1161

(2) الحاجبي ( 000-738هـ) أحمد بن محمد شهاب الدين المعروف بالحاجبي -، ويورد اللفظ الخلو لا الحامض، مقاطيعه رائقة، ومعانيه بالقلوب لائقة. اجتمعت به في شوق الكتب بالقاهرة في سنة ثمان وثلاثين

وسبع مئة.شذرات الذهب 5816 ، أعوان العصر 9911 ، الوافي بالوفيات 3 731

(3) الصفدي : م، س 3682

رَوَتْ نَفَحَاتِ الطَّيِّبِ عَنْ نَسْمَةِ الصَّبَا حَدِيثَ غَرَامٍ عَرَامٍ  
سُوَيْكَةَ الْخَبَا

وَأَهْدَى النَّسِيمُ الْحَاجِرِيَّ سَلَامًا هَاهَا فَيَا لُطْفَ مَا أَهْدَى  
النَّسِيمُ وَمَا حَبَا

أَيَا صَاحِبِي مَنَّا لِللُّمَى فَاحَ نَشْرَهُ فَهَلْ سَحَبْتَ لَيْلَى  
ذِيوَالاً عَلَى الرَّبَا (1)

تشكل نفحات الطيب العابرة راوية لأحاديث الغرام، فهي تنقل السلام والتحية بين الأحبة، فهذه  
النسمات العابرة تحمل معها الرائحة الطيبة المعطرة بأنفاس محبوبته.

وكثيراً ما يجدد النسيم الوجد والحزن على فراق الأحبة ، فهذا إبراهيم بن عمر بن إبراهيم  
الجعبري (ت732هـ) (2) متشوقاً إلى أصدقائه، يقول :

[ الوافر ]

أضَاءَ لَهَا دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ وَجَدَّ وَجَدَّ دَهَا مَرُّ  
النَّسِيمِ

فَرَا حَتَّ تَقَطَّعُ الْفَلَاوَاتِ شَوْقًا مَكَفَّةً بِكَلِّ  
فَتَى كَرِيمِ

قِفَارٌ لَا تَرَى فِيهَا أَنْيْسًا سَوَى نَجْمٍ وَغَصْنِ نَقَا وَرِيحِ (3)

(1) التلمساني : الديوان 1011

(2) الجعبري(640 - 732 هـ)إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق: من فقهاء  
الشافعية.له نظم ونثر. ولد بقلعة جعبر (على الفرات، بين بلس والرقعة) وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل  
(في فلسطين) إلى أن مات. له نحو مئة كتاب أكثرها مختصر، منها (خلاصة الأبحاث)

الأعلام 551 ، الدرر الكامنة 141 ، فوات الوفيات 1 391

(3) الصفدي: أعيان العصر 1061

يذكر النسيم الشاعر بأحبته، فعلى الرغم من ظلمة الليل والصحراء القاحلة إلا أن النسيم يجدد وجد الشاعر وحزنه على فراق أحبته .

ويحنُّ الصفدي إلى صديقه أحمد بن يحيى، فعندما تهبُّ نسمة من جهة دارهم، يشتعل الشوق في نفسه وقلبه، يقول :

[الطويل]

دَعَوْتُمْ عَلَيَّ بُعْدَ فُلْبَاكُم لُبِّي

وناجاكم قلبي على البعد والقرب

وما لي وذكر الدار يا ساكني الحشا وداركم عيني

وَدَارَكُمْ قَلْبِي

وأفسم أن الجفن فيكم جفا الكرى وأحرق قلب الصب من

دمعه الصب

إذا قلبني هُبِّي يـا نسمة دارهم يقول

الجوى يـا نار شواقه شبي (1)

ويقول جعفر بن محمد بن عبد العزيز المعتلي (ت 676هـ) (2):

[الرمل]

لا تلمنا إن رقصنا طربا

لنسيم هبَّ من ذاك الخبا

(1) الصفدي : أعيان العصر 4261

(2) ابن المتأبد بن يحيى المعتلي(000-676هـ)جعفر بن محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن عمر بن سليمان بن إدريس المتأبد بن يحيى المعتلي. وصل الشيخ أثير الدين نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. ينظر: معجم المؤلفين 3\147 فوات الوفيات 1\196 الوافي بالوفيات 4\36

طَبَّعَتْهُ الْأَرْضُ بِنَشْرِ عَاطِرٍ  
فِيهِ لَلْعَشَّاقِ سِرٌّ وَتَبَا  
يَا أَهْيَلَّ الْحَايِّ مِمَّنْ كَاطِمَةٍ قَدْ  
لَقِينَا مِمَّنْ هَوَاكُمُ نَصَابَا (1)

هي صورة أخرى من صور معاناة الشاعر عندما تهبُّ عليه رياح الأهل والأحبة، فمع كل نسيم يسري إليه من جهتهم، يطير فرحاً وشوقاً، فمعاناته تزداد وألمه يكاد يقضي عليه، من شدة شوقه

ويكون النسيم عادة حاملاً للرائحة الطيبة، لأنه يحمل أخبار الأحبة وعطرهم، يقول عمر بن إبراهيم الرسنني (ت699هـ) (2) :

[الطويل]

عِيونُ الْمَهْمَا مَنِّي إِلَيْكَ رَسُولُ  
بِالْوَادِيَيْنِ عَلِيلُ  
نَسِيمٌ سَرِي

إِذَا مَا انْبَرَى يَرُوي عَنِ الرُّوضِ نَشْرُهُ  
بُرْدِيهِ صَبَاً وَقَبُولُ  
تَقَبَّلُ

وَإِنْ بَانَ بَانَ السَّفْحِ عَنِ أَيْمَنِ الْحَمَى  
فَمَا مَالٌ إِلَّا أَنْه  
لِيَقُولُ

حديثاً رواه البان عن نسمة الصبا ومن حزني أن النسيم رسول (3)

(1) الصفي : أعيان العصر 1572

(2) الرسنني (000-699هـ) عمر بن إبراهيم بن حسين بن سلامة بن الحسين، الإمام الأديب المسند المعمر، جمال الدين، أبو حفص الأنصاري العقيمي الرسنني. ولد برأس عين، سنة ست وست مائة، وتوفي سنة تسع وتسعين وست مائة. شذرات الذهب 451\5 الوافي بالوفيات 1228\7 ، النجوم الزاهرة 2 440\

(3) الصفي : أعيان العصر 589\3

ويحُنُّ خليلُ بن أبيك الصفدي إلى صديقه عمر بن داود الصفدي (ت749هـ) فيقول :

[الكامل]

يـانـازحـاً صـورته فـي خـاطري  
فـرميت للتصـوير بالنيرانِ  
إذا لـم يُبلـغك النـسيمُ تحيَّتي  
أتاكَ بها قـضيبُ البـانِ (1)

لقد دأب الشاعر على إرسال أشواقه من خلال النسيم ، فهو يرى فيه خير من يحمل تلك الرسائل

وكتيراً ما يهيج النسيم في قلب الشعراء ألواناً وفنوناً من الأشواق ، يقول ابن النقيب محمد بن

سليمان بن الحسن (ت699هـ) (2) :

[ الطويل ]

نسيمُ الصبا هيَّجتَ من قلبي المـضنى  
فنوناً مــــن الأشواق  
نَفْنَى ولا تَفْنَى

وعهدي بأنفاسِ الصِّبا تبرِّدِ الجوى  
وتهدي مــــن  
الأرواحِ راحاً لمن أنا

فما لــــي إذا هبَّ سحيراً يهزني

غــــرامٌ كــــم هــــزت جنوبيَّةً عُصنا (3)

[ البسيط ]

ويحُنُّ محمد بن يوسف المعروف بالخطيب ، فيقول :

(1) الصفدي : م، ن 6133

(2) ابن النقيب (611 - 698 هـ) محمد بن سليمان بن الحسن البلخي، المقدسي، أبو عبد الله، جمال الدين ابن النقيب: مفسر، من فقهاء الحنفية. أصله من بلخ، ومولده في القدس. انتقل إلى القاهرة وأقرأ في بعض مدارسها. وعاد إلى القدس، فتوفي بها. الأعلام 6\150، معجم المؤلفين 10\49، الوافي بالوفيات 1\352

(3) الصفدي : أعيان العصر 4544

سَلْ عَنْ أَحَادِيثِ أَشْوَاقِي إِذَا خَطَرْتُ  
رَسَلَ النَّسِيمِ  
فَقَدْ أودعتها لَمَعَا

وَاسْتَوْضِحَ الْبَارِقَ النَّجْدِيَّ عَنْ نَفْسِي  
بَعْدَ النَّوَى فَنَسِيحِيهِ إِذَا  
لَمَعَا(1)

يطلب الشاعر من محبوبه أن يسأل النسيم باعتباره رسولاً عن الأشواق التي تستعر في قلبه ونفسه.

### المبحث الثالث : الحمام

يجد كثيرٌ من الشعراء في الحمام وهديله باعثاً من بواعث الحنين إلى الديار والأحبة، وهذا أمر تقليدي درج عليه الشعراء، فكثيراً ما يشبّه الشاعر نفسه بتلك الحمام في نوحها وهديلها ، يقول نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله قاضي حماة (ت683هـ) متشوقاً إلى أحبته في الشام :

### [ الطويل ]

وَإِنْ نَاحَ فَوْقَ الْبَانَ وَرُقُ حَمَامٍ  
سَحِيرًا فَنَوْحِي فِي الدُّجَى عَمَّ الْوُرُقَا  
فَرَقُوا لِقَابٍ فَرَّقُوا ضَرَامَ غَرَامِهِ  
وَأَجْفَانٌ بِأَدْمَعٍ غَرَقِي

سَمِيرِيٍّ مَنْ سَعِدَ خَذَا نَحْوَ أَرْضِهِمْ  
يَمِينًا وَلَا تَسْتَبْعِدْ نَحْوَهَا  
الطُّرُقَا(2)

(1) الصفيدي : م،ن، 321\5

(2) الحنبلي : شذرات الذهب، 382/5



يتذكر الشاعر أحبته في الشام من خلال نوح الحمام في السحر ، حيث يقضي ليله متشوقاً إليهم،  
فيرى أن الحمام تعلم النواح منه، فهو يتذكرهم دائماً ويشتاق إلى لقائهم .

[ الطويل ]

ويقول ابن نباته المصري:

حمامٌ وادي السّفح إنَّ بلابلاً      تثيرُ أسي المضى وإن قيلَ تطربُ

أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم      وأين من المشتاق عنقاء مغربُ (1)

تذكر حمام وادي السفح الشاعر بأهله وأحبته، فيحنُّ إليهم حنيناً يكاد يذهب بنفسه، فأصوات  
الحمام لمن ظنها طرب وغناء، هي نواحٍ وبكاء من شدة الحزن .

ويقول بدر الدين الغزي الحسن بن علي بن محمد (ت753هـ) (2) :

[ البسيط ]

يا نازحاً سكنَ القلبَ الخفقَ وَمِنْ      إحدى العجائبِ نائي الوصلِ مقترِبُهُ

ما لاحَ برقٌ ولا ناحَتْ مطوْقَةٌ      ولا تتأَوَّحُ مِـــــــن بابِ الحمى

عُدْبُهُ (3)

يتذكر الشاعر أحبته النازحين بعيداً عنه، فهو كلما لاح البرق أو ناح الحمام، يحنُّ إليهم ويتذكرهم  
، لذلك يطلب العون لمساعدة قلبه المعتل بين ضلوعه .

[ الخفيف ]

وهذا جعفر بن ثعلب الأدفودي (ت749هـ) يقول :

(1) ابن نباته : الديوان ، 52

(2) الغزي ( 0000 - 753هـ) الحسن بن علي بن حمد بن حميد بن إبراهيم بن شنار بفتح المعجمة بعدها نون  
خفيفة الزغاري ولد سنة 706 وتعماني النظم فبرع فيه وله رسالة سماها قريض القرين تشتمل على نظم ونثر  
عارض بها ابن شهيد في رسالة النوابع والروائع. الوافي بالوفيات 1854 ، الدرر الكامنة 192\1، أعيان

العصر 1 182\

(3) الصفدي : أعيان العصر ، 216\2





أَسِيمَ الصَّبَا عَلَى الرَّوْضِ غُدْوَهُ      سَحَبَتْ ذَيْلَهَا عَلَى كُلِّ رَبْوَةٍ

أَمْ غِنَاءُ الْحَمَامِ غَرَّدَ فِي الْبَا      نِ وَأَضْحَى بِهِ يُرْجِعُ شَدْوَهُ (2)

تستمر الحالة النفسية للشعراء من خلال تذكّر الأهل والأحبة عندما يسمعون نواح الحمام، الذي يثير أشواقهم وحنينهم، فتمضي رحلة المعاناة من خلال ذرف الدموع، والحزن الشديد، وهذه الحالة تتكرر عند شعراء الحنين بشكل عام.

ويقول سراج الدين المحار عمر بن مسعود (ت717هـ) (3) في موشح يتذكر فيه أحبائه :

مَا نَاحَتْ الْوُرُقُ فِي الْغُصُونِ إِلَّا      هَاجَتْ

عَلَى تَغْرِيدِهَا لَوْعَةَ الْحَزِينِ

هَلْ مَا مَضَى لِي مَعَ الْحَبَائِبِ آيْبٌ      بَعْدَ الصُّدُودِ

أَمْ هَلْ لِأَيَّامِنَا الذَّوَاهِبِ وَاهٍ      ب

بِأَنْ تَعُودَ

مَعَ كُلِّ مِصْقَةٍ      وَلَةِ التَّرَائِبِ كَاعِبٌ

هِيَ فَاءَ رُودِ

تَفْتَرُ عَنْ جَوْهَرٍ ثَمَرٍ      بَيْنَ جَنَانٍ أَنَّهُ

يُجْتَلِي يُحْمِي بِقَضْبٍ مِنَ الْجَفُونِ (4)

(1) العوكلاني ( 698- 762هـ) الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن الحسين ابن الحسن بن زيد بن الحسين بن مظفر بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله العوكلاني ابن موسى الكاظم الوافي بالوفيات 288\4 ، الدرر الكامنة 182\2 ، أعيان العصر 306\ 1  
(2) الصفدي: أعيان العصر، 286\2

(3) المحار ( 000 - 711 هـ) عمر بن مسعود بن عمر المحار الكناني الحلبي، نزير حماة، سراج الدين: شاعر، نعتة ابن شاعر بالحكيم صاحب الموشحات، وأورد بعضها له " ديوان شعر ". توفي في دمشق. الأعلام ج6\5  
، فوات الوفيات ج146\3 ، الوافي بالوفيات ج437\5

(4) الصفدي : أعيان العصر 670\3

يؤكد الشاعر أن مشاعره تهيج كلما ناح الحمام وغرد ، فهو حزين لفراق الأحبة، يتذكرهم ويتمنى لقاءهم، ثم ينفذ من خلال هذه الحالة إلى التغزل بمحبوبته ، فيراها أجمل النساء.

يقول محمد بن إبراهيم بن عبد الله الأرموي (ت711هـ) (1) بعد أن ذكره الحمام بأحبته :

[ الكامل ]

أضحيتُ أسجعَ من ورقاء فاقدةٍ      تنوحُ في الدوح طول الليل لمْ تتم

بعدَ الأحبةِ لا تهوى المنامَ بلى      إن سامحوها وزارَ الطيفُ في الحلم (2)

يصورُ الشاعر نفسه بحالة الحمامة التي فقدت فراخها، فهي تنوح عليهم حزناً وألماً ، وكذلك الشاعر لا يجد الراحة للنوم فيقضي ليله آملاً أن يزوره طيف المحبوب، فيخفف من شوقه وحنينه .

وهذا محمد بن عيسى الرياني (ت764هـ) (3) يحنُّ إلى صديقه الصفدي يقول:

[ الكامل ]

ساقَ الحمامُ إلى لقائك نائحاً      صابُّ تذكرَ نازحاً أوطانه

فاهتزَّ قلبي باهتزازِ آراكه      طرباً، وهيجَ شجوهُ أشجانه (4)

(1) الأرموي (645-711هـ) محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن يوسف الأرموي أبو عبد الله الصالحي ولد سنة

645 وسمع من أحمد بن عبد الدائم وغيره سمع منه الذهبي وذكره في معجمه فقال شيخ صالح يقصد بالزيارة

وله اشتغال وفضيلة مات في رمضان. الدرر الكامنة 444\1

(2) الصفدي ، أعيان العصر، 218\4

(3) الرياني ( 711-764هـ) محمد بن عيسى بن عيسى ، القاضي البليغ الناظم الناثر المفوّه شمس الدين ابن

القاضي شرف الدين ابن قاضي شهبة. رجل انقاد له الكلام، ونزل على حكم نثاره والنظام، له النظم المطبوع

والنثر الغزير الينبوع، كتب الإنشاء وترسل، توفي بالطاعون في غزة. أعيان العصر 381\ 2

(4) الصفدي ، أعيان العصر، 49\5

يثير الحمام في نفس الشاعر شعوراً بالشوق والحنين المتأجج لأحبته، وهذا الشعور يدفعه إلى إظهار حالة الحنين لهم.

يقول محمد بن محمد بن سيد الناس (ت762هـ) (1) :

### [ الخفيف ]

صادحات الحمام في الدوح تصدحُ      بغرامي فـ في العين تسفحُ  
رجعتُ شدوها فيرجُ بي شـو      ق مقيمٌ  
لظاعنٍ ليسَ يبرحُ<sup>(2)</sup>

يستمر الحمام باعثاً على الشوق والحنين، فالحمام في هديله وبكائه إنما يعبر عن حالة الشاعر النفسية، التي تدفعه إلى التعلق بكل ما حوله من مثيرات، لتذكره بمحبوبه.

ويقول الصفدي متشوقاً إلى صديقه ابن سيد الناس :

### [ الطويل ]

تنوح حمامات اللوى فأجيبُ      ويحضرُ عندي عاندي فأغيبُ  
ولما بكتُ عيني نواك تَعَلَّمْتُ      دموعُ السحابِ الغرِّ كيف تصوبُ  
أيا برقُ إن حاكيت قلبي فلم يكنُ      لنارك مع هذا الجفون لهيبُ<sup>(3)</sup>  
يتذكر الشاعر صديقه البعيد عنه، فإذا ناح الحمام، حنُّ إليه وتذكره ، فالشاعر يرى في سح  
الدموع من عينيه، وسيلة تعلم السحاب كيف يمطر، كناية عن غزارة الدموع وشدة الشوق .

وفي موضع آخر يقول الحسين بن عمر بن صبرة (ت715هـ) (1) :

### [ الوافر ]

(1) اليعمري (671 - 734 هـ) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح،

فتح الدين: مؤرخ، عالم بالأدب. من حفاظ الحديث، له شعر رقيق. أصله من إشبيلية، مولده ووفاته في

القاهرة. من تصانيفه (عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير - ط) جزآن ومختصره (نور العيون

(ط)الأعلام 34١7، الدرر الكامنة ١1 465، شذرات الذهب 5 297١

(2) الصفدي، أعيان العصر، 232١5

(3) الصفدي، أعيان العصر، 337١5

تَذَكَّرَ عَصْرَ أُنْسٍ فِي حِمَاكُمُ      أَتَى وَقَضَى فَحْيَا اللَّهُ عَصْرَهُ

هَجَرْتُ دِمَشْقَ فَالْوَرَقَاءُ تَبْكِي      أُسَى وَعَلَتْ عَلَى الْأُورَاقِ صُفْرَةً<sup>(2)</sup>

تهيج حالة من الشوق المتدفق في نفس الشاعر ، فيتذكر عصر الشباب في ذلك المكان الذي كان يسعد فيه بقاء الأحبة، ثم يتحدث عن هجره لموطنه وأهله.

### المبحث الرابع : الدموع

يجد الشاعر في الدموع مثيراً من مثيرات الحنين إلى الأوطان والأهل والأحبة كالبرق والنسيم والحمام ، فدائماً تذكره الدموع بهم وترتبط عادة بالحنين والشوق إليهم .

يقول العفيف التلمساني :

[ البسيط ]

إِنِّي لِأَكْتُمُ أَنْفَاسِي إِذَا ذُكِرُوا      كَيْلَا يُحَرِّقَهُمْ مِنْ

زَفْرَتِي اللَّهْبُ

وترسلُ الدمعَ عيني في منازلهم      كيلا تسابقها في سحها السحب<sup>(3)</sup>

يتذكر الشاعر أحبته، فيكتم أنفاسه من شدة شوقه وحنينه إليهم، لذلك تجري دموعه منهمرة وغزيرة ، ويشبه زفراته باللهب الحارق الذي يبين مدى الشوق والحنين.

وفي موضع آخر يقول :

[ الطويل ]

دموعي أبت إلا انسكاباً لعلها      بمكنون حبي عمن حبي

تشهد

(1) الحسين بن عمر ( 0000 - 715هـ) ابن صبرة، كان من الأمراء بدمشق، وتولى بها الحجوبية، وهو من بيت له في السيادة سمو، ومن أصل له في الرياسة نمو، ومن قبيل لهم في المكارم رواح وغدو. أعيان العصر 1

305\

(2) الصفدي، أعيان العصر، 283\2

(3) التلمساني : الديوان 90\1

دنوت فأقصاني فعدتُ فردنِّي فـ لا هو يدنيني ولا

انـ اأعدُ

دبيبُ الهوى بين الضلوع موججٌ لهيبُ اشتياقي فيه للقلب موردٌ (1)

يؤكد الشاعر أن دموعه تأتي إلا أن تنسكب بغزارة، لتعبر عن شوق وحنين للمحبوب، فلهيب الشوق يكاد يدبُّ بين ضلوعه حزناً وألماً.

ويقول أحمد بن محمد الحاجبي (ت749هـ) : [ البسيط ]

وَدَعَتْهُ

وَدَمْعُ وَعِ ي عِلَى

الْخُودِ غِ زَارُ

فـ استكثروا دَمْعَ عَيْنِ ي

لـ ما استنقأُوا وَسَارُوا (2)

يتذكر الشاعر أحبته عند الوداع ، فتجري دموعه منهمة وغزيرة لتعبر عن هذا الشوق والحنين .

وهنا تتكرر صورة الدموع الغزيرة التي تظهر حالة نفسية يعيشها الشاعر بعيداً عن الأهل .

وفي موضع آخر يقول أحمد بن يوسف الطيبي (ت717هـ) (3) : [ الخفيف ]

(1) التلمساني : م،ن 240\1

(2) الصفدي : أعيان العصر 369\1

(3) الطيبي ( 649 - 717هـ) أحمد بن يوسف بن يعقوب الطيبي شمس الدين كاتب الإنشاء بطرابلس كذا ترجمه الصفدي في أعيان العصر وفي معجم الذهبي أحمد ابن يعقوب بن إبراهيم بن أبي نصر وتبع في ذلك البرزالي ولد في ذي الحجة سنة 649 وتعالى الآداب ففاق في النظم والنثر .  
الدرر الكامنة 114\1 ، المنهل الصافي 144\1 ، أعيان العصر 121\1



لستُ أنسى الأُحبابَ ما دُمْتُ حيًّا إذا نـووا للنَّوى  
مكانـاً قـصياً

وتلـوا آيـةَ الدـمـوعِ فـخـروا  
خيفـةَ البينِ سـجـداً وبـكـيًّا

فبذكـراهـم تـسـمـحُ دُمـوعـي  
كلـما اشـتـقتُ بـكـرةً وعـشـيًّا

وأناجـي الإلهِ مـن فـرطِ حـزـني  
عـبـده زكـريـاً<sup>(1)</sup>

إن المعاني السابقة التي يظهر فيها التأثر بالقرآن الكريم، ما هي إلا ترانيم تطرقُ قلوب الناس وأفئدتهم، وتدعوهم إلى التأمل والتفكير<sup>(2)</sup>، فحالة اليأس والحزن التي تسيطر على نفس الشاعر تدفعه إلى البكاء المستمر صباح مساء، فالشاعر يعبر بطريقته الخاصة عن حالة الشوق والحنين.

ويقول أحمد بن يحيى بن المجلي بن دعجان (ت749هـ)<sup>(3)</sup> :

[ الطويل ]

فوالله ما حدت نفسي بمجلسٍ  
سوى أفاض الدمع فيه من الجبِّ

ولو كان شرقُ الدمع من طبع مُقلتي  
إلى أن تغريتم ففاض من الغرب<sup>(4)</sup>

(1) التلمساني : الديوان 439\1

(2) ينظر : رائد عبد الرحيم، فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي، 108

(3) ابن دعجان ( 697 - 749هـ) أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المحلي بن دعجان، ينتهي نسبة إلى عمر بن

الخطاب رضي الله عنه، القاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس بن القاضي محي الدين القرشي العدوي

العمري الدمشقي، الدرر الكامنة 111\1 المنهل الصافي 140\1 أعيان العصر 114\1

(4) الصفي : أعيان العصر 426\1

يصورُ الشاعر موقف الرحيل، وفراق الأهل والمحبوب، فيتعجب من حالهم عندما رحلوا ولم يحتفظ لهم بصورة في ذاكرته، فيبين أنه لم يبق له سوى الذكرى الماضية، التي يفيض دمه حزناً عندما يتذكرها، فالدموع تنهمر بلا توقف، ولم يبق له سواها .

وهذا إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل القوسي الحنفي (ت715هـ) يقول : [ الوافر ]

أَقُولُ لَأُـدَمِّعِي لَيْسَ يَرْقَى  
وَلِي مَن  
عَبْرَتِي إِحْدَى الْوَسَائِلِ

حُرِّمَتْ الطَّيْفَ مِنْكَ بِفَيْضِ دَمْعِي  
فَط\_\_\_\_\_رْفِي فِيكَ  
مَح\_\_\_\_\_رُومٌ وَسَائِلٌ (1)

يجد الشاعر في الدُموع رسولاً يعبر لأحبه عن شوقه وحنينه، وهذه الدموع مهما حاول الشاعر إخفاءها إلا أنها تكشف عن شوقه وحنينه .

ويستمر الشاعر في ذرف الدموع وسيلة للتعبير عن شوقه، فيقول : [ الوافر ]

أَقُولُ وَدَمَّعِي قَدْ حَالَ بَيْنِي  
وَبِي \_\_\_\_\_ نَ أَحْبَبْتِي يَوْمَ الْعِتَابِ  
رَدَدْتِمْ رَسَائِلَ الْأَجْفِ \_\_\_\_\_ ان نَهْرًا  
تَعَثَّرَ وَهُوَ يُجْرِبُ فِي الثِّيَابِ (2)

ويقول حسن بن محمد الصفدي (ت723هـ) : [ الطويل ]

تَذَكَّرْتُ عَيْشًا مَرًّا قَدَّمَا وَقَدْ حَلَا  
وَرَبِّعًا عَمَرَنَاهُ بِلَهُوٍ وَقَدْ خَلَا

(1) الصفدي : أعيان العصر 238١2

(2) الصفدي : م، ن 238١2

وَأَذْكُتُ دُمُوعَ الْعَيْنِ نَارَ صَبَابَتِي      وَجَدَّدَ لِي وَجْدًا أَخِيرًا  
(1) وَأَوْلَا

يتذكر الشاعر عيشه برفقة الأهل والأحبة، والأيام التي قضاها بصحبتهم سعيدة هائلة،  
فانهمرت الدموع مشعلة نار الوجد في قلبه، وجدد الفراق حزنه وألمه عليهم، ونجد في البيتين  
السابقين كيف حشد الشاعر مجموعة من الألفاظ التي تدل على هول الحالة التي يعيشها،  
مثل (دموع ، نار ، الوجد).

أما عمر بن عيسى اللمطي (ت721هـ) (2) ، فقد توجع على فراق أهله، واتخذ من الدمع  
وسيلته في التعبير عن ذلك، فهو حين يتذكر أيامه الماضية، وما فيها من لهو وسعادة، تجري  
دموعه وتفيض حزناً، فبُعد دار الأحبة، لا يترك له مجالاً إلا البكاء وذرف الدموع، يقول :

#### [ الطويل ]

أبى الدمع إلا أن يفيض وأن يجري      على ما مضى من مدة النأي من عمري  
وما لي إن كففتُ ماءً محاجري      وقعدتُ بعت دار الأحبة  
من عذر (3)

ويقول أبو الحسين الجزار (ت723هـ) :

طرفُ المُحِبِّ فَمَّ يذاعُ به الجوى      والدمعُ إن صمتَ اللسان لسانُ  
يا سائلي عما تكابدُ مهجتي      إعراب طرفي

#### بالدموع بيانُ

(1) الصفدي : أعيان العصر 238١2

(2) ابن اللمطي (638 - 721 هـ) عمر بن عيسى بن نصر بن محمد التيمي القوسي، مجير الدين، ابن  
اللمطي: أمير، كان شاعراً، فاضلاً، كبير المروءة. في شعره جودة وقوة. أورد له الأدفوي قصيدة رائية، وقطعاً  
حسنة. سكن القاهرة أيام القاضي تقي الدين ابن دقيق العيد. مولده ووفاته بقوص.

الأعلام ج58١5 ، الوافي بالوفيات ج22١2، فوات الوفيات ج138١3

(3) الصفدي : أعيان العصر 238١2

تبكي الجفون على الكرى فأعجب لمن تبكي عليه إذا نأى الأوطان<sup>(1)</sup>

عزَّ على الشاعر الفراق، والبُعد عن الأحبة، فعَبَّرَ عن ذلك بأجمل الألفاظ وأرق المعاني، فهو يرى أن عيون المحب تخبر عما يعانیه من اللوعة والحزن، وأن دموعه أفضل من يعبر عن حالته فهي لسانه إذا عجز لسانه عن التعبير، فلا يسأله أحد عن حاله فدموعه خير شاهد على حاله، وما أجملها من صورة يرسمها لنفسه في حنينه إلى وطنه، فالجفون تبكي على الكرى حليفاً، فكيف لا يبكي هو أحبته.

نستنتج من خلال الفصل السابق أن هناك أربعة العديد من المثيرات التي تدفع الشاعر دفعاً إلى الحنين، فهي تذكره بأيامه الماضية وأهله وأصدقائه ومحبيبته، فتضرم في صدره نار الشوق والحنين، وأهم هذه المثيرات هي: البرق، والنسيم، والحمام، والدموع، وقد جاء تصوير هذه المثيرات والتعبير عنها متشابهاً عند معظم الشعراء، فهم يرونها رسولاً من طرف الأهل والأحبة، ومذكراً لهم بأيام لهوهم وصباهم .

وحمل كثير منهم النسيم والبرق رسائل الشوق علماً تصل لأحبتهم، وكثيراً ما يشبه الشعراء حالهم بحال الحمام في نوحه على فراخه، فيربطون بين حالة الحمام وحالتهم، لعلهم يجدون في ذلك مؤنساً لهم في غربتهم وبُعدهم عن أحببتهم .

ووجد الشعراء في الدموع وسيلة تعبير عما يشعرون به، فهي اللسان إن عجز اللسان عن التعبير، مع أنها حرمت بعضهم من رؤية طيف المحبوب الذي قد يخفف من آلامهم على فراقه.

---

(1) الصفي : م، 23812

## الفصل الثالث : الدراسة الفنية.

المبحث الأول : بناء القصيدة

المبحث الثاني : اللغة والأسلوب.

المبحث الثالث : الصورة الشعرية

المبحث الرابع : المحسنات البديعية

المبحث الخامس : الموسيقى

**المبحث الأول : بناء القصيدة**

أ- المطلع

ب- حسن التخلص

ج- الخاتمة

د- وحدة الموضوع

## المبحث الأول : بناء القصيدة:

اهتم النقاد العرب ببنية القصيدة العربية اهتماماً كبيراً، وتناولوا عناصرها بالدراسة ، فوقفوا عند المطلع وحسن التخلص والخاتمة ووحدة الموضوع ، وسنقف عندها بالتحليل:

### أ- المطلع:

اهتم القدماء بمطالع قصائدهم، فكانوا يقولون " أحسنوا معاشر الكتاب الابتدءات، فإنهن دلائل البيان "(1) ، ويؤكد ابن الأثير هذا المعنى فيقول " وإنما خصت الابتدءات بالاختيار، لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الابتدء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه"(2)

ويرى ابن رشيق أن الشعر " قفل، أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجودّ ابتداء شعره،

فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"(3)

---

(1) العسكري، كتاب الصنائع: الكتابة والشعر، 431 .

(2) ابن الأثير، المثل السائر 2\224

(3) ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده 1\350

وراعى النقاد التصريح في المطلع : "وذلك بأن يتساوى آخر جزء في صدر البيت مع آخر جزء في عجزه وزناً وإعراباً" (1).

ويجمل يوسف بكار شروط المطلع الحسن بقوله " أنه يجب أن يكون فخماً له روعة وعليه أبهة

وأن يكون بعيداً عن التعقيد ، وأن يكون نادراً انفراداً به الشاعر دون غيره، وأن يكون خالياً من الأخطاء النحوية ، وتراعى فيه جودة اللفظ والمعنى معاً، " (2).

وقد صنّف النقاد المطلع إلى جيدة وردئية، أما المطلع الرديئة، فقد أرجعها ابن رشيق إلى حالات ترجع إلى الشاعر نفسه، يقول : " وإنما يؤتى الشاعر هذه الأشياء والعيوب إما عن غفلة في الطبع وغلظ، أو استغراق في الصنعة، وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب " (3).

ويرى عبد الحليم حفني أن للدراسات النفسية أثراً واضحاً في دراسة المطلع، " فبعد أن كان يتم التركيز على المخاطب باعتبار المطلع موجهاً لجذبه واستمالته، أصبح التركيز على الشاعر نفسه، بمعنى أن النقد بعد أن كان يراعى أن الشعر ومنه المطلع لا بد أن يكون مناسباً للمخاطب وحسب ، أصبح ينظر أولاً إلى مدى علاقته بنفسية الشاعر، وتعبيره عنها" (4).

والناظر في مطالع قصائد الحنين في العصر المملوكي الأول، يجد الشعراء يعنون بها عناية فائقة، فهي في غالبيتها تنفق مع الموضوع، وقد اتسمت بالسهولة، والبعد عن التعقيد

(1) انظر : أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي ص، 307

(2) يوسف بكار ، بناء القصيدة العربية ، ص 276

(3) ابن رشيق ، العمدة ، 223

(4) عبد الحليم حفني، مطلع القصيدة العربية ، ص 62



والغموض، كما لاءم الشعراء بين شطري المطلع، من خلال التصريح، لتحقيق نوع من الموسيقى التي تجذب السامعين، ومن المطالع الحسنة قول شمس الدين الصائغ (722هـ) ، في قصيدة مطولة له عن شوقه وحنينه لدمشق، حيث بدأ قصيدته بمطلع يوحي بمضمون القصيدة، يقول :

### [ الكامل ]

لِي فِي رُبُوعِكَ دَائِمًا يَا جَلِّقُ شَوْقٌ أَكَابِدُهُ  
جَوِيَّ أَمَزَقٌ (1)

يعبر الشاعر في المطلع السابق عن حزنه وألمه لفراق وطنه، فيختار لهذا الموضوع مطلعاً يتناسب مع نفسيته ومشاعره، فالمطلع السابق يتسم بالسهولة ، والبعد عن التعقيد، كما تظهر فيه الموسيقى الناتجة عن التصريح القائم بين شطريه.

ويعد مطلع البهاء زهير في قصيدته التي عبر فيها عن شوقه وحنينه لمصر، ملائماً للغرض من حيث السهولة، والبعد عن الألفاظ الغريبة، والخلو من الأخطاء النحوية:

### [ الطويل ]

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا لَسْتُ أَنْسَى عُهُودَهَا وَيَا طُولَ شَوْقِي نَحْوَهَا وَحَنِينِي (2).

يكشف المطلع السابق عن نفسية الشاعر ومشاعره إزاء الموقف الذي يعيشه ، فهو يعبر في مطلعته عن نفسيته، فألفاظه وعباراته تدل على إحساس شديد بالشوق والحنين لموطنه.

ويكشف ابن أبي أصيبعة (ت668هـ) (1) في مطلعته عن مضمون القصيدة ورضها العام الذي

### [ الوافر ]

يريده وهو الحنين إلى العذيب وساكنيه ، يقول :

(1) الكتبي : فوات الوفيات، 3، 327

(2) البهاء زهير : الديوان ، 360

فُؤَادِي فِي مَحَبَّتِي مَهْمٌ  
أَسِيرٌ وَأَنَّ سَارَ  
رَكْبٌ مَهْمٌ يَسِيرٌ<sup>(2)</sup>

يُعَبِّرُ المَطَّلِعُ السَّابِقُ عَنِ الشُّعُورِ الَّذِي يَسِيْطِرُ عَلَى نَفْسِ الشَّاعِرِ، الشُّعُورِ بِالْحَنِينِ وَالبَعْدِ عَنِ  
الأَحْبَةِ، فيُعْبِرُ المَطَّلِعُ عَنِ مَضْمُونِ القَصِيدَةِ وَهُوَ شَوْقُهُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي كَانَ يَقْتَنُهُ أَحْبَبْتَهُ،  
وَهُوَ العَذِيبُ، فيَتَجَاوَزُ الحَنِينَ لِأَحْبَبْتَهُ إِلَى الحَنِينِ لِمَوْطَنِهِ، وَيُعْبِرُ عَنِ تَعَلُّقِهِ بِهِمْ أَيْنَمَا رَحَلُوا  
وَأَقَامُوا، فَقَلْبُهُ أَسِيرٌ لَدَيْهِمْ، كَمَا جَاءَتْ الأَلْفَاظُ سَهْلَةً وَاضِحَةً، مَعْبِرَةٌ عَنِ المَعْنَى الَّذِي يَرِيدُهُ  
الشَّاعِرُ .

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ اسْتَهْلَوْا قِصَائِدَهُمْ بِمَطَّلِعِ حَسَنِ صَدْرِ الدِّينِ الأَدْمِيِّ الحَنْفِيِّ (ت 813هـ—)  
<sup>(3)</sup>مَتَشَوِّقًا لِمَوْطَنِهِ وَأَحْبَبْتَهُ، يَقُولُ :

### [ الطويل ]

أَحْسَنُ إِلَيَّ تِلْكَ السَّجَايَا وَإِنْ نَأَتْ  
حَنِينٌ  
أَخِي ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ<sup>(4)</sup>.

مِنَ خِلَالِ المَطَّلِعِ السَّابِقِ يَتَضَحُّ أَنَّ الشَّاعِرَ التَّرَمُّزُ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ بِمَعَايِيرِ المَطَّلِعِ الحَسَنِ، فَمِنَ  
السَّهُولَةِ فِي اسْتِخْدَامِ الأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى الغَرَضِ، وَالبَعْدِ عَنِ التَّعْقِيدِ ، وَمِرَاعَاةِ الكَلَامِ لِمَقْتَضَى

(1) أحمد ابن أبي أصيبعة (596 - 668 هـ) أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو  
العباس ابن أبي أصيبعة: الطبيب المؤرخ، صاحب (عيون الأنبياء في طبقات الأطباء - ط) في  
مجلدين. الأعلام ج 197/1 ، الوافي بالوفيات ج 480/2 ، النجوم الزاهرة ج 321/2

(2) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 321/2

(3) ابن الأدمي (768 - 816 هـ) علي بن محمد بن محمد، أبو الحسن، صدر الدين ابن الأدمي: قاض، من  
الشُّعْرَاءِ الكِتَابِ المِتْرَسِلِينَ. مَوْلَدُهُ وَوَفَاتَهُ فِي دِمَشْقِ. بَاشَرَ كِتَابَةَ السَّرِّ فِي دِمَشْقِ ثُمَّ قَضَاهَا. يَنْظُرُ: الأعلام 7/5  
، شذرات الذهب 131/7 ، المنهل الصافي 143/1

(4) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، 218/4

الحال، كذلك تبرز الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر من خلال تكراره للفظه الحنين، كما ظهر تأثره بشعر امرئ القيس فضمَّنه مطلعَه .

ومن المطالع المحموده قول شهاب الدين التلعفري يناجي أطلال الديار :

[ الوافر ]

نَعَمْ هَذَا الدِّيارُ فَحَيْهِنَّه  
مُغْرَمٌ يَحْنُو لَهِنَّه (1).

عبر الشاعر عن غايته وشوقه من خلال المطالع الذي تميز بالألفاظ السهلة الواضحة والمعاني المعبرة، وراعى في مطلعَه الغرض الذي يريده .

ومن ذلك قول شهاب الدين محمود يتشوق لصديقه تقي الدين الحنبلي :

[البسيط]

هَلْ مَنْ عِنْدَهُمْ بُرِّي وإِسْقامي  
نَوَاهِمُ أصل آلامي (2)

الشاعر يتحدث عن شوقه وحنينه إلى صديقه، ويظهر حزنه على فراقه وبعده عنه، وهذا ظاهر في مطلع القصيدة، والذي يتسم بالألفاظ السهلة، الدالة على ما يريد، من شوق وحنين.

وكان الشعراء يأتون بالمطلع على طريقة القدماء، فيقفون على الأطلال، والبكاء عليها، غير

أن هذه المطالع قليلة جداً في هذا العصر، منها قول شهاب الدين التلعفري، :

[ الكامل ]

(1) التلعفري : الديوان ، 54

(2) الكتبي : فوات الوفيات ، 161\2

طَلَّ لَعْلُوءَ دُونَ سَفْحِ الْمَجْرٍ رَوْتَهُ دِيمَةً

غَيْثٍ مُمَطَّرٍ (1)

يتضمن المطلع ما يشير إلى غرض الشاعر، وهو الحنين، حيث عبر بلغة بسيطة وواضحة.

ويقف الشاعر نفسه على الأطلال ليخاطب الرفيق، يقول : [ الكامل ]

قِفْ سَائِلًا بِلَوَى الْكَثِيبِ الْأَيْمَنِ دَارًا عَفَفَتْ فَكَأَنَّمَا لَمْ تَسْكُنْ (2)

ما يزيد المطلع السابق جمالاً، هو استخدام الأمر الذي يفيد الالتماس، وكذلك التصريح الذي

يضيف على المطلع جمالاً موسيقياً، ما يثير في نفس السامع شيئاً من الانجذاب .

وهذا الشاب الظريف يحنُّ إلى ديار الأحبة فيأتي بمطلع يعبر عن ذلك الحنين والشوق، فاختار

لمطلعه ألفاظاً سهلة واضحة، ومضى فيه على نهج القدماء، يقول :

[ البسيط ]

قِفْ بِالرَّكَائِبِ أَوْ سُقِّهَا بِتَرْتِيبِ عَسَى تَسِيرُ إِلَى الْحَيِّ

الْأَعَارِبِ (3)

يتضح من خلال المطالع السابقة اهتمام الشعراء بمطالعتهم ، فهم عبروا عن مشاعرهم وعواطفهم

مباشرة ودون تكلف أو تعقيد، وحاولوا استمالة السامعين إلى مضامينهم وأغراضهم، كما أن

السهولة والجزالة والفخامة ميزت هذه المطالع.

ب- حسن التلخيص:

(1) التلعفري : الديوان ، 13،

(2) التلعفري : الديوان ، 44،

(3) الشاب الظريف : الديوان ، 80،

حسن التخلص أو الخروج كما يسميه بعض الدارسين، وهو " أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه، إذ أخذ في معنى غيره، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ فراغاً " (1).

وحسن التخلص من الأمور التي لم يوجّه القدماء عنايتهم إليها كثيراً، وكانت طريقة بعض الشعراء أن يقولوا "بعد أن يفرغوا من النسيب: دع ذا، أو عدّ عن ذا، أو اترك ذا" (2). ، كقول زهير :

دع ذا وعدّ القـول في هـرم خـير

البداة وسيـد الحـضـر (3)

ويرى ابن طباطبا العلوي في كتابه "عيار الشعر" أن " التخلص الحسن يكون في الأبيات التي يتخلص منها قائلوها إلى المعاني التي أرادوها، من مديح وهجاء أو افتخار، أو غير ذلك ولطفوا في صلة ما بعدها، فصارت غير منقطعة عنها، كأن يتوصل للمديح بعد شكوى الزمان ووصف محنه وخطوبه، فيستجار منه للممدوح " (4)

ومما يجب اعتماده في التخلص كما يرى حازم القرطاجني " أن يجتهد في تحسين البيت التالي لبيت التخلص، فإنه أول الأبيات الخالصة للحمد أو الذم، وأول منقطة من مناقل الفكر في ما تخلصت إليه، فيجب أن يعتمد فيه ما يكون محرّكاً للنفس لتستأنف هزة ونشاطاً لتلقي ما يرد، بل ربما كانت الحاجة إلى استثارة الهزة عند الانعطاف أكد منها في استثارة ذلك عند المبدأ، لكون

(1) ابن الأثير : المثل السائر ، 2/224

(2) انظر : ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونفده، 1/378

(3) زهير : الديوان ، 27

(4) ابن طباطبا : عيار الشعر ، 321

صدر القصيدة وسماعه يذهب بقسط من نشاط النفس ربما لم يكن يسيرا، فكانت الحاجة إلى استثارة النشاط عند أخذه في الضعف أكد من الحاجة إلى استثارته في حال توفره وجمومه".(1)

ومن خلال تأمل القصائد الواردة في هذه الدراسة فإن شعراء هذا العصر أحسنوا التخلص في قصائدهم و الانتقال من موضوع إلى آخر ، يقول الشاب الظريف : [ الطويل

[

لَعَلَّ أَرَاكَ الْحَايَّ لَيْسَ لِي لَأَرَاكَ هُ  
وَمِيضَ سَنَا مِنْ نَحْوِ طَيْبَةٍ يَخْلُصُ  
وإِلَّا فَمَا لِلرِّيِّحِ تَنَاجِي دِي ذِيوُلُهَا عَيْرًا  
وَمَا بَالُ الرُّكَّائِبِ تَرَقُّصُ  
فَمَا زَالَ نُورُ الْمُصْطَفَى لِأِحَا نَنَا عَلِيَّهَا وَأَعْلَامُ  
الْحَمِي تَتَشَخَّصُ  
وقالوا غدا نأتي ديار محمد فقلت  
لهم هذا الذي عنه أفحص  
نبي له آيات صدق تبييت فكل  
حسود عندها يتنغص (2)

لقد تخلص الشاعر من الحنين إلى الديار المقدسة، فبدأ يتشوق إلى الديار الطاهرة، ويصف حنينه إليها، ثم ينتقل إلى مدح النبي ، صلى الله عليه وسلم ،في البيت الرابع ، بعد أن بث شوقه

(1) القرطاجني : منهاج البلغاء ، 320-321

(2) الشاب الظريف : الديوان ، 242

وحنيه إلى الديار، فكان تخلصه سلساً، لا يشعر السامع بتلك النقلة إلى الغرض الرئيس، وكان تخلص الشاعر في الأبيات الأولى من الحنين لتلك الديار الطاهرة تخلصاً حسناً .

ومن التخلصات الجميلة الحسنة قول شهاب الدين العزازي (710هـ) : [ البسيط ]

مَنَازِلُ لَأَكُفِّ الْغَيْثَ تَوْشِيَةً بِهَا وَلِلذَّوْرِ  
تَوْشِيْعٌ وَتَكَايلُ

كَأَنَّمَا طِيبُ رِيَّاهَا وَنَفَحَتْهَا  
رَسُوْلُ اللهِ مَجْبُوْلُ

أَوْفَى النَّبِيِّنَ بُرْهَانًا وَمُعْجَزَةً  
جَاءَهُ بِالْوَحْيِ جَبْرِيلُ

لَهُ يَدٌ وَلَهُ بِعَاقِ يُزِينُهُمَا فِي  
السَّلْمِ طَوْلٌ وَفِي يَوْمِ الْوَعْيِ طَوْلٌ (1)

يحنُّ الشاعر إلى الديار الحجازية الطاهرة، ويصفها بأجمل صفات الطهارة والقدسية، ثم ينتقل إلى مدح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باعتبارها أخذت قدسيتها وأهميتها من وجوده فيها . ومن حسن التخلص قصيدة يحن فيها أبو الحسين الجزار إلى صديقه ابن مطروح فيقول بعد أن يبدأها بمقدمة غزلية، يقول :

هَذَا الرَّبِيعُ وَليَ نَفْسٌ مَشْوَقَةٌ فَاحْبِسْ  
الرَّكْبَ عَسَى أَقْضِي حَقْوَقَهُ

فَقْبِيحٌ بِي فِي غَيْرِ شَرَعِ الْهُوَى  
الْبَرُّ أَنَّ أَرْضَ عَقْوَاقِهِ

(1) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 148/7

لَسْتُ أَنْسَى فِيهِ لِيَلَاتِ مَضَّتْ مَع  
مَنْ أَهْوَى وَسَاعَاتِ أَنْيَقَهُ  
وَلَيْتَ نِ أَضْحَى مَجَازاً  
بُعْدَهُمْ فَغَرَامِي فِيهِ  
مَا زَالَ حَقِيقَهُ  
قِفْ مَعِي وَاسْتَقِفْ الرِّكْبَ فَإِنْ لَمْ  
يَقِفْ فَاتْرُكْهُ يَمْضِي وَطَرِيقَهُ  
فَهِيَ أَرْضٌ قَلَمَ  
يَلْحَقُهَا أَمِ لُ ، وَالرِّكْبُ لَمْ أَعْدَمَ  
لُحُوقَهُ  
طَالَمَا اسْتَجَبْتُ لِيَتُ فِي أَرْجَائِهَا  
مَنْ يَتِيهُ الْبَدْرُ إِذْ يُدْعَى شَقِيقَهُ  
يَفْضَحُ الْوَرْدَ أَحْمَرَ رَاراً خَدَّهُ  
وَتَوَدُّ الْخَمْرُ لَمْ وَتُشْنِبُهُ  
رَبِيقَهُ  
فَبِهِ الْحُسْنُ خَائِقٌ لَمْ يَزَلْ  
وَالْمَعَالِي بَابِ مَنْ مَطَّ رُوحَ خَائِقَهُ<sup>(1)</sup>

(1) ابن تغري بردی : النجوم الزاهرة ، 253/2



بدأ الشاعر بمقدمة غزلية، أظهر من خلاله شوقه وحنينه لصديقه ابن مطروح ولربعه الذي أضحى بعيداً عنه، ثم تخلص بشكل سلس في البيت الأخير ليدخل في الموضوع الرئيس وهو مدح صديقه والاشتياق له.

### ج- الخاتمة :

لقد اهتم الشعراء بأواخر قصائدهم؛ لأنها آخر ما يبقى في الأسماع، لهذا يرى ابن رشيق القيرواني أن للقصيدة قفلاً لا يقل أهمية عن المطلع يقول عن القفل: "قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له، وجب أن يكون الآخر قفلاً" (1)

ويرى حازم القرطاجني أن خاتمة القصيدة أحسن مما جاء في حشوها، وأن يتجنب الشاعر فيها اللفظ الكريه، فيقول: "فأمّا الاختتام، فينبغي أن يكون بمعانٍ سارة فيما قصد به التهاني والمديح، وبمعانٍ مؤسّية فيما قصد به التعازي والرتاء. وكذلك يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه. وينبغي أن يكون اللفظ فيه مستعذباً والتأليف جزلاً متناسباً، فإن النفس عند منقطع الكلام تكون متفرّعة لتفقد ما وقع فيه غير مشغلة باستئناف شيء آخر." (2)

(1) ابن رشيق القيرواني : العدة ، 239/1

(2) القرطاجني : منهاج البلغاء ، 306

والأصل أن تكون الخاتمة أجود بيت في القصيدة، يقول يوسف بكار في كتابه "بناء القصيدة"

: "يجب أن تكون الخاتمة أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قصد إليه الشاعر" (1)،

لقد اهتم شعراء الحنين في هذا العصر بخواتيم قصائدهم في موضوعات الحنين، وعادة ما

يختم الشاعر قصيدته بالدعاء بالسقيا والخير لموطنه ولأحبتة، مسلماً أمره إلى الله سبحانه

وتعالى، يقول تقي الدين الحنبلي (ت718هـ) (2) وقد أجاد في خاتمته من خلال إظهار إيمانه

بالله عز وجل، ومستودعاً قلبه عنده :

### [ السريع ]

اسـتودعُ اللهَ قلباً في رحالكم عهـدته منذُ

أزمان وأعوام (3)

ومن الخواتيم المميزة الدعاء بالعودة للديار، وعدم تكرار البعاد لما يتركه في نفس الشاعر من

آلام المعاناة والفرقة، يقول شمس الدين الصائغ (ت722هـ) :

### [ الكامل ]

أدمشق لا بعـدت ديارك عن فتى أبداً إليك

بكأه يتشوق (4)

وقد يختم الشاعر أبياته بحكمة أو مثل يعبر فيها عن خلاصة مشاعره وأحاسيسه، من

هذا قول البهاء زهير حيث ختم قصيدته بحكمة اشتملت على أن الأيام لا تبقى على حالها،

(1) يوسف بكار : بناء القصيدة ، 229

(2) ابن تمام الحنبلي (635-718هـ) عبد الله بن أحمد بن تمام، الشيخ الإمام الأديب تقي الدين الصالحي الحنبلي، أخو الشيخ القدوة محمد بن تمام، كان فاضلاً زاهداً ورعاً ، وكان حسن البزة مع الزهد والقناعة له أشعار

رائقة .فوات الوفيات 161\2 ، الدرر الكامنة 346\2 ، شذرات الذهب 48\6

(3) الكتبي : فوات الوفيات ، 2 163\

(4) الكتبي : م، ن ، 3 48\

يقول :

[ البسيط ]

متى تَعودُ ليالٍ فيك لي سلفت      فهم يَقولون إنَّ

الدهر دوارٌ (1)

فهو يرى أن الأيام لا يمكن أن تستمر بحرمانه من أهله وأحبته وموطنه؛ بل سيأتي يوم ويعود لهم ويجتمع شملهم، لأن الزمن لا يبقى على حال .

ومن الخواتيم التي يدعو فيها الشاعر لموطنه بالسلام والأمن، تلك التي دعا فيها ابن الوردي

لمسقط رأسه معرفة النعمان، حيث يقول : [ الطويل ]

سلامٌ على ذاتِ القصورِ وأهلها      ومُستقبلٍ من حُسنِ حالٍ بها مَضَى (2)

يقول نجم الدين عبد الرحيم بن ابراهيم بن هبة الله، (ت683هـ) في خاتمة قصيدته التي

موضوعها الشوق والحنين لأحبته في الشام : [ الطويل ]

[

عَلَيْكُمْ سَلامُ اللهِ أَمَّا مِدادُكُمْ      فَبِإِفاقٍ وَأَمَّا البُعدُ عَنْكُمْ فَمَا أَبقى (3)

ومن ذلك أيضاً قول تقي الدين الحنبلي يختم قصيدته كي يلقي أحبته : [ الطويل ]

لحَى اللهُ دَهراً راعني بِفراقِكُمْ      وأفقرني فيمن أحبُّ وما استغنى (4)

يختتم الشاعر أبياته بالدعاء والتحسر على حاله، فقد أمرضه الدهر بفراق أحبته، وأصبح

لا حول له ولا قوة، ولم يبق له سوى الأمل باللقاء.

ويختتم شمس الدين الصائغ قصيدته في الحنين إلى الديار، فيحنُّ إليها ويصفها وصفاً دقيقاً، ثم

يمضي إلى نهاية القصيدة ليختتمها بما يتناسب مع المطلع فيقول : [ الكامل ]

(1) البهاء زهير : الديوان ، 147

(2) ابن الوردي : الديوان 405

(3) الحنبلي : شذرات الذهب ، 5 / 382

(4) الكتبي : فوات الوفيات ، 2 / 265

يَمْضِي النَّهَارُ وَقَلْبِي فِيهِ مُفَكَّرٌ وَاللَّيْلُ طَرَفِي بِالْبَعَادِ مُوَرَّقٌ  
فَعَلَيْكُمْ مِنِّي التَّحِيَّةُ مَنَّا بَدَا صُبْحٌ بِهِ وَجْهُ غَزَالَةٍ مُشْرِقِ

(1) <sup>\*</sup>

يمكن القول: إن خاتمة قصائد الحنين قد جمعت عناصر الجمال التي حددها النقاد في الخاتمة، فقد ختم كثير من الشعراء قصائده بالدعاء إلى الديار والأحبة والأمل بقرب اللقاء، كما وجدنا بعضهم يختمها بحكمة يظهر من خلالها إيمانه بالله وبقضائه وقدره، كما تميزت بسهولة ألفاظها، وسلاسة معانيها، وصدق عاطفتها.

### وحدة القصيدة :

اهتم النقاد بوحدة القصيدة، وتناولوا ما ورد من نصوص وعبارات تدور حول ذلك، وأشار ابن طباطبا إلى ما يمكن أن يدخل في إطار الوحدة، كقوله "وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها، لتتنظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها" (2).

(1) الكتبي: فوات الوفيات، 3 329

(2) ابن طباطبا: عيار الشعر، 124

ومن القدماء الذين ظهر عندهم ما يشير إلى وحدة القصيدة، الحاتمي (ت388) حيث يقول: " من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه، أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم، متصلاً به، غير منفصل منه " (1)

وخالف ابن رشيق غيره، حين رأى أن استقلالية البيت عما سواه هي الأصل، يقول: " ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا استحسن كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير إلا في مواضع معروفة " (2)

أما المحدثون فيطول حديثهم عن الوحدة في القصيدة، فيرى بعضهم: " أن ما يسميه النقد الحديث بالوحدة العضوية، ليس إلا وحدة الصورة التي هي وحدة الإحساس بالضرورة، أو هيمنة إحساس واحد على القصيدة كلها، والوحدة العاطفية هي دليل على تحقيق الوحدة العضوية، بمعنى أن الصور في العمل الفني، ليست إلا تجسيداً للتجربة أو اللحظة الشعورية التي يعانيتها الفنان، ويرى أن الوحدة العضوية والوحدة الشعورية والوحدة الفنية، ما هي إلا مسميات لشيء واحد، وهو هيمنة إحساس واحد أو رؤية نفسية، ذات لون واحد على العمل الفني كله، وان الصورة الشعرية بكل أشكالها؛ المجازية وبمعناها الجزئي والكلي وسيلة الفنان لتجسيد إحساسه " (3)

ويرى محمد غنيمي هلال، أن الوحدة في القصيدة وحدة المشاعر فيقول: " الوحدة العضوية في القصيدة هي وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب للصور

(1) الحاتمي : حلية المحاضرة ، 315/1

(2) ابن رشيق : العمدة، 261

(3) زكي العشماوي : من قضايا النقد الأدبي والبلاغة، 110

والأفكار، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر<sup>(1)</sup>

إنَّ الشعر الغنائي ينبثق من خلجات النفس، وجيشان العاطفة، وهما لا يقبلان أن يوضعا في قوالب عقلية جافة، ولكن يجب أن يكون العمل الأدبي متضمناً وحدة ما، هذه الوحدة هي الوحدة الموضوعية، ووحدة الجو النفسي، ليكون الشاعر قادراً على توصيل ما يرمي إليه من دلالات، وعلى التأثير في نفوس سامعيه.<sup>(2)</sup>

والدارس لشعر الحنين في العصر المملوكي الأول، يجده تميز بوحدة الموضوع ، كيف لا وهو يتناول مشاعر وأحاسيس الشوق والحنين إلى الديار والأحبة، كما وظف الشاعر الصور بأنواعها وألف بين أبيات القصيدة، لتظهر متماسكة متألّفة، ترتبط أبياتها بعضها ببعض كأعضاء الكائن الحي .

ومن الأمثلة على الوحدة الموضوعية قصيدة للشاعر شمس الدين الكوفي محمود بن أحمد

---

<sup>1)</sup> غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، 401

<sup>2)</sup> ابراهيم نمر : شعر الحرب في العصر الايوبي ، 102

(ت 675هـ) <sup>(1)</sup>ه يتشوق فيها إلى موطنه وأحبته، حيث يعاني الشاعر ألم الفرقة والبُعد عنهم،

فيعبر في أبيات طويلة متمسكة عن هذا الحنين والشوق . يقول:

### [ البسيط ]

مَـ لابسُ الصبـر تـبـلينا ونـبـاها  
ومـدّة الهـجر نـفـنينا وتـفـنينا  
شـوقاً إلـى أوجـه مـتـنا بـفـرقة  
حـزناً وكـمات تـحـيينا فـتـحيننا  
أحـزاننا بهـم لـا تـنـقـضي ولنـا  
شـوقاً إلـى ساكني يـبرين يـبرينا  
يا دهر قد مـسنا من بـعدهم حـرق  
التـكفين تكفيننا  
وعـدتنا بـالتـلاقي تُـمـ تخلفنا  
فـكم نـرى مـنـك تـلويـنا وتـلويـنا  
ديارهم درسٌ مـن بـعد مـا درـست  
مـن تـلاقينا تـلاقينا <sup>(2)</sup>

إن الناظر في الأبيات السابقة يجد أبياتها متمسكة مترابطة، لا تتفصل عراها، فهي تزخر بمعاني الحب والوفاء، فالشاعر يهجم على موضوعه مباشرة ، فهو يبدأ قصيدته بتصوير ما

(1) شمس الدين الكوفي (623-675هـ) محمود بن أحمد بن عبد الله بن داود بن محمد بن علي الهاشمي الحنفي، شمس الدين الكوفي؛ كان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً ظريفاً كيساً دمث الأخلاق. ولي التدريس بالمدرسة التنشيشية،

وخطب في جامع السلطان، ووعظ في باب بدر. توفي في شهر سنة خمس وسبعين وستمائة،

تاريخ الإسلام 200\50 الوافي 191\1 فوات الوفيات 4 \ 102

(2) الكتبي : فوات الوفيات، 102\4

يعانيه من الشوق والحنين، والهجران، فألفاظه تسير في نسق واحد، لتعبر عن موضوع واحد مترابط الأبيات والصور، فتبدو وحدة المشاعر والعواطف جلية في كل الأبيات.

ويستمر الشاعر في بثّ أشجانه وأحزانه، في سلسلة متصلة من المشاعر، يقول :

مُتَّعْتُ فِيهَا إِلَهِي حِينَ فَوَا أَسْفَاً      إِذْ عَشْتُ حَتَّى رَأَيْتُ الْحَيْنَ

والحينا

كُنَّا جَمِيعاً وَكَانَ الْوَدَّ يُسَعِدُنَا      وَالكائناتُ بِكَأْسِ

الأممِ نُسَقِينَا

فَالآنَ قَرَّتْ عَيُونُ الْحَاسِدِينَ بِنَا      بِمَا جَرَّتْ وَاشْتَفَتْ مِنَّا

أعاديها

فَصَارَ يَرْحَمُنَا مَنْ كَانَ يَأْمُنَا      وَعَادَ يُبْعِدُنَا مَنْ كَانَ يُدْنِينَا

وَالْيَوْمَ أَلْفُ كُلِّ الْعَالَمِينَ بِنَا      مِنْ عَنِّ أَحْبَبْنَا أَضْحَى يُعْزِينَا<sup>(1)</sup>

تجلّت الوحدة الموضوعية في القصيدة السابقة من خلال حديث الشاعر بداية عن أثر الفراق والهجران على حاله ونفسه، فقد عانى من ذلك أشد معاناة، ثم ينتقل لتوضيح فرح أعدائه وخصومه بحاله، فأصبحوا يشمتون به، واشتقى حساده بما أصابه، وينتهي بالحديث عن أفضل الأصدقاء وأطفهم لديه، وهم من يخففون عنه ويعزونه في فراق الأحبة والأوطان .

وعلى الرغم من أن بعض شعراء الحنين بدأوا قصائدهم بمقدمات غزلية ، أو بالوقوف

على الأطلال، إلا أن ذلك كان مرتبطاً بموضوع القصيدة،<sup>(2)</sup> وهو الحنين.

(1) الكتبي : فوات الوفيات، 102\4

(2) رائد عبد الرحيم : فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي، 315



## المبحث الثاني : اللغة والأسلوب

1- اللغة

2- الأسلوب

أ- الاقتباس

ب- التضمين

ج- الأساليب الإنشائية

## 1- اللغة :

قبل الحديث عن اللغة لا بد من الوقوف على أبرز الآراء القديمة والحديثة التي تناولت هذه القضية، فلم يخل النقد القديم من إشارات تتعلق بلغة الشعر وأهميتها في الحكم على الشاعر، يقول ابن رشيق: " للشعراء ألفاظ معروفة ، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتاب اصطلاحوا على ألفاظ بأعيانها، سموها الكتابية، لا يتجاوزونها إلى غيرها، إلا أن يريد الشاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي، فيستعمله في الندرة، وعلى سبيل الخطرة ... فلا بأس في ذلك" (1) .

ومن النقاد القدماء مَنْ كان يميل إلى أن تخرج القصائد خروج النثر سهولة وانتظاماً ، يقول ابن طباطبا العلوي: " فمن الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة لمعاني الحسن والرصف السلسة

---

(1) ابن رشيق : العمدة 128/1

الألفاظ، التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً، فلا استكراه في قوافيها، ولا تكلف في معانيها " (1)

ورأى بعضهم لغة الشعر، "ظاهرة لغوية في وجودها، ولا سبيل إلى التأتي إليها إلا من جهة اللغة التي تتمثل بها عبقرية الإنسان، وتقوم بها ماهية الشعر" (2) ويقول وهب رومية: "الشعر فعالية لغوية في المقام الأول، فهو فنُّ أداته الكلمة، لذا فجوهر الشعرية وسرّها في اللغة ابتداءً بالصوت ومروراً بالمفردة وانتهاءً بالتركيب، وإذا كان الشعر تجربة، فالكلام تجلُّ لتلك التجربة، ولعواطف الشاعر، وأحاسيسه في تلك التجربة، واللغة في الشعر غاية فنية بقدر ما هي وسيلة تؤدي معنى، وتخلق فناً" (3)

إن الشعراء جميعاً يتناولون اللغة كمادة واحدة، وهذا ما جعل محمد حماسة يقول: "إن الشعراء يتعاملون مع مادة واحدة، هي اللغة مفردات وتراكيب، وبعضهم أكثر فنية من بعض، لا من حيث إن ألفاظ هذا الشاعر أحسن ولا أجمل ولا أعذب ولا أرق، إلى آخر هذه الصفات، بل من حيث إن طريقة بناء هذا الشاعر للألفاظ تختلف عن طريقة بناء الآخر، واختيار هذا يختلف عن اختيار ذلك، وقدرة خيال هذا الشاعر الذي يتخذ التراكيب مادة له، تختلف عن ذلك" (4)

ويؤكد ريشاردز أن المقصود باللغة "ليس الكلمات ومدلولاتها، وإن كانت هذه جزءاً رئيساً من اللغة، إنما المقصود: اختيار الكلمات والعبارات والجمل لتكسو المعنى أو الفكرة كساء الجسد للروح، في إنتاج الجسم الحي المتحرك، إذ ليس للكلمات في ذاتها صفات أدبية خاصة ولا توجد

(1) ابن طباطبا : عيار الشعر ، 49،

(2) لطفي عبد البديع : التركيب اللغوي للأدب ، 7،

(3) وهب رومية : شعرنا القديم والنقد الجديد، 25-26،

(4) محمد حماسة ، اللغة وبناء الشعر ، 31،

كلمة قبيحة أو جميلة في ذاتها أو من طبيعتها أن تبعث على اللذة أو عدمها. ولكل كلمة جملة من التأثيرات الممكنة يختلف طبقاً للظروف التي توجد فيها"<sup>(1)</sup>.

ويمكن القول : إن خصوصية اللغة الشعرية التي تترك معالمها الواضحة على نتاج هذا الشاعر أو ذلك الجيل من الشعراء مهما تمت المبالغة في بيان معالمها وفي بيان أثرها وأهميتها، تبقى استعمالات فردية تمثل خصوصية الشاعر الفنية واللغوية، وهذا كله لا ينفي أن يترك هذا الشاعر أو ذاك بصمات لغوية خاصة في شعر شاعر، أو جيل من الشعراء مما يوجد أحياناً تقاليد أدبية لغوية تطغى في عصر دون آخر.<sup>(2)</sup>

ولكي يستطيع الشاعر توصيل تجربته الشعرية، يجب عليه أن يقترب بلغته الشعرية من الناس، ويبتعد عن التكلف العقلي، الذي يؤدي إلى ضعف التأثير، ولكن القول بالسهولة والبعد عن التكلف لا يعني أن ينزل الشاعر بلغته إلى مستوى لغة الحديث اليومي، لأن ذلك يتعارض مع التقاليد الشعرية المعروفة.<sup>(3)</sup>

وقد امتدح نقاد العصر المملوكي الأديب الذي يستعمل الألفاظ السهلة في أدبه، وعابوا عليه استعماله للغريب منها<sup>(4)</sup>، لذا تميزت نصوص شعر الحنين ببساطة اللغة وسهولتها، وهذا

(1) ريتشاردز: إ.أ، مبادئ النقد الأدبي، 90.

(2) ينظر: محمد فافل ، بنية اللغة الشعرية بين القدماء والمحدثين ، ص 1

(3) ينظر: ابراهيم نمر موسى ، شعر الحرب في العصر الأيوبي، ص 113

(4) ينظر: رائد عبد الرحيم ، فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي، ص 321

ليس مستغرباً ، فالحنين والشوق عاطفتان صادقتان، لا يمكن الادعاء فيهما، والأحاسيس والمشاعر الجياشة لا تترك لصاحبها مجالاً للتصنع والتكلف .

ومن خلال نظرة فاحصة لنصوص شعر الحنين في هذا العصر، يتضح أن الشاعر حرص على استخدام الألفاظ الواضحة السهلة، التي تبتعد عن التعقيد والغريب ، والألفاظ التي وظفها الشاعر للتعبير عن تجربة الحنين جاءت على صورتين هما:

### 1- ألفاظ الحنين والشوق المباشرة :

الألفاظ والعبارات هي أداة لنقل التجارب الشعرية، وهي أحد عناصر الأسلوب الرئيسة بعد الفكرة والخيال، فالشاعر يحرص على اختيار ألفاظه وتعابيره<sup>(1)</sup>، لذا وظّف الشاعر المملوكي كثيراً من الألفاظ التي تخدم الغرض الرئيس وهو الحنين، فجاءت مباشرة دالة، فاستخدم لفظة الحنين فيما قاله في الحنين لوطنه وأهله وأحبته وأصدقائه، من ذلك قول تقي الدين

الحنبلي : [ الطويل]

أَحْنُ إِلَيْكُمْ فِي التَّدَانِي وَفِي النَّوَى      وَلَا عَجَبَ لِلصَّبِّ إِنْ أَنْ أَوْ حَنَّا<sup>(2)</sup>

لقد ارتبطت لفظة الحنين بمعناها اللغوي والاصطلاحي، بالعطف والشوق، ولهذا كان لاستخدامها أثر واضح في كشف الأحاسيس والمشاعر التي يريد الشاعر أن يفصح عنها تجاه أحبته وموطنه، وقد أجاد في استخدامها في مكانها المناسب، فعبرت من جهة عن عاطفة الشاعر، كما اتسمت بالسهولة و السلاسة.

ووردت لفظة الحنين عند عبد الله بن عمر (ت767هـ)<sup>(1)</sup> في الشوق لمحبوبه، يقول :

(1) محمد دقالي : الحنين في الشعر الأندلسي، 435

(2) الكتبي : فوات الوفيات، 2، 163

### [الطويل]

أَحْنَنُ إِلَيْ ذَاكَ الْجَنَابُ وَمَنْ بِهِ وَيُسْكُرُنِي ذَاكَ  
الشَّـ ذَا مِنْ جَنُوبِهِ (2)

جاءت الألفاظ دالة على المعاني التي كستها، كساء الجسد للروح، فالحنين عاطفة شعورية متدفقة، لا تحتاج من الشاعر سوى اختيار كلماته العفوية ليعبر عنها ويصرح موفق الدين بن أبي العباس المعروف بابن أبي أصيبعة (668هـ) بلفظة الحنين في قصيدة يتشوق فيها لموطنه وأحبته، حيث يقول :

### [الوافر]

فُوَادِي فِي مَحَبَّتِهِمْ أَسِيرُ  
وَأَنْتَ سَارَ رَكْبُكُمْ يَسِيرُ  
يَحْنَنُ إِلَيْ الْعَذِيبِ وَسَاكِنِيهِ حَنِيناً  
قَدْ تُضْفِنُهُ سَاعِيرُ (3)

استخدم الشاعر لفظة الحنين وكررها من خلال المصدر "حنيناً" ليؤكد على عمق شوقه لأحبته وفي موضع آخر نجد شمس الدين الواعظ (744هـ) (1) يحنُّ إلى دياره ويختم قصيدته بتأكيد هذا الحنين ، يقول :

### [الطويل]

(1) الورن (0000-677هـ) عبد الله بن عمر بن نصر الله، الفاضل الحكيم موفق الدين الأنصاري المعروف بالورن، كان قادراً على النظم وله مشاركة في الطب والوعظ والفقهاء، وكان حلو النادرة لا تمل مجالسته، أقام ببيعلبك مدة، وخمس مقصورة ابن دريد ومرثية في الحسين بن علي عليه السلام.

شذرات الذهب ج5\358 الوافي بالوفيات ج5\446 فوات الوفيات ج2\211

(2) الحنبلي : شذرات الذهب ، 5/359

(3) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 2/321

أَحْسَنُ إِلَيْكُمْ كَمَا هَبَّتِ الصَّبَا

على أثمات الرقمتين وهبت (2)

وتكررت لفظة الحنين عند كثير من الشعراء، فهذا صدر الدين بن علي الأدمي (786هـ) يقول

في قصيدة له يتشوق فيها لصديقه تقي الدين الحنفي : [ الطويل ]

أَحْسَنُ إِلَيْ تِلْكَ السَّجَايَا وَإِنْ نَأَتْ حَـنِينِ

أخى نكرى حبيب ومنزل (3)

يعبر الشاعر عن حنينه بالألفاظ وعبارات دالة على ذلك، سهلة لا تعقيد ولا غموض فيها، وفي

استخدامه لكلمة "أحن" ما يشير إلى الشوق والحنين

ومن الألفاظ الدالة على الحنين دلالة مباشرة لفظة " الشوق " فقد ترددت في أغلب قصائد الحنين

وقد عبر الشاعر عن لواعج الحب والحنين والشوق لمن يحب، من أصدقاء وأهل ومواطن، من

ذلك قول سيف الدين السامري أحمد بن جعفر (696هـ) (4) : [ الكامل ]

أَتَرَى وَمِيْضَ الْبَارِقِ الْخَفِّاقِ يَهْدِي

إِلَى أَهْلِ الْحِمَى أَشْوَاقِي

وَلَعَلَّ أَنْفَاسَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى يَحْكُمِي

تَحِيَّةَ مُغْرَمٍ مُشْتَاقٍ (1)

(1) الواعظ (000-744هـ) محمد بن القاسم بن أبي البدر المحلي ؛ هو الشيخ العالم الفاضل الكامل شمس الدين ابن

الملحي الواعظ الواسطي. توفي آخر جمعة في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبعمائة، رحمه الله تعالى،

وقد ناهر السبعين، الأعلام 335\6 الدرر الكامنة 66\2 فوات الوفيات 4 102\

(2) الكتبي : فوات الوفيات ، 2 163\

(3) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 4/218

(4) السامري (000 - 696 هـ) أحمد بن محمد بن علي بن جعفر: أديب له شعر أجوده هجوه. أصله من

سامراء ونسبته إليها. كان غنيا سريا، انتقل إلى الشام بأمواله، فسكنها وحظي عند صاحبها الملك وفي فوات

الوفيات طائفة من شعره. الأعلام ج221\1 ، فوات الوفيات ج134\1، الوافي بالوفيات ج342\

تكررت كلمة الشوق في البيتين السابقين لتؤكد تلك أحاسيس الشوق التي تنتاب الشاعر .

ومن ذلك أيضاً شوق شهاب الدين محمود لصديقه تقي الدين الحنبلي، يقول : [ البسيط]

أَشْتَأْفُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَبَيْنِنَا      دِيَمٌ تَسِيرٌ تَسِيرٌ  
وَوُبٌّ لَهَا يَتَدَفَّقُ (2) -

عبر الشاعر عن لوعته لفراق صديقه، هذا الفراق الذي تركه يعيش في لوعة مستمرة.

وعبر شمس الدين الصائغ (ت725هـ) عن شوقه وحنينه لدياره باستخدام هذه اللفظة مباشرة

، فقال مرردداً تلك المعاني في شعر الحنين : [ الكامل ]

وَلَيْسَ أَصْلُ ضَنْيَ جِسْمِي النَّحِيلُ سِوَى      فُرْطٍ اشْتِيَاقِي إِلَى لُقْيَا ابْنِ تَمَّامٍ (3)

إن عاطفة الشوق والحنين تدفع الشاعر للتعبير عن أحاسيسه مباشرة ، فهو وإن باعدت بينه

وبين أحبته المسافات ، يبقى يتذكر أولئك الأحبة ويحافظ على عهودهم .

ومن الشعراء الذين كرروا لفظة الشوق لتأكيد شوقهم، ابن الخيمي ( ت 685هـ) (4) يقول :

[ الكامل ]

قسماً بكم يا جيرة الوادي      ما حال عما تعهدون وفائي

حبي لكم وشوقي نحوكم      شوق وادوائي بكم أدوائي (5)

1) الكتبي : : فوات الوفيات ، 1 / 137

2) ابن تغري بردي : م ، س 218/4

3) الكتبي : فوات الوفيات 2 / 161

4) ابن الخيمي ( 602 - 685 هـ) محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري، أبو عبد الله،

شهاب الدين ابن الخيمي: شاعر أديب يمانى الأصل. مولده ووفاته بمصر. له (ديوان شعر)

ينظر: الأعلام ج6\250 الوافي بالوفيات ج1\467 فوات الوفيات ج3\413

5) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج 1/381



## 2- الألفاظ الدالة على الحنين والشوق غير المباشرة :

هناك ألفاظ توحى بحنين الشاعر وشوقه لأهله وأحبته وأصدقائه وموطنه ، وهذه الألفاظ تتراوح ما بين الوجد ، و الصبابة ، و الفراق، والدموع ، واللهفة، وهي مستقاة من معجم مأساوي يعكس مقدار حالة الحزن التي يعيشها الشاعر ، من ذلك قول شمس الدين محمد بن عبد الوهاب الحنبلي (ت675هـ) في الفراق وأثره في نفسه :

[الرمل]

طَارَ قَلْبِي يَوْمَ سَارُوا فَرَقًا      وَسِوَاءَ فَاضٍ

دَمَعِي أَوْ رَقَا (1)

ومن ذلك أيضاً قول ناصر الدين ابن النقيب الكناني (ت687هـ) : [الكامل]

يَا نَارِحِينَ فَهَلْ لَكُمْ مِنْ عَوْدَةٍ      نَزَحَ التَّفَرُّقُ مَا بَقِيَ مِنْ مَدْمَعِي

إِنْ لَمْ تَعُودُوا لِلدِّيَارِ وَتَرْجِعُوا      لَهَلَكْتُ مِنْ شَوْقِي وَفُرْطِ تَوَجُّعِي (2)

لقد جمع ابن النقيب ما بين التفرق والدموع في لوحة فنية غاية في الجمال، فالفراق سبب هذه الدموع المنسكبة بغزارة، والناظر في اللغة المستخدمة يجدها تتلاءم مع المعاني التي تعبر عنها.

(1) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 329/2

(2) الكنتي : فوات الوفيات ، 329/1

والنوى والبعد أصل الحكاية عند معظم الشعراء فبهما تبدأ معاناة الشعراء، وهذا ما جعل كثير

منهم يعبر عن ذلك في شعرهم ، هذا تقي الدين الحنبلي يقول : [ البسيط ]

هَلْ مِنْ عِنْدَهُمْ بُرِّي وَإِسْقَامِي      عِلْمٌ بِأَنْ نَوَاهُمْ أَصْلُ آلامِي (1)

ومن الشعراء من عبّر عن شوقه وحنينه من خلال استخدام لفظة ( الصبابة والوجد ) وما توحى

به تلك اللفظة من عميق الإحساس بالغربة والوحشة نتيجة البعد والغياب، يقول ابن قزل في هذا

المعنى وهو يحنُّ إلى مصر إذ قال : [ الطويل ]

كَتَبْتُ وَلِي قَلْبٌ مِنَ الصَّبْرِ مُمْتَقٍ      ولي من دُموعِ العَيْنِ جَارٍ وَمُطْلَقٍ

وَعِنْدِي مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ لَوْعَةٌ      تَكَادُ ضُلُوعِي

نَحْوَهَا تَتَشَقَّقُ (2)

أما الدموع، فهي دائماً حليف ذلك المشتاق ، فهي كل ما تبقى له يذرفه على فراق من يحب،

يقول جمال الدين بن غانم (ت744هـ) (3) متشوقاً لصديقه خليل الصفدي : [ الكامل ]

تَذْرِي الدُمُوعَ عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُمْ      زَهْرٌ

الرُّبُوبِي وَكَأَنَّهَا أَمْطَارُهُمْ (4)

لقد ذرف الشاعر دموعه بغزارة، فهو يبكيهم بدموع كأنها المطر المنهمر، وهذه الصورة الجميلة

إنما تعكس شدة حزن الشاعر وشوقه للقاء أحبته .

(1) الكتبي : م، 161/2

(2) ابن قزل : الديوان ، 90

(3) ابن غانم ( 711 - 744 هـ ) عبد الله بن علي بن محمد بن سليمان ابن حمائل، جمال الدين الشهير بابن غانم : كاتب، له نظم حسن واشتغال بالحديث. ولد وتوفي في دمشق. وولي إنشاء الديوان بالشام. وكانت له مع

صلاح الدين الصفدي مراسلات. من كتبه " الفائق في الكلام الرائق "

ينظر: الأعلام ج4\106 الوافي بالوفيات ج5\440 فوات الوفيات ج2\206

(4) الكتبي : فوات الوفيات ، 209/2

واستخدم الشعراء لفظة التلهف في أشعارهم لتأكيد شوقهم، يقول ابن الخيمي محمد بن عبد المنعم

الانصاري ( ت 685هـ) يقول : [ البسيط]

يَا لَهْفَ نَفْسِي لَوْ يُجْدِي تَلَهُّفَهَا

غَوْنًا وَوَاحِزْنَا لَوْ يَنْفَعُ الْحَرْبَ

يَمْضِي الزَّمَانَ وَأَشْوَاقِي مُضَاعَفَةً

يَا لِلرِّجَالِ وَلَا وَصْلًا وَلَا سَبَبًا<sup>(1)</sup>

من خلال ما سبق يتضح أن ألفاظ الحنين والشوق مباشرة و غير مباشرة تعكس صدق تجربة الحنين عند الشعراء في هذا العصر، فقد يوظف الشاعر أكثر من لفظة في البيت الواحد، ففي الأبيات السابقة مثلاً وظف الشاعر أكثر من لفظة ليعبر عن حنينه المستمر إلى الوطن والأهل والأصدقاء والأحبة، فكلمات ، شوق ، وأكابد، جوى،و أتمزق، دمع، ومحرق ، كلها مأخوذة من ذلك المعجم الذي يفيض بمعاني الحزن والأسى على هذا الفراق والبعد، كما جاءت لتؤكد تجربة الحنين التي يعيشها الشاعر بعيداً عن أحبته ووطنه.

## 2- الأسلوب :

الأسلوب لغة : " الطريق والوجه والمذهب، والأسلوب بالضم الفن، والجمع أساليب "<sup>(2)</sup> وعرف القدماء الأسلوب فقالوا : " إنه الضرب من النظم ، والطريقة فيه "<sup>(3)</sup> وعرفه النقاد المحدثون ومنهم أحمد الشايب بأنه: " طريقة الكتابة " أو طريقة الإنشاء " أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح، أو التأثير أو الضرب من النظم والطريقة فيه "<sup>(4)</sup>.

(1) اليونيني : مرآة الزمان ، 2 \ 122

(2) ابن منظور : لسان العرب ، مادة سلب

(3) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، 305

(4) أحمد الشايب : الأسلوب ، 44

ويعرّف منذر عياشي الأسلوب فيقول " إن الأسلوب نظام تُوّدي فيه اللغة وظائف مخصوصة " (1).

ويفرق النقد الحديث بين نوعين من الأسلوب الأدبي " أحدهما تعبيرى، والآخر تقريرى، يقدم الشاعر في الأول تجربته، تاركاً للآخرين استشفاف ما فيها من أفكار وأهداف ، وما يختلج في نفس صاحبها من عواطف، وأحاسيس وانفعالات، أما الأسلوب التقريرى الخطابى، فيقدم الشاعر فيه تجربته تقديماً مباشراً، بحيث تفهم بسرعة ولا يجد القارئ معاناة في البحث عن أفكار الشاعر ومراميه، والأسلوب الأفضل هو التعبيرى من وجهة نظر النقد الحديث".(2)

ومن خلال تتبع السمات الأسلوبية في شعر الحنين في العصر المملوكى الأول، يلاحظ أن الشاعر المملوكى وظّف أسلوب الاقتباس والتضمين ولم ينس توظيف الأساليب الإنشائية كالأمر والاستفهام والتمني والنداء وغيرها في نصوصه الشعرية ، وقد درستها على النحو الآتي:

#### أ- الاقتباس والتضمين:

الاقتباس " أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف لا على أنه منه"(3) وكان للاقتباس نصيب وافر في شعر الحنين ، لتأثر الشعراء بالمعاني الدينية في القرآن والحديث ، وبتراث القدماء ، فكان الاقتباس والتأثر بالقرآن بيّناً في كثير من القصائد ، حيث اقتبس

(1) منذر عياشي : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، 92،

(2) يوسف بكر : بناء القصيدة ، 156،

(3) القزويني : الايضاح في علوم البلاغة 181/1

الشاعر في هذا العصر من القرآن الكريم ليؤكد صدق عاطفته ومشاعره تجاه من يحب ، من ذلك قول البهاء زهير يتشوق إلى وطنه:

### [ الطويل ]

وَكَيْفَ وَقَدْ أَضَحَّتْ مِنَ الْحُسْنِ جَنَّةٌ زَرَابِيهَا مَبْثُوثَةٌ وَالنَّمَارِقُ<sup>(1)</sup>

ظهر تأثر الشاعر في البيت بالآية القرآنية من سورة الغاشية ﴿ وَنَّمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ، وَزَرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ ﴾<sup>(2)</sup> لقد وظف الشاعر المعاني الدينية في الآية السابقة ، ليعبر عن عظيم حبه وتشوقه لموطنه ، فهو يراها جنة الخلد التي وعد الله بها المتقين .

ومن مظاهر التأثر بالقرآن الكريم والاقتناس منه قول ابن نباته المصري:

### [ الخفيف ]

ثُمَّ وَلَّى فَلَيْتَ أَنْ قَدَرْنَا فَاتَّخَذْنَا مَع

الرَّسُولِ سَبِيلًا<sup>(3)</sup>

لقد تأثر الشاعر في البيت السابق بسورة تبارك ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾<sup>(4)</sup>

ويتضح الاقتباس والتأثر بالقرآن الكريم أيضاً في قول أحمد بن يوسف الطيبي (ت717هـ) في

### [ الخفيف ]

قصيدته التي اقتبس فيها من سورة مريم :

لَسْتُ أَنْسَى الْأَحْبَابَ مَا دُمْتُ حَيًّا إِذَا نَوَّوَا

لَلنَّوَى مَكَانًا قَصِيًّا

(2) البهاء زهير : الديوان ، 230

(3) الغاشية ، 15،16،88

(3) ابن نباته: الديوان ، 551

(5) الفرقان ، 15،16/25

وَبِذِكْرِ الرَّاهِمِ تَسْرِيحُ  
 دُمُوعِي كَلَّمَا اشْتَقْتُ  
 بِكُرَّةٍ وَعَشْرِيَا  
 وَأُنْجِجِي الْإِلَهَ مِنْ فُرْطِ  
 حُزْنِي كَمُنْجِجِ عِبَادِهِ  
 زُكْرِيَا  
 وَاخْتَفَى نُورُهُمْ فَنَادَيْتُ  
 رَبِّي فِي ظَلَمِ الدُّجَى نِدَاءً خَفِيًّا  
 وَهَنْ الْعِظْمِ بِالْبِغَادِ فَهَبْ  
 لِي رَبِّي بِإِقْرَابِ مِمَّنْ لَدُنْكَ  
 وَلِيَا<sup>(1)</sup>

لقد وظف الشاعر النص القرآني من سورة مريم، عليها السلام، أجمل توظيف، بحيث عبر عن  
 حزنه على فراق أحبته، وما تركه ذلك في نفسه من الأسى والحزن كذلك الحال التي شعر فيها  
 زكريا ، عليه السلام، باليأس بعدما وهن منه العظم، وامتأ الرأس شيئا، فالبيت الأول جاء  
 مقتبساً من قوله تعالى من سورة مريم ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَتْ بِهٍ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾<sup>(2)</sup> ، والبيت الثاني  
 مقتبس من قوله تعالى من نفس السورة ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ  
 سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾<sup>(3)</sup>

وتتوالى الاقتباسات من سورة مريم ، ففي البيت الأخير يقول : [ الخفيف ]

(1) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة 406/1

(2) مريم: 22/19

(3) مريم: 11/19

لَيْتَنِي مِمَّتْ قَبْلَ هَذَا وَإِنِّي

كُنْتُ نَسِيًّا يَوْمَ النَّوَى مَنْسِيًّا<sup>(1)</sup>

وظف الشاعر الآية الكريمة ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا

وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾<sup>(5)</sup>

وهذا جمال الدين بن نباته المصري يقول وهو يحنُّ ويشتاق لصديقه شهاب الدين محمود ،

موظفاً النص القرآني : [ الكامل ]

إِنْسَانٌ عَيْنِي سَاهِرٌ بِكَ سَافِحٌ      (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ)

وفي موضع آخر يقول : [ الكامل ]

تَعْبَانُ ذَا سَهْرٍ وَسِحٌّ مَدَامِعِ      (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ)<sup>(2)</sup>

يعبّر الشاعر عن حالة من الحزن والأسى، فالأسى رمز للحزن والألم والتعب والسهر ، فجاءت

الألفاظ لتعكس الموقف الشعوري الذي أراده الشاعر لنفسه ، كما جاء الاقتباس من قوله تعالى : ﴿

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾<sup>(3)</sup> ملائماً للحالة النفسية للشاعر .

أما التضمين، فهو " أن يضمن الشاعر شيئاً من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً"

(4)

(1) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة 406/1

(5) مريم: 22/19

(2) ابن نباته: الديوان، 34

(3) الانشقاق: 6/84

(4) القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة 183/1

لم يقتصر تأثر الشاعر المملوكي على القرآن وحده بل تأثر بأشعار القدماء و أساليبهم الشعرية، من ذلك أيضاً قول برهان الدين القيراطي (726-781هـ)<sup>(1)</sup>، :

[ الطويل ]

حلا نيل مصر وهو شهيدٌ ومن يذقُ حلاوته يوماً من الناس يشهد

أيا بردي بالشؤم إن ذبت حسرةً وغيضاً فلا تهلك أسي وتجلد<sup>(2)</sup>

يظهر تأثره بنصوص القدماء ، فيضمن قول امرئ القيس في بيته الذي يقول فيه : [ الطويل]

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجلد

ضمن الشعر عبارة ( لا تهلك أسي وتجلد) في بيته ليبرز طبيعة جمال النيل وغيره بردي

منه .

ومن التضمين أيضاً قول ابن نباته :

[ البسيط ]

يَا سَاكِنِي مِصْرَ رَبَّتْ لِفِرَاقِ

يَا قَدْ صَيَّرَتْ بَعْدَكُمْ حُزْنِي أَبَا لَهَبٍ

يا مُعْشِي حَيْثُ شَخْصِي فِي دِمَشْقَ وَفِي تَفْلَيْسِ مَالِي وَدَمْعُ الْعَيْنِ فِي حَلَبِ

وَأَنْتِ بِالْفَضْلِ تُمَلِّينِي

مَعَايِنِي وَالسَيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءِ مِصْرَ

الكتب<sup>(3)</sup>

يظهر في البيت الأخير تأثر الشاعر ببيت أبي تمام الذي يقول فيه : [ البسيط ]

<sup>(1)</sup> القيراطي (726 - 781 هـ) إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر الطائي، برهان الدين القيراطي: شاعر من أعيان القاهرة. اشتغل بالفقه والأدب. له ديوان شعر سماه (مطلع النيرين) ومجموع أدب اسمه (الوشاح

المفصل) الأعلام ج491، النجوم الزاهرة ج201، شذرات الذهب ج296

<sup>(2)</sup> ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 20/1

<sup>(3)</sup> ابن نباته: الديوان ، 164



السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِمَّنْ الْكُتُبُ فِـي حَدِّهِ

الْحَدُّ بَيْنَ الْجَمْدِ وَاللَّعِبِ<sup>(1)</sup>

ومن التضمين أيضاً قول أحمد بن علي السبكي<sup>(2)</sup> (ت) يقول : [ الطويل ]

تعوّده قلبي اشتياقاً وإنما " لكل امرئٍ من دهره ما تعوّدا "

ويحفظُ للوصل القديم أيدياً " ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا<sup>(3)</sup> "

في البيتين السابقين تضمين لعجر بيت المتنبي :

للكل امرئٍ من دهره ما تعوّدا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

وقوله :

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن ذلك بالحرّ الذي يحفظ اليدا<sup>(4)</sup>

ب- الأساليب الإنشائية :

الإنشاء في اللغة : " الإيجاد والإحداث ، وكل ما قد حدث فقد نشأ "<sup>(5)</sup> .

وفي اصطلاح البلاغيين هو : " ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً ، كقولك

: اعلم هداك الله ، أعندك نبأ كذا ؟ .. إلخ ، فليس بمقدورك أن تقول لقائل هذا الكلام ، أنت

صديق أو كاذب . "<sup>(1)</sup>

(1) ابو تمام : الديوان ، 171

(2) أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام مسوار بن سوار السبكي . ينظر : أصفدي : الأحن السواجع 98/1

(3) الصفدي : الأحن السواجع ، 100/1

(4) المتنبي: الديوان ، 288

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نشأ

ويقسم الإنشاء إلى قسمين : الطلبي ، وغير الطلبي

أما الطلبي : فهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، أو هو ما يتأخر وجود معناه

عن وجود لفظه ، ومنه النداء والاستفهام والأمر والنهي والتمني " . (2)

أما غير الطلبي : فهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، ومنه صيغ العقود،

وأسلوب المدح والذم ، والقسم ، والتعجب والرجاء .

وظف الشاعر المملوكي الأساليب الإنشائية في قصائده التي نظمت في الحنين، وذلك تلبية

للتجربة الشعرية التي يرمي إليها، فقد أكثر من النداء والاستفهام والتمني والأمر، وهذه

الأساليب في معظمها، إن لم يكن كلها تتفق والحالة النفسية للشاعر، فهو حين يخاطب الوطن أو

ينادي النازحين عن الديار، إنما يعكس ما في خلجات نفسه من مشاعر وعواطف متدفقة تجاه

من يحب، وبالسؤال يحنُّ إلى ما فقده ، فيسأل لرغبته في اللقاء والاجتماع ، أما التمني، فهو

الذي يخفف عن الشاعر، فليس له في كثير من الأحيان غير الأمنيات بأن يعود لموطنه وأن

تعود له تلك الذكريات واللحظات الجميلة التي عاشها بالقرب ممن يحب .

من الأساليب التي استخدمها الشعراء الأمر وهو: طلبُ حصول الفعل من المخاطبِ على سبيلِ

الاستعلاء<sup>(3)</sup>، وقد يخرج عن معناه الحقيقي ليعبر عن معانٍ مختلفة، من هذه المعاني الالتماس،

والدعاء والإرشاد والتهديد، ومن أمثلة استخدام الأمر على سبيل الالتماس التي استخدمها

شعراء الحنين، قول ابن الوردي يحنُّ إلى موطنه ، ويصفه بأجمل الصفات :

[الطويل]

(2) العاكوب والشتيوي : الكافي في علوم البلاغة ، ص253

(3) العاكوب والشتيوي : م، ن ، ص254

(1)العاكوب: الكافي في علوم البلاغة 259-260

فَصِيفٌ لِي عُيُونًا بِالْمَنَابِعِ فَيْضًا  
أُرِيكَ عُيُونًا  
بِـالْمَدَامِعِ فَيْضًا (1)

يطلب الشاعر من رفيقه أن يصف له تلك المنابع الجميلة حيث موطنه البعيد .

كما جاء الأمر الدال على الالتماس في قول شهاب الدين التلعفري يتذكر أحبابه فيحن إليهم ،  
يقول: :

قِفْ سَائِلًا بِلُيُوفِ الْكَثِيبِ الْأَيْمَنِ دَارًا  
فَكَأَنَّهُ لَمْ تُسْكِنِ (2)

يدل الأمر من خلال الالتماس على شدة تعلق الشاعر بموطنه، وحبه لأهله وأحبابه.

وفي موضع آخر يخاطب شهاب الدين التلعفري رفيقه طالباً إليه أن يقف على تلك الأماكن  
ليحييها ويذكره بها :

أَعْرِ رُنِّي وَقِفْ يَأْسَ سَعْدُ  
فِيهَا لَتَسْعِدَنِي ، تَكُنْ لَكَ أَيُّ مَنَّةٍ (3)

ومن الأمر الدال على الالتماس أيضاً قوله :

سَلِّ الْبَرْقَ عَن لَمِيَاءِ أَيْنَ اسْتَقَلْتُ  
تُرَى أَيُّ دَارٍ بَعْدَ لَمِيَاءِ حَلَّتِ (4)

ويتكرر الأمر الدال على الالتماس عند الشاب الظريف أمراً أصحابه أن يأمرؤا الريح بأن

تقص عليه أخبارهم عندها يقول :

[ الكامل ]

(2) ابن الوردي : الديوان ، 405-406

(3) التلعفري : الديوان ، 48

(4) التلعفري : م،ن ، 54

(5) الكتبي : فوات الوفيات ، 137/1

فَمَرُّوا الرِّيحَ بِرِيحٍ بَرِّحَةٍ أَنْ تَقُصَّ

حَدِيثُكُمْ عِنْدِي فَمَا يُبْدِي الْكِتَابُ شِفَائِي (1)

أما أسلوب الاستفهام فهو لغة : "طلب الفهم" (2) ، واصطلاحاً : " طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل ، بوساطة واحدة من أدوات الاستفهام " (3).

وقد جاء الاستفهام في نصوص شعر الحنين دالاً على حال الشاعر، ومعبراً عن آماله في العودة والقرب من الأحبة والأوطان، لهذا وظفه الشاعر المملوكي للتعبير عن شدة شوقه وحنينه لمن يفتقدهم من الأحبة والديار، وللتعبير عن حاضرتهم واصطدامهم بالواقع المرير في بلاد الغربة أحياناً وفي بلادهم أحياناً أخرى ؛ من خلال بعدهم عن محبوبون ، (4)

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليفيد التمني، فهذا شهاب الدين محمود يقول: [السريع]

هَلْ زَمَانٌ وَلَيْ بِكُمْ عَائِدٌ أَمْ هَلْ تُرَى

يَرْجِعُ عَيْشٌ مَضَى (5)

لقد عبّر الشاعر عن شوقه وحنينه لوالده من خلال تساؤله عن تلك الأيام الماضية التي كان يعيش خلالها برفقته، فجاء الاستفهام معبراً عن الحالة النفسية للشاعر ، فهو يعلم أن الزمن من المستحيل أن يعود به إلى الوراء، ولكنه من خلال ذلك يريد أن يعكس ما في نفسه من الشوق والحنين.

ويدل على التمني في قول ابن كتاكوت ، (ت684هـ) (1) متشوقاً إلى دياره: [الوافر ]

(1) الشاب الظريف : الديوان، 34

(2) ينظر : ابن منظور: لسان العرب ، مادة فهم

(3) العاكوب والشتيوي: الكافي في علوم البلاغة ، 269

(4) ينظر : احمد دقالي : الحنين في الشعر الاندلسي، 456

(5) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 3/186

يَهْبُ نَسِيمُهَا فَأَمِيلُ سُكْرًا      فَهَلْ هَبَّتْ شَمُولٌ أَوْ شِمَالٌ؟<sup>(2)</sup>

يخرج الاستفهام إلى التمني، فهو يتمنى من ريح الشمال أن تهب عليه ليشم نسيمها فيتذكر تلك الديار ويروي ذلك التعطش لرؤيتها ، فهو يتمنى أن يخبره النسيم بأخبار أحبته ومنازلهم .  
ومن الاستفهام الدال على التمني أيضاً قول ابن النقيب الكناني :

[ الطويل ]

أَتْرَى يَعُودُ الدَّهْرُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا      وَيَلِدُ طَيْبٌ حَدِيثِكُمْ فِي مَسْمَعِي<sup>(3)</sup>

ومن الاستفهام الدال على التمني قول ابن الخيمي في التشوق لأحبته :

[ الكامل ]

كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى الْوِصَالِ فَإِنِّي      فِي ظُلْمَةِ التَّفْرِيقِ فِي عَمِيَاءِ<sup>(4)</sup>

ومن الأساليب الدالة المعبرة عن آمال الشاعر و حبه الشديد إلى لقاء الأهل والأحبة، التمني وهو : " طلب الشيء المحبوب ، الذي لا يرجى حصوله ؛ إما لكونه مستحيلاً ، أو لأنه ممكن ولكنه بعيد الحصول ، وغير مطموح في نيته ".<sup>(5)</sup>

إن أسلوب التمني الذي وظفه الشاعر المملوكي يدل على صدق التجربة، وخلال تتبع النصوص التي ورد فيها هذا الأسلوب، يتضح أنه يخدم تلك التجربة التي تبرز حنينه إلى وطنه وأصدقائه وأهله ، من ذلك قول التلعفري يتشوق فيه لديار المحبوبة ويظهر حزنه على فراقها المستمر :

---

(1) الزين كتاكت (605-684هـ) أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس الأندلسي الإشبيلي المعروف بزين الدين كتاكت المصري الواظع المقرئ مولده بتنيس سنة خمس وست مائة. توفي بالقاهرة سنة أربع وثمانين وست مائة، وكان له معرفة بالأدب. ينظر: النجوم الزاهرة ج2/365 الوافي بالوفيات ج493/2 فوات الوفيات ج119/1

(2) الكتبي : فوات الوفيات ، 120/1

(3) الكتبي : فوات الوفيات ، 329/1

(4) اليونيني: ذيل مرآة الزمان ، 381/1

(5) العاكوب والشتيوي: الكافي في علوم البلاغة ، 280

## [ الطويل ]

لَقَدْ أَصْبَحَتْ مِنْهَا رَبَّاهَا عَوَاطِلًا      فَيَسْتَأْذِنُ لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ حَلَّتْ  
وَحَلَّتْ (1)

لقد مزج الشاعر النداء المقترن بالتمني ، ليدل على التحسر و مدى الإحباط واليأس الذي يسيطر عليه بعيداً عن وطنه وأحبته ، فالألم يزداد والحنين يعصف به عندما لا يعلم مكان إقامة من يفقدهم .

## [ الطويل ]

وفي المعنى نفسه يكرر ذلك التمني فيقول :

فَلَيْتَ الْحِمَى لَا اخْضَرَ رَوْضُ وَرُودِهِ      فَكَيْفَ نَدَى  
رَحْمَةً لِي أَطْعَانَهُ وَاسْتَقَلَّتْ (2)

يكشف التمني في البيت السابق ، عن الحسرة والتوجع الذي يعاني منه الشاعر بسبب الغربة والبعد عن أحبته .

أما النداء، فهو : " طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه ، بحرف نائب مناب الفعل " أدعو " ، وهذا الحرف قد يكون ملفوظاً ، وقد يكون مقدرأ " (3)

وقد تكررت أساليب النداء في شعر الحنين في هذا العصر ، فقد عبر سيف الدين أحمد بن محمد ابن جعفر السامري ( ت 696هـ ) عن شوقه لأحبته، من خلال النداء بالهمزة ، فقال :

## [ الكامل ]

أَحْبَبْنَا مَا أَنْ بَعْدُ فُرُاقُكُمْ      أَنْ  
تَسْمَعُوا لِمُنْجَبٍ بِتَلَقُّ (1)

(4) التلعفري : الديوان ، 296

(5) التلعفري : الديوان ، 7

(3) العاكوب والشنيوي : الكافي في علوم البلاغة ، 253



### [ الكامل ]

يَا نَازِحِينَ فَهَلْ لَكُمْ مِنْ عَوْدَةٍ  
نَزَحَ التَّفَرُّقُ مَا بَقِيَ مِنْ مَدْمَعِي (1)

النداء في البيت السابق يحمل دلالة التوجع والتحسر على فراق الأحبة ، فالشاعر يخاطب أحبته النازحين عن الديار ، والبعيد عن مائلون أمامه ، فينزلهم بمنزلة القريب لشدة تعلقه بهم ، وتحسره على فراقهم .

ويتكرر أسلوب النداء المشحون بحرارة العاطفة وصدقها تجاه أحبته ، الدال على التحسر ، والتوجع لفراق من أحب ، مستخدماً نفس حرف النداء ، فيقول :

### [ البسيط ]

يَا سَاكِنِي مِصْرَ فَيَكُومُ سَائِلًا الشَّامِ  
يُكَابِرُ الشُّوقَ مِمَّنْ عَامٍ إِلَى عَامٍ (2)

ويكون النداء للتعبير عن الحزن والتوجع والشكوى من ألم الفراق ، فيكون ذلك مدعاة للتخفيف عن الشاعر وحزنه، يقول التلعفري :

### [ الخفيف ]

يَا جَوَارِي الدُّمُوعِ أَيُّهَا الْجَوَارِي  
وَعَذَارَى الأَطْلَالِ أَيُّهَا العَذَارَى (3)

يظهر مما سبق أن الأساليب السابقة من الأمر والاستفهام والتمني و النداء، جاءت لتعبر عن فكرة تنبثق من الغرض نفسه ، وهي إظهار الالتماس في الأمر والتمني والتعجب في الاستفهام

(3) الكتبي : فوات الوفيات ، 329/1

(1) الكتبي : فوات الوفيات ، 163/2

(2) التلعفري : الديوان ، 17



والتمني والتحسر في أسلوب التمني والتوجع والألم والتحسر في النداء، فكان لهذا الأسلوب الإنشائي أثره في الإفصاح عن المشاعر والأحاسيس التي عانى منها الشاعر المملوكي .

**المبحث الثالث : الصورة الشعرية**

### المبحث الثالث : الصورة الشعرية

الصورة هي " لبُّ العمل الشعري الذي يتميز به، وجوهره الدائم الثابت، بل إن ذات الشاعر تتحقق تحققاً موضوعياً في الصورة، أكثر مما تتحقق في أي عنصر آخر من عناصر البناء الشعري"<sup>(1)</sup>. وللصورة وظيفة تؤديها في الفن؛ كونها " أكبر معين على تقدير الوحدة الشعرية، فهي تكشف عن المعاني الحقيقية التي ترمز إليها القصيدة ، وكثيراً ما تؤدي الصورة الوظيفة المناطة بها وهي فهم الفن والاستمتاع به"<sup>(2)</sup>.

---

(1) محمد حسن : الصورة والبناء الشعري ، 88

(2) إحسان عباس : فن الشعر ، 230

والصورة الشعرية بمفهومها ليست وليدة العصر الحديث ، فقد تناولها النقاد القدامى بالتعريف ، فقالوا: " الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات" (1)

إن الدارس للصورة بمفهومها الحديث، وبالمصطلح نفسه، يجد أن التراث العربي القديم ، البلاغي والنقدي قد خلا منها، إلا أن هناك بعض القضايا والأمور المتعلقة بها في هذا التراث ، وهذا ما ذهب إليه جابر عصفور بقوله : " قد لا نجد المصطلح بهذه الصياغة الحديثة في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، ولكن المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث وي طرحها، موجودة في التراث، وإن اختلفت طريقة العرض والتناول، أو تميزت جوانب التركيز، ودرجات الاهتمام" (2).

لم يول النقاد القدامى الصورة باعتبارها مصطلحاً اهتماماً بالغاً، كما هو الحال في النقد الحديث،" فاكتفوا بالنظر إلى وسائلها كالتشبيه والاستعارة ، وهي وسائل تدخل في صميم الخيال ، على أنها وسائل تعمل على تزيين الكلام وتوضيحه، وإبعاده عن الغموض، وذلك انطلاقاً من تصورهم أن الصورة الفنية عنصر خارجي في العمل الفني". (3)

ويعرف عز الدين إسماعيل الصورة الفنية فيقول : " إن الصورة تركيبية وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان، أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع، وهي بقدر انتمائها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع، تبرز الصورة الذهنية والصورة الرمزية" (4)

أما كمال أبو ديب، فيرى أن الصورة الفنية : " بنية تتشابه فيها العلاقات وتتفاعل، لتنتج الأثر الكلي الذي يفتح على غيرها، ويضيء أبعاده، كما أنه يضاء بأبعاد هذا العمل، والنظر إلى

(1) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، 30

(2) جابر عصفور : الصورة الفنية ، 7

(3) عبد الحميد قاوي : الصورة الشعرية ، النظرية والتطبيق ، 54 (الانترنت)

(4) عز الدين إسماعيل : الشعر العربي : قضاياها وظواهره الفنية ، 25

الصورة على أنها بنية يفترض رفض حد المناهج النقدية لها، بأنها عنصر دلالي في العمل الفني، يستقي أهميته من قدرته على التصوير والتوصيل لمعنى" (1)

أما الصورة الذهنية ، " فتصنف حسب مادتها، إلى صورة بصرية وسمعية وحسية وشمية ، وهي تصنيفات مستمدة من الحواس الخمس، ويضاف إليها الصورة الحركية والعضوية".(2)

والمنتبع لشعر الحنين في العصر المملوكي الأول يجده لا يخلو من الصور بأنواعها، فقد استمدوا صورهم من الطبيعة، من ذلك التشبيه في قول جمال الدين ابن غانم (747هـ) متشوقاً لصديقه صلاح الدين الصفدي :

[الكامل]

تَذْرِي الْعِيَالُ دُمُوعَ عَلِيٍّ هُمْ وَكَأَنَّهَا أَمْطَارُهُمْ  
زَهْرُ الرُّبِيِّ وَكَأَنَّهَا أَمْطَارُهُمْ (3)

هذه الصورة التشبيهية التي استعان بها ابن غانم، وهي تشبيه مفرد، شبه من خلالها أحبته بالزهر ودموعه المنهمرة على فراقهم بالمطر، وهي لوحة فنية تزخر بماء المطر وماء العين، لأن الشاعر هدف من الاستعانة بها، إلى غاية جمالية يتطلبها العمل الفني، وتمليها الحاجة النفسية ، وهي إظهار مقدار شوقه وحنينه لأحبته ، فتجاوزت الوظيفة التقريرية إلى الوظيفة الجمالية .

ومن التشبيهات أيضاً، تشبيه الديار بالقمر المنير في ضيائه وجماله، في قول جابر بن سويد الحجازي(ت738هـ) ، يحنُّ إلى الديار الحجازية ، :

[الكامل]

(1) كمال أبو ديب : جدلية الخفاء والتجلي، 21

(2) علي البطل : الصورة في الشعر العربي ، 28

(3) الكتبي : فوات الوفيات ، 209/2

وَبِجَانِيبِ الْعَلَمِيِّينَ دَارُ مَحَاسِنٍ لَمْ يَنْجُ  
مِنْهَا سَالِمٌ بِفَوَادِهِ

وَكَأَنَّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَإِنَّمَا  
عَلَيْهَا اللَّيْلُ سَتَرَ سَوَادِهِ (1)

يشبه الشاعر الديار الحجازية وهو يحنُّ إليها بالقمر المنير، في ليلة شديدة الظلمة، وهذا تشبيه تمثيلي، وهذه الصورة لم تأت بإضافات جديدة، أو أشياء مبتكرة، بل جاءت واضحة بسيطة، لا إيغال ولا تعقيد، إلا أنها تكشف عن الحالة النفسية لصاحبها، وهو يحنُّ إلى أحبته ودياره.

ومن صور التشخيص لمظاهر الطبيعة، تصويرهم البرق يبكي والغيوم تبتسم، من ذلك قول السراج المحرار (ت710هـ) متشوقاً لأحبته :

[البسيط]

يُبْنِي دِي التَّجَارِدِ وَالْأَجْفَانِ تَفَضُّحُهُ  
كَالْبَرْقِ تَبْكِي الْغَوَادِي وَهُوَ يَبْتَسِمُ (2)

يمنح الشاعر البرق صفة من صفات الإنسان وهي البكاء، كذلك يجعل الغيوم تبتسم أيضاً وهذه من صفات البشر، لكي يظهر ما وصله إليه من الحنين والشوق لأحبته. وهذه الصورة يتعدد أثرها إلى ما هو أبعد من ذلك، فهي كما يرى جابر عصفور " ليس في تعدد الأمثال والألوان والحركات، أو دقة المطابقة، بل في الجامع النفسي الذي يربط الصورة التشبيهية، من ناحية، ومدى ما تقدمه الصورة للشاعر أثناء محاولته استكشاف تجربته وتنظيمه لها من ناحية ثانية" (3)

(1) العسقلاني : الدرر الكامنة ، 80/2

(2) الكتبي : الوافي بالوفيات ، 209/2

(3) جابر عصفور : الاستطراف والبراعة الشعرية ، 106

وكان للصور الحسية حظها في شعر الحنين، فهي التي تقوم على علاقات أوسع، وتترك في النفس أثراً أعمق إن جزأها الإنسان أساء إليها، فهي تلك الصور المرتبطة بالحواس، ومنها: الصورة البصرية، والصورة السمعية " (1).

وقد اعتمد الشعراء عليها، ربما بسبب حاجتهم إلى تصوير معاناتهم في الشوق والحنين إلى الطلل، أو الأحبة، أو الشباب، لهذا سأحدث عنكونها الرديف الحسي لتجربة الشاعر الواقعية التي يعيشها. (2)

البصر من أدق الحواس، وأكثرها تأثراً وتأثيراً بالواقع، فالصورة البصرية، هي ما يرتبط بالبصر، ومن هذه الصور، الحديث عن البدر وسائر الكواكب، فهو يشترك مع الصبح في الدلالة على الإشراق، إلا أن للبدر مكانة خاصة في نفوس الشعراء؛ إذ جمعوا بين صورته، ووجه الحبيب وطلعته (3)، يقول الشاب الظريف:

[ الكامل ]

يَا غَـائِبُونَ وَهُـمُ بَدُورٌ هَلْ لَكُمْ أَنْ  
تَسْمُحُوا لِطَوِيلِ عِـبَادَتِي بِطُلُوعِ (4)

فالشاعر يرى في البدر معبراً عن جمال طلعتهم وإشراق وجههم، فالصورة المرئية توحى بذلك الحب والحنين الذي يحمله لأحبته .

ومن الصور البصرية أيضاً قول ابن الظهير الإربلي، وهو يصف حاله وحيداً في الصحراء متشوقاً إلى أحبته وأهله:

[ الخفيف ]

(1) ينظر: وحيد كبابه، الصورة الفنية في شعر الطائيين، 31.

(2) ينظر: عبد المنعم قباجة: الغربة والحنين في شعر العصر العباسي الثاني، 211.

(3) ينظر: موسى النجادي: وصف الطبيعة في العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير، 230.

(4) الشاب الظريف: الديوان، 213.

جِبْتَهَا وَالظَّلَامُ رَاهِبٌ لَيْلٍ جَاعِلٌ كُلَّ

كَوَكَبٍ قَنْدِيلًا

أَوْ عَظِيمٍ لِلزَّنَجِ يُقَدِّمُ جَيْشًا قَدِ أَعْدَوْا أَسْنَةً وَتُصُولًا (1)

يصف الشاعر حاله في الصحراء، فالظلام بسواده المرعب في الصحراء القاحلة، كالراهب المتعبد في صومعته، لا يفارقها ليله مع نهاره ، ليس عنده سوى قنديله بضوئه الخافت الباهت، الذي يمثل الأمل لديه ، للتخلص من العتمة القاتمة، والوحدة التي يشعر بها، وهكذا يتجلى اللون الأسود في الصورة ليدل على الظلمة والوحدة التي يعيشها الشاعر(2).

ويرسم التلعفري لوحة فنية ، يمزج فيها الألوان، حين يتذكر أيامه التي سلفت، وما فيها من سرور وحبور، أما واقعه الحالي فهو واقع مؤلم، فقد أصبحت الديار أطلالاً بعد بهجتها، وموحشة بعد أنستها، يقول :

[ الكامل ]

أَنْسَيْتَ بِالْخَضْرَاءِ أَيَّامًا زَهَتْ بِكَمَالٍ بَهَجَتِهَا عَلَى أَجْناسِهَا

وَرِياضُ أَرْبَعِهَا وَحُمْرَةٌ وَرَدَمَا وَبِياضُ أَنْهَرِهَا وَخُضْرَةٌ آسِهَا (3)

ومن الصور الفنية التي تظهر في شعر الحنين في العصر المملوكي ، الصورة السمعية ، إذ إن حاستي البصر والسمع يفضلان الحواس الأخرى ، من حيث القيمة العقلية والجمالية ، فحاسة السمع من أقوى الحواس استخداماً للرموز ، وليس أدل على ذلك من الرموز اللغوية التي يصطنعها الناس في تعابيرهم . (4)

ولهذا فقد اهتم الشعراء بهذه الصورة ، يقول العفيف التلمساني متشوقاً لابنه : [ الطويل ]

(1) ابن الظهير : الديوان ، 65

(2) موسى النجادي : وصف الطبيعة في العصر المملوكي الأول ، 230

(3) التلعفري : الديوان ، 19

(4) يوسف مراد : مبادئ علم النفس العام ، 68

عَلَيْكَ حَمَامَاتِ الْأَرَاكِ تَنْفُوحُ

وَبِاسْمِكَ أَنْفَاسُ الْعَبِيرِ تَفُوحُ (1)

يجد الشاعر في هديل الحمام بكاءً ونواحاً ، يتفق ونفسيته المتألّمة لفراق ابنه ، فحال الحمامة كحاله من الحزن والأسى .

كما تظهر الصورة السمعية في وصف رحلة الرحيل ، إذ نسمع فيه صوت النوق وهي

تخب الأرض مشتاقاً لولدها ، يقول علاء الدين الإشكري علي بن محمود (ت 680هـ) (2):

[الرجز]

أَحْمَدُ شَوْقًا وَالنَّيْـَاقُ رِزْمٌ (3) لَهَا

مِنْ الْوَجْدِ لِسَانَ أَعْجَمٍ

حَنِينٌ هَا تَرْجِمُ عَنْ غَرَامِهَا وَعَبْرَتِي

عَنْ لَوْعَتِي تَرْجِمُ (4)

يبرز الشاعر ذلك الصوت الذي تصدره الناقاة، وهو الرزم، وهو نوع من أنواع حنين الناقاة لولدها ، بل قيل هو دون الحنين ، والحنين أشد منه ، ويترك هذا الصوت أثره في نفس الشاعر ، فيثير أشواقه وحنينه إلى أحبته ، ويحرك مشاعره ، بل إن حنين الشاعر لأحبته تجاوز ذلك ، فحنينه أشد من حنين الناقاة لولدها ، لذلك فإن كثيراً من الشعراء يستلهمون هذه الصورة ليعكسوا مشاعرهم

(1) التلمساني : الديوان 1/188 ،

(2) الإشكري (595 - 680 هـ) علي بن محمود بن حسن بن نبهان الإشكري الربيعي : عالم بالفلك، له شعر

رقيق.. ولد في البصرة، وتوفي بدمشق. ينظر : الأعلام ج2015 ، فوات الوفيات ج9513، النجوم الزاهرة

ج330\2

(3) نوع من أنواع حنين الناقاة لولدها ، بل قيل هو دون الحنين ، والحنين أشد منه ، ينظر: اللسان ، مادة رزم

(4) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 4/133



وفي صورة سمعية أخرى يقول البوصيري : [ الرمل ]

سَارَتُ الْعِيْسُ يُرْجِعُنَ الْحَيْنَا

وَيُجَادِبُنَ مِّنَ الشُّوقِ الْبَرِينَا (1)

فهذا الحنين الذي تصدره الناقاة ، يجد فيه الشاعر ما يعبر عن مضمون شوقه وحنينه لأحبته .

ويقول عفيف الدين التلمساني في موضع آخر : [ البسيط ]

وَالنَّسِيمُ عَلَى الْآفَاقِ زَمَزَمَةٌ

وَاللِّحْمَاءُ بِالْأَعْوَادِ أَعْوَادٌ (2)

وهكذا فقد وظف الشعراء الصورة السمعية للتعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم ، تجاه من يحبون ، فالصوت يذكرهم بتلك الديار وأولئك الأحبة .

### الصورة الانفعالية :

هناك علاقة وثيقة بين الصورة والعاطفة ، لاتنفصل عراها، فالصورة في القصيدة هي "المكان الذي تتجلى فيه عواطف الشاعر، ويفرغ من خلالها مشاعره، ولهذا فالصورة الانفعالية تصور انفعال الشاعر، والحالة الوجدانية التي تربط الشاعر بالموضوع، على أن الأصل الحسي للصورة لا يغيب عنها، وبالتالي فهو وسيلة الإنسان لإدراك العالم المحيط به ."(3)

ويلعب الخيال دوراً بارزاً في صناعة الصورة ، لأن العلاقة وثيقة بين الخيال والعاطفة ، فمن خلال هذه العلاقة يمكن الحكم على طبيعة الإبداع الشعري عند الشاعر، فالخيال ينشط تحت

(1) البوصيري : الديوان 299

(2) التلمساني : الديوان 250/1

(3) ينظر : وحيد كبابه ، الصورة الفنية ، 31

تأثير العاطفة، فتكون رؤيته للحقيقة نتيجة اتحاد بين عقله وقلبه من جهة، وبين مظاهر الحياة من جهة أخرى، وهذا لا يقع إلا بالعاطفة . (1)

ولكي تكون الصورة ذات تأثير قوي في نفس المتلقي، فلا بد أن يتوافر فيها الانفعال، وتتدفق فيها المشاعر والأحاسيس، وموضوع الحنين هو المضمون الخصب لتلك المشاعر، فجاء شعر الحنين غنياً بالعاطفة والانفعال والشعور، باعتباره شعراً حقيقياً يترك شعوراً وتأثيراً في نفس المتلقي. (2)

وعند الحديث عن العاطفة فإننا لا ننسى الخيال، إذ "هو السبيل إلى بلورة العاطفة ، وتمكينها من التأثير في نفس المتلقي والسامع، وفي هذا الجانب تبرز أهمية الإيحاء ودوره كوسيلة للتعبير عن العاطفة، فتنفوق الصورة الانفعالية على الصورة الوصفية المباشرة ". (3)

يعكس الانفعال رؤية الإنسان للأشياء ، فصورة الليل عند شعراء الحنين تختلف عن غيرهم من الشعراء، بل قد يختلف الليل نفسه عند شعراء الحنين أنفسهم تبعاً للحالة النفسية التي يعيشونها، فالليل عند التلعفري طويلٌ جداً أشبه بيوم الحشر ، كيف لا وهو يعبر عن معاناته بعد رحيل أحبته ، فيقول :

[ الكامل ]

يَا رَاحِلِينَ وَفِي أَكْلَةِ عَيْسِهِمْ      رَشَا عَلَيْهِ حَشَى

المُحِبُّ مُقْلَقُهُ

(1) ينظر :عبد الحي دياب ،عباس العقاد ناقداً ، 392

(2) ينظر : موسى النجادي ، وصف الطبيعة في العصر المملوكي الأول ، 31 ،

(3) عز الدين اسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد الأدبي ، 65

جُزْتُمْ مَدَاكُمْ فِـــــــي قَطِيْعَتِكُمْ فَآلَا عَطْفٌ

لِعَائِدِكُمْ يَرُومٌ وَلَا صِلَةٌ

قَسَمًا بِكُمْ قَدْ حَرْتُ مِمَّا أَشْتَكِي حَسْبِي الرَّجَاءُ عَدِمْتُهُ مَا أطولُه

لَيْلِي كَيَوْمِ الْحَشْرِ مَعْنَى إِنْ يَكُنْ لَا لَيْلٌ ذَاكَ لَـــــــهُ وَذَا لَا صُبْحٌ

لَهُ (1)

يرى الشاعر ليله طويلاً ، لا يستطيع تحمله من ثقل الهموم ، فهو كيوم الحشر الذي لا ليل فيه ، بينما ليله لا صبح متوقع بعده، ويبدو تأثر الشاعر واضحاً بموقف ديني وهو يوم الحشر، حيث يمرُّ الوقت بصعوبة بالغة، فالكل ينتظر متأهباً للحظة الحساب.

وكثيراً ما يشكو الشاعر طول الليل لشدة شوقه، فهو يرى النجوم واقفة لا تتحرك، ويبدو كوكب زحل كأنه يبحث عن الجوزاء كما يبحث الأعمى عن عصاه ، يقول ابن نباته:

[ الكامل ]

مَا بَالٌ لَيْلِي لَا يَسِيرُ كَأَنَّمَا وَقَفَّتْ كَـــــــ وَآكِبُهُ

مِنَ الإِعْيَاءِ

وَكَأَنَّمَا كَيَوَانُ فِـــــــي آفَاقِهِ أَعْمَى يُسَائِلُ عَن عَصَا الْجَوَازِ (2)

وعادة ما يزداد هم الشاعر نتيجة الشوق والحنين في الليل، فننقله الهموم، ويمنعه الشوق من النوم، فيعبر الشاعر عن شكواه من طول هذا الليل، بصورة جميلة تتم عن مشاعر ملتهبة من

(1) التلعفري : الديوان ، 33

(2) ابن نباته : الديوان ، 118

الشوق والحنين، يقول ابن نباته مصوراً همومه وكأنها دملٌ يشتد ألمه في الليل، فيمنعه لذة النوم والراحة :

[ الطويل ]

وَيَا رَبَّ لَيْلٍ كَانَ لِي بِكُؤُوسِهِ      وَمَبَسْمُهُ سِلْكٌ يُنْظَمُ بِالرُّدْرِ  
تَوَلَّى وَوَأْفَى بِالْهُمُومِ كَدَمَلٍ      أَكَابِدُهُ فِي الْحَالَتَيْنِ بِرُنَا  
فَجْرٍ  
كَأَنَّ النُّجُومَ الْمَائِلَاتِ بِأَفْقِهِ      مَفَارِقُ شَيْبٍ لَا تَسْرُ وَلَا تَسْرِي  
(1)

يبدو اختلاف الصورة عند شعراء الحنين حسب تدفق مشاعر الشوق والحنين عندهم، ولكنها تتفق في النهاية على إظهار مدى الحسرة التي يشعر بها هؤلاء الشعراء نتيجة غربتهم ورافقهم لأحبتهم .

(1) ابن نباته : الديوان، 118،

## المبحث الرابع : المحسنات البديعية

1- الطباق

2- الجناس

## المحسنات البديعية :

يعرف ابن منظور البديع في لسان العرب بقوله " بدع الشيء ببدهه بدعاً ، وابتدعه أنشأه وبدأه ، والبديع المحدث العجيب، وأبدعت الشيء اخترعته، والبديع من أسماء الله الحسنى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها " (1)

أما اصطلاحاً، فيعرفه الخطيب القزويني بقوله " هو علمٌ تعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة، وهذه الوجوه ضربان : ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ " (2)

لم يكن العصر المملوكي الأول مثقلاً بألوان البديع ، فقد استخدم الشعراء في هذا العصر ألواناً من البديع، جاءت منسجمة مع الغرض الشعري الذي لا يحتاج إلى تلك الصناعة التي برزت بكثرة في الفترة اللاحقة، لذلك سنقف عند عدد من تلك الفنون، وظفها الشعراء توظيفاً أدبياً ملائماً للموضوع ومعبراً عن أحاسيس الشاعر وعواطفه .

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، مادة بدع

(2) القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، 1 / 319 ، وينظر الحنبلي، القول في البديع، 52

## 1- الطباق :

هو " الجمع بين الشيء وضده " (1)،

والطباق نوعان :طباق إيجاب وهو ما كانت فيه الكلمة مضادة لكلمة أخرى من غير لفظها، وطباق سلب وهو عندما تكون الكلمة مرة مثبتة ومرة منفية .

وشعر الحنين القائم على العواطف والأحاسيس المتضادة يشكل الغرض المناسب لتوظيف الطباق، فالشاعر عادة ما يقارن بين ماضيه وحاضره، وبين اجتماع شمله وتفريقه، وبين جمال موطنه ومسقط رأسه وغيرها، " فشعر الحنين يقوم في أساسه على الجمع بين صورة الماضي وصورة الحاضر والمفارقة بينهما " (2)

ومن أمثلة هذا اللون البديعي، قول شهاب الدين التلعفري، متشوقاً لأحبته: [الوافر ]

لَيْلِيَّ التِّي كَانَتْ قِصَاراً  
بِكُمْ ، هِيَ بِي بَعْدَ بَعْدِكُمْ طَوَالاً (3)

طابق الشاعر بين ( قصار ، وطوال ) وهما ضدان ، لأنه أراد من خلالهما أن يكشف عن حالته النفسية ، فهو يتمنى لقاء الأحبة ، حتى تعود ليلاليه قصيرة من شدة فرحه وسروره بقربهم ، بعد أن أصبحت طويلة من ألمه وحزنه ووجده على فراقهم ، فأراد بيان أرقه جراء رحيلهم وبعدهم عنه.

(1) بنظر : ابن رشيق القيرواني : العمدة ، 5/2

(2) محمد احمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي ، 490

(3) التلعفري : الديوان ، 37

ويقول في موضع آخر يظهر حاله مريضاً متعباً من عدم اللقاء فأصبح عليلاً بعد أن كان

صحيحاً، يقول : [ الوافر ]

وَلَا بَـرَحَ الصَّبَّ بَايَ رَوِي صَحِيحاً  
حَا دِيثَ رِيَاضِهَا وَبِهَا اِعْتَلُّ (1)

يطابق الشاعر بين (الصحة والعلة) ليبين ما أصابه بعد الفراق، وكيف أصبح عليلاً ، فالطباق يكشف عن حالة المرض التي يعيشها نتيجة ببعد أحبته عنه .

وهذا شهاب الدين محمود يتشوق إلى صديقه تقي الدين الحنبلي ، فيرى أن في يده شفاءه

وإسقامه ، كيف لا إذا عرفنا أن سبب هذا السقم هو الفراق بينهما ، يقول : [ البسيط ]

هَلْ مَـلَّ نَـنْ عِنْدَهُمْ بُرئِي وَإِسْقَامِي  
عِـلْمٌ بِـمَـنْ أَنْ نَـنْ وَأَهُمْ أَصْلُ الْآمِي (2)

فالشاعر جمع بين ( البرء أي الصحة والسقم أي المرض )، ليظهر لصديقه أنه متشوق لدرجة المرض، فبلقائه يشفى من سقمه .

ويقول سيف الدين المشد ، يحنُّ إلى محبوبه : [ الطويل ]

وَشَأَوَقِي إِلَيْكَ مَ كُلَّ يَوْمٍ وَأَيُّ لَةٍ يَزِيدُ  
عَالِي حَالِ التَّبَاعُدِ وَالْقُرْبِ (3)

فالشاعر جمع بين ( البعاد والقرب) ليعبر عن شوقه، وأن حبه لا ينقطع سواء في القرب والبعـد.

ويلجأ مجد الدين الإربلي إلى الطباق ليصور الانفعالات المتداخلة في نفسه ، فهو يعلل نفسه باللقاء القريب إلا أنه لا يثق كثيراً بقربه ، وهذا ما دفعه للجمع بين ( الكذب والصدق ) في

تشوقه لأيام الصبا والشباب حيث القرب ممن يحب ، يقول : [ الطويل ]

(1) التلعفري : الديوان ، 37

(2) الكتبي : فوات الوفيات ، 161/1

(3) الكتبي : م،ن ، 52/3



لَعَلَّ سَنَا بَرَقُ الْحِمَامِ يَتَأَلَّقُ عَلَى النَّأْيِ أَوْ طَيْفَاً  
لَأَسْمَاءَ يَطْرُقُ

فَلَا نَنَـارُهَا تَبْدُو لِمُرْتَقِبٍ وَلَا  
وَعُودُ الْأَمَانِيِّ الْكَوَاذِبُ تَصْدُقُ (1)

ومن الطبايق أيضاً، قول ابن الوردي متشوقاً إلى المعرة مسقط رأسه، حيث يقابل بين بكاء الغمام  
وابتسام الثرى للقياه : [ الكامل ]

يَبْكِي الْعَمَامُ لَهَا وَيَبْتَسِمُ الثَّرَى ضِدِينِ  
فِعْلٌ أُخِي الصَّبَابَةُ وَالْخَلِي (2)

## 2- الجناس :

الجناس هو : "تشابه اللفظين في النطق تشابهاً تاماً ، أو جزئياً ، مع اختلافهما في المعنى" (3) .  
وبيّن النقاد أن قيمة الجناس في العمل الفني إذا جاء دون تكلف، تمّ به المعنى" (4)  
ومن هنا جاء اهتمام الشاعر المملوكي بهذا اللون البديعي لما له من أثر في تجميل النص  
الشعري ، ووظيفة بلاغية من لفت الانتباه وجذب السامع والتأثير في المتلقي، من ذلك قول  
الزاهد الحريري(711هـ) (5): [ مجزوء

## [ الكامل ]

(1) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 4 / 296

(2) ابن الوردي : الديوان ، 329

(3) اسامة بن منقذ : البديع في نقد الشعر، 12

(4) الجرجاني : أسرار البلاغة ، 8

(5) الزاهد الحريري (615-711هـ) عمر بن عبد النصير بن محمد بن هاشم بن عزّ العرب القرشي السهمي  
القوصي، الإسكندراني الأصل، يُعرف بالزاهد الحريري، ينظر: الدرر الكامنة ج1\402 ، الوافي بالوفيات  
ج1617، معجم المؤلفين ج2957

قِفْ بِالجِمْرِى وَدَع الرِّسَـئِلَ  
وَعَن الأَجْبِـةِ قِفْ وَسَائِلِ  
وَاجعُ ل خُ ضُ وِعَ ك  
والتَّذْأَلِ فِى طِ لَابِ هَم  
وَسَائِلِ  
وَالذَّمُّعُ مِ نْ فُرْطِ  
البُكْأِ عَ أَيِ هَم جَـارِ  
وَسَائِلِ  
وَأَسْأَلُ مَ رَاحِمَ هُم  
قَفْهُنَّ لُكُـلْ مَـحْ رومِ  
وَسَائِلِ (1)

لقد جانس الشاعر بين "سائل بمعنى اسأل ، ووسائل، وسائل أي ضد الجمود وسائل أي محروم" ويبدو أثر الجناس واضحاً من خلال الجرس الموسيقي، وجذب الانتباه، وبان أثر الفراق عليه.

يقول ابن كتاكوت المصري (ت684هـ) في الحنين لدياره : **[الوافر]**

جَـوَازُ الصَّبْرِ فِى أُنْزِى مَحَالِ  
وَمَا لِلصَّبْرِ فِى قَلْبِى مَجَالِ (2)

فقد جانس الشاعر بين كلمتي ( محال ومجال ) جناساً ناقصاً ، مما يترك أثراً في نفس الملتقي ، بالإضافة إلى ما تركه من جرس موسيقي جميل.

(1) ابن حجة : خزنة الأدب ، 344 - 350

(2) الكتبي : فوات الوفيات ، 120/1

ومن صور الجناس أيضاً قول بدر الدين ابن لؤلؤ الذهبي (ت680هـ) (1):

[الكامل]

هَلْ ذَاكَ بَرَقَ بِالْغُورِ أَنْ نَارًا  
أَضْرَمُوا بِلُؤَى الْمُحَصَّبِ نَارًا (2)

جانس الشاعر بين ( أنارا ونارا ) لإظهار اضطرابه وتشتت نفسيته شوقاً وحنيناً ، بل وحرقتة بدلالة استحضار كلمة ( النار) وكلمة ( أضرمها) .

وممن أكثر من الجناس في شعره شهاب الدين التلعفري ، فكان يكثر منها في القصيدة الواحدة ،

[ الكامل ]

يقول وهو يتشوق لأحبته :

لَوْلَا بُرُوقُ الْعَقِيْرِ قُتِّتْ  
تَغْدُو عَلَى عَذَابَاتِهِ  
وَتَرُوحُ

سِرْتُمْ وَأَسْرَتُكُمْ بِقَلْبِي مُهْجَةً أَوْدَى  
بِهَا التَّفْ رِيحٌ وَالتَّبَرِيحُ (3)

وظف الجناس الناقص في قوله ( تلوح و تروح ) ( تبريح ، تفريح )، لإثارة المتلقي، وبيان ما يحس به من الألم والحسرة على فراقهم .

[ الوافر ]

وله في موضع آخر ، يجانس بين الكلمات فيقول :

(1) بدر الدين الذهبي :يوسف بن لؤلؤ الذهبي الأديب، بدر الدين الدمشقي الشاعر؛ كان والده لؤلؤ عتيق الياروقي صاحب تل مباشر. له نظم يروق الأسماع، ويعقد على فضله الإجماع، مدح الناصر ابن العزيز والكبار، وكن له بيت في الصادية جوار جامع بني أمية. عاش ثلاثاً وسبعين سنة. ينظر: فوات الوفيات ج368/4

(2) الكتبي : فوات الوفيات، 370/4

(3) التلعفري : الديوان، 9،

سَقَمْتُ أَيَّامَنَا بِالْأَرَكَ حَزْوَى  
 وَهَاتِيكَ الرَّبِّي سَحَبٌ ثَقَالٌ  
 وَوَشَّتْ أَرْضَنَا أَيَّامِي سِوَارِ  
 لَهَا فِيهَا انْهَمَارٌ وَانْهَمَالٌ<sup>(3)</sup>

يجانس الشاعر بين (ثقال وانهمال)، فكان لهذه المجانسة أثرها في الموسيقى، والتأثير في السامع.

من أمثلة ذلك أيضاً قول جمال الدين بن غانم (ت744هـ) متشوقاً إلى الصفدي: [الكامل]

يُذَكِّرُنِي نَشْرُ الْحَمَى بِهُبُوبِهِ  
 زَمَانًا عَرَفْنَا كُلَّ طَيْبٍ بِطَيْبِهِ  
 لَيَالٍ سَرَفْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ خِلْسَةً وَقَدْ أَمِنْتُ  
 عَيْنَايَ عَيْنَ رَقِيبِهِ<sup>(1)</sup>

لا يخفى في الأبيات السابقة وقع رنين الجناس اللفظي في الأبيات محدثاً نوعاً من الموسيقى الإيقاعية التي تطرب الأذان وتزيد من التأثير النفسي في المتلقي، وتزيد من التعاطف مع الشاعر.

ومنه قول عبدالله بن عمر (ت667هـ) متشوقاً لمحبوبه: [الطويل]

ذَكَرْتُ قَلْبِي حِينَ شَطَّ مَزَارُهُمْ      بِهِمْ، فَنَابَ عَنِ الْهَوَى تَذَكَارُهُمْ  
 وَبَكَى فُؤَادِي وَهُوَ مَنْزِلُ حُبِّهِمْ      وَأَحَقُّ مَنْ تَبَكَى الْأَحَبَّةَ دَارُهُمْ<sup>(2)</sup>

جاء الجناس بموسيقاه منسجماً مع موسيقا الوزن والقافية، فزاد ذلك من التنوع الموسيقي وتأثيره في نفس المتلقي.

(1) الحنبلي: شذرات الذهب، 5 / 359  
 (2) الكتبي: فوات الوفيات، 12 / 165

## المبحث الخامس: الموسيقى

### 1-الموسيقا الخارجية

أ- الوزن

ب-قافية

## 2-الموسيقا الداخلية

أ- التصريح

ب- التكرار

### الموسيقا:

الموسيقا أحد العناصر الأساسية في النص الشعري، وقد أشار النقاد إلى موسيقا الشعر دون ذكر المصطلح "الموسيقا" المتعارف عليه اليوم، وحرصوا على اختيار اللفظة المناسبة، التي تحدث تأثيراً في سامعها، ونبذوا استعمال الكلمات الغريبة. (1)

وتزيد الموسيقا الخارجية العمل الأدبي جمالاً، " ويزداد هذا الجمال إذا أحسن توظيف الموسيقا الداخلية- تناسق المفردات والتراكيب- شريطة أن تؤدي الموسيقا دوراً في إنتاج

---

(1) ينظر: محمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي، 517

الدلالة، ذلك ان العمل الأدبي ليس موسيقا مجردة من المعنى، ولكنه موسيقا تحمل في ذاتها رسالة ، سواء أكانت تأثيرية أم أخلاقية أم ممتعة." (1)

ويقرر إبراهيم أنيس أن الموضوع وطبيعته يلعب دوراً في اختيار البحر والوزن ، يقول : " نستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع، يصب فيه من أشجانه ما ينفس عن حزنه وجزعه، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع، تأثر بالانفعال النفسي، وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية . " (2)

وعن علاقة الشعر بالموسيقا يرى النقاد " أن الشعر العربي لا يستمد موسيقاه من فن آخر هو الموسيقا، بل يستمد موسيقاه من مادة صياغته ذاتها، وهي اللغة العربية، حيث يكون الوزن الشعري، أو النظم وسيلة إضافية تملكها اللغة، لاستخراج ما تعجز دلالات الألفاظ عن استخراجها، بل إن الموسيقا الشعرية تعد إحدى الوسائل المرهفة التي تملكها اللغة، للتعبير عن ظلال المعاني وألوانها" (3)،

ويمكن تقسيم الموسيقا في شعر الحنين إلى قسمين اثنين هما :

## 1- الموسيقا الخارجية:

تتحصر الموسيقا الخارجية في الوزن والقافية، وما يحدثانه في النفس من إيقاعات نغمية متميزة.

أ- إيقاع الوزن:

(1) إبراهيم نمر : شعر الحرب في العصر الأيوبي ، 141

(2) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر، 177

(3) انظر: شوقي ضيف، في النقد الأدبي، 93

الوزن " من أعظم أركان حد الشعر، وأولها به خصوصية"<sup>(1)</sup> ويمثل عنصراً مهماً من عناصر الشعر، يقول النويهي " ليس مجرد شكل خارجي يكسب الشعر زينة ورونقاً، بل إنه يختص بالشعر الذي يختص بالعاطفة الإنسانية، إذا كانت في حالة زائدة الشدة، وهو يتناول أقوى العواطف وأكبرها حدة، وأكثرها اهتزازاً"<sup>(2)</sup>

تفاوت النقاد في الحديث عن علاقة الوزن بالموضوع ، فقد رأى القرطاجني ضرورة ربط الوزن بالموضوع، فقال " ولما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد الجد والرصانة، وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم، وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس"<sup>(3)</sup>

وقد ربط بعض النقاد الموضوع باختيار البحر الشعري، حيث إن البحر الطويل يتسع لكثير من المعاني وإكمالها، لذلك يكثر في الفخر والحماسة والوصف والتاريخ، والكامل يصلح لأكثر الموضوعات، وهو في الخبر أجود منه في الإنشاء، وهو أقرب إلى الرقة، فإن جاد نظمه جاء مطرباً مرقصاً، وكانت به نبرة تهيج العاطفة، أما الوافر، فهو أليّن البحور، يشتد إذا شددته، ويرق إذا رققته، وأكثر ما يوجد به النظم في الفخر، وفيه تجود المراثي كذلك، أما الخفيف فأخفها على الطبع، وأجملها على السمع، يشبه الوافر في لينه، لكنه أكثر سهولة وأقرب انسجاماً، فإن جاد نظمه رأيتُه سهلاً ممتعاً لقرب الكلام المنظوم من القول المنثور، وليس في بحور الشعر بحر نظيره يصح للتصرف في المعاني جميعها، أما الرمل فهو بحر الرقة، يوجد في الأحزان

(1) انظر: ابن رشيق، العمدة ، 991

(2) محمد النويهي، قضية الشعر الجديد ، 28

(3) القرطاجني، منهاج البلغاء ، 266



والأفراح والزهريات، والسريع بحر يتدفق سلاسة، وعضوبة، يحسن فيه الوصف، وتمثيل العواطف الفيّاضة<sup>(1)</sup>.

ومن الواضح أن عوامل عدة تتداخل في نفس الشاعر حين ينظم على البحر الشعري، أهكها : حالة الشاعر النفسية، وثقافته، ومقدرته على التصرف بالأوزان، ومنها كذلك طبيعة الموقف، ودرجة العاطفة<sup>(2)</sup>.

ومن استقراء النصوص الشعرية المستشهد بها في الدراسة الموضوعية، كان عدد النصوص المستخدمة في الدراسة من قصائد ومقطعات وبنف (124)، وقد أظهرت تركيز الشعراء على البحور وفق الجدول الآتي:

النسبة المئوية	التكرار	البحر	الرقم
37%	52	الطويل	1
18%	27	الكامل	2
13%	21	البسيط	3
10%	12	الوافر	4
8%	11	الخفيف	5
5%	8	السريع	6
4%	6	الرملي	7
2%	2	الرجز	8
2%	2	المنسرح	9
1%	1	المجتث	10

من خلال الدراسة الإحصائية البسيطة السابقة، يتضح أن البحر الطويل والكامل والبسيط والوافر قد احتلت المرتبة الأولى، وهذه البحور من أكثر البحور الشعرية استخداماً، وجاء البحر الطويل

(1) ينظر: أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، 319

(2) ينظر: عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، 59.

في المقدمة بنسبة 37%، علماً بأن ثلث الشعر العربي القديم على هذا الوزن<sup>(1)</sup>، يليه البحر الكامل بنسبة 18% ثم البسيط 13% و الوافر 10% ثم البحور الأخرى والتي تراوحت ما بين 8% و 1%

وهذه بعض الأمثلة على كل وزن من الأوزان المستخدمة في الدراسة، وفي مقدمتها البحر الطويل، وزنه (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) وهو الأكثر حضوراً في شعر الحنين في هذا العصر، قول

مجدي الدين الإربلي (ت 677هـ) يقول: [الطويل]

أحببنا والعُذْرُ مِنْ كُـ إِلَيْهِ كَم  
إِذَا مَا شَغَلْنَا بِالنَّوَى أَنْ نُودِّعَا  
أَبْثُ كَم شَوْقاً أَبْـ أَرِي بَبَعْضِهِ  
حَمَامَ الْعَشَائِرِ نَرْنَةَ وَتَوَجُّعَا<sup>(2)</sup>

لا يخفى ما لهذا البحر من رنة موسيقية مؤثرة ، لازدواج تفاعيله، فهو يتيح للشاعر التعبير عن عواطفه في لحظة اتزان عاطفي وهدوء نفسي، واختيار البحر الطويل بشكل كبير في أشعار الحنين يعكس ما في هذا البحر من النبالة والجد.

أما البحر الثاني فهو الكامل، وزنه (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) في كل شطر ، من ذلك

ما قاله التلعفري (ت 675هـ): [الكامل]

قَفْ سَائِلًا بَلْوَى الْكُثَيْبِ الْأَيْمَنِ  
دَارًا فَكَأَنَّهَا لَمَّ  
تُسَنَّ كُنْ

وَحَذَارِ أَحْدَاقِ الظَّبَّاءِ فَلَمْ تَزَلْ  
حُمُرُ الْمَنَايَا فِي سَوَادِ الْأَعْيُنِ<sup>(1)</sup>

(1) ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر، 59  
(2) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 1 \ 194



يتضح ما في موسيقى البحر الوافر من إيقاع موسيقى، مرتبط بالموضوع الذي يعبر عنه الشاعر وهو الحنين إلى الأيام الماضية والذكريات، وهي انفعالات سريعة تجد طريقها من خلال موسيقى هذا البحر إلى نفس السامع .

ومن البحر الخفيف الذي يأتي في المرتبة السادسة من حيث الاستخدام، يقول الشاعر التلعفري، يحنُّ إلى ديار الأحبة :

### [ الخفيف ]

نَزَحَتْ دَارُهُمْ وَمَ وَشَّطَتْ مَ زَارَا  
فَدَعُ وَنِي أَجْرِي الدَّمُوعَ غَزَارَا (1)  
يَا جِ وَارِي الدَّمُوعَ أَيِّنَ الْجِ وَارِي ؟  
وَعِ ذَارِي الأَطْلَالِ أَيِّنَ العِذَارِي

أما البحر السريع فقد نظم عليه عددٌ من الشعراء، فهو ينساب سريعاً، لينقل ما يشعر به الشاعر من انفعالات للسامعين، ويجذبهم إلى المضمون، منه قول الشاعر شهاب الدين محمود حيث :

### [ السريع ]

هَلْ زَمَنْ وَأَنْي بِكُمْ عَائِدٌ أَمْ  
هَلْ تَرَى يَرْجِعُ عَيْشٌ مَضَى  
فَارْقُتُكُمْ بِالرَّغْمِ عَنِّي وَأَمْ  
أَخْتَرَهُ لَكُنِّي أَطَعْتُ القَضَا (2)

ومن الرمل قول البوصيري(ت696هـ) في قصيدة يشكو فيها الوداع والفرق: [ الرمل ]

(1) التلعفري : الديوان 17

(2) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة 13 186

أزْمَعُ \_\_\_\_\_ وَابْيَضُ \_\_\_\_\_ وَشَدُّوا \_\_\_\_\_ رِكَابًا  
فَطَلَبُ الصَّبْرِ \_\_\_\_\_ وَخَلُّ العِتَابِ  
فَمَنْ الِثَّلَاثُ صَبْرًا \_\_\_\_\_ مَشَقًّا \_\_\_\_\_ وَقَا \_\_\_\_\_ إِنَّ  
بِكُلِّ \_\_\_\_\_ أَحَبُّ أَبَاهُ الشَّبَابُ \_\_\_\_\_ (1)

ويقول ناصر الدين بن النقيب (ت687هـ) متشوقاً للوراق على الرجز : [الرجز]

يَا سَاكِنَ الرَّوْضَةِ أَنْتَ الْمُشْتَهَى \_\_\_\_\_ مِّنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ

المُقْتَضَى

وعلى المنسرح يقول العفيف التلمساني : [المنسرح]

يَا سَائِقَ العَيْسِ نَحْوِ كَاطِمَةَ \_\_\_\_\_ أَبْغ

سَلَامِي \_\_\_\_\_ نَازِحِينَ قَبَا (2)

يقول العفيف التلمساني على المجتث : [المجتث]

يَا نِسْمَةَ البَنَانِ هُبِّي \_\_\_\_\_ وَجَدَّدَ

وَجَدَّدَهَا مَرَّةً النِّسِيمِ (3)

ب- القافية:

بعدها ابن رشيق القيرواني " شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً

حتى يكون له وزن وقافية " (4).

(1) البوصيري : الديوان ، 33

(2) التلمساني : الديوان ، 1 \ 105

(3) التلمساني : الديوان 1161

(4) ابن رشيق : العمدة في صناعة الشعر ، 15/1

أما حازم القرطاجني، فيقول: " شروط القافية أربعة : التمكن، وصحة الوضع، والتمام أو عدمه ، وموقعها في النفس " (1)

ويتناول إبراهيم أنيس القافية بالتعريف، فيقول : " ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر أواخر الأسطر والأبيات الشعرية في القصيدة، وتكرارها يكون جزءاً مهماً من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة " (2)

إن سليقة الشاعر العربي تنفر من إلغاء القافية، حتى في الأبيات التي تحررت منها بعض التحرر ،فانتظام القافية متعة موسيقية، تخف إليها الأذان، وانقطاع القافية بين بيت وبيت شذوذ يحيد بالسمع عن طريقه الذي اطرد عليه. (3)

وترتكز القافية بشكل أساسي على حرف الروي، الذي يعد جزءاً لا يتجزأ منها، وهذا الحرف أو الروي " صوتٌ تنسب إليه القصائد أحياناً" فيقال السينية، أو البائية تبعاً لحرف الروي . (4)

وللحديث عن هذه الحروف في الحنين في هذا العصر، وبعد استقراء النصوص المئة والتسعة والأربعين، كانت حروف الروي حسب الجدول الآتي:

الرقم	حرف الروي	التكرار	النسبة المئوية للتكرار
1	الباء	20	16 %
2	القاف	17	12.7 %

(1) القرطاجني : منهاج البلاغ ، 271 .

(2) ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، 246 .

(3) ينظر : يوسف بكار : بناء القصيدة العربية ، 184 .

(4) ينظر : ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، 247 .

3	الهاء	16	11.2%
4	النون	16	8.4%
5	اللام	11	8.4%
6	الميم	10	8.4%
7	الراء	10	5.4%
8	التاء	7	5.4%
9	الذال	7	5%
10	الضاد	6	5%
11	الياء	6	4.2%
12	العين	3	4.2%
13	الكاف	2	1.6%
14	السين	2	2.8%
15	الشين	1	1.3%
16	الطاء	1	0.8%

ومن خلال الجدول السابق ، يلاحظ ما يلي :-

أولاً : التنوع في القوافي ، من خلال استخدام ما نسبته 57% من حروف الهجاء رويًا.

ثانياً : اعتماد شعر الحنين على الحروف والقوافي التي تضيف جرساً موسيقياً مثل (

الباء ، والهاء والميم ، والنون ، والراء ) مع الابتعاد عن الحروف النافرة التي لها

وقع

سيء في الأذن مثل ( الطاء والجيم ) .

ثالثاً : كثرة عدد القصائد والمقطعات على قافية الباء، ما نسبته 16% ، ذلك لسهولة

النطق بها ولأن الآذان تستسيغها .<sup>(1)</sup>

والقافية تنقسم إلى مقيدة ومطلقة ، أما القافية المقيدة ، " فهي التي تكون ساكنة الروي ،

(1) انظر: أنيس ابراهيم ، موسيقى الشعر ، 38

والمطلقة متحركة الروي ، إما بالضمّة أو الفتحة أو الكسرة . (1)

ومن خلال تتبع شعر الحنين في هذا العصر ، نجد أن أكثر نتاج الشعراء على القافية المطلقة ، نظراً لما يبعثه من إيقاع موسيقي ، ومساعدة للشاعر للتعبير عما في نفسه من مشاعر والشوق .  
ومن قافية الباء قول البوصيري(ت696هـ) في قصيدة يشكو فيها الوداع والفرق:

[ الرمل ]

فَمَنْ الـمـلـمُ صَبَّأً مَشَوْقاً      إِنْ بَكَى أَحْبَابَهُ

الشَّابَا (2)

ومن أمثلة قافية القاف، يقول شمس الدين الصائغ :

[ الكامل ]

والوادي الشـرـقي لا بـرحـتُ به      دِيَّامٌ تَسْحُ

ووبئـها يتـدقُّ (3)

ومن أمثلة قافية الهاء، قول ابو الحسين الجزار:

[ الرمل ]

لَسْتُ أَنْسَى فِيهِ لِيَلَاتٍ مَضَتْ      مع مَنْ أَهْوَى وَسَاعَاتٍ أَنْيَقَهُ (4)

ومن أمثلة القافية على حرف الميم، قول شهاب الدين محمود ، يصف الشام ويتذكر أصحابه فيها ،

يقول : [ الكامل ]

أَعْلَى فِي حُبِّ الدِّيَارِ مَلَامٌ      أَمْ هَلْ تَذَكُرُهَا عَلَيَّ حَرَامٌ (5)؟

(1) انظر: عبد العزيز عتيق : علم العروض والقافية ، 165

(2) البوصيري : الديوان ، 33

(3) ديم : جمع ديمة وهي السحابة الممطرة ، انظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة (دوم)

(4) ابن خلكان : وفيات الأعيان، 5265/6

(5) الصفدي : فوات الوفيات ، 4 / 93



## 2- الموسيقى الداخلية :

إلى جانب الموسيقى الخارجية المؤلفة من الوزن والقافية، تأتي الموسيقى الداخلية لكي تزيد في الإيقاع الموسيقي الجذاب، وتعكس الانسجام بين الحروف والكلمات ، وهذه الموسيقى تنتج من خلال التصريع والتكرار وغيرها.

### أ- التصريع :

التصريع اصطلاحاً: استواء آخر جزء في عجزه في الوزن والروي والإعراب، وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد<sup>(1)</sup>.

ويكثر في مطلع القصيدة: وهو الأشهر الأعم، الذي درج عليه الشعراء من أقدم العصور، وحسب دراسة النصوص في شعر الحنين لهذا العصر، فإن ما يزيد على 90% منها، قد جاء مصرعاً في المطلع، والتصريع يؤلف مع الوزن والقافية موسيقاً متميزة تترك أثرها واضحاً في نفس السامع ، وهذا ما يستلزمه شعر الحنين.

ومن أمثلة التصريع قول عفيف الدين التلمساني (ت 690هـ) :

[الطويل]

وَقَفْنَا عَلَى الْمَعْنَى قَدِيمًا فَمَا أَغْنَى      وَكَلَّا دَلَّتْ الْأَفَاظُ مِنْهُ عَلَى مَعْنَى<sup>(2)</sup>

وظَّف الشاعر التصريع لإثراء الإيقاع بما ينجم عن تكرار الصوت من أثر سمعي يشد انتباه القارئ ويؤثر في نفسه.

من الشعراء الذين استخدموا التصريع ، ابن هبة الله قاضي حماة (ت 683هـ) متشوقاً لأحبته في

[الطويل]

: الشام

(1) انظر: ابن حجة، خزنة الأدب وغاية الأرب، 278/2 .

(2) الكتبي: فوات الوفيات ، 73/2



## ب- التكرار :

هو من الموسيقى الإيقاعية الداخلية ، كتكرار الحروف والكلمات والعبارات وأساليب

### الطلب

مما يعطي نوعاً من الموسيقى الداخلية، وهو من الوسائل الفنية التي تسهم في خلق علاقات متعددة داخل البيت الواحد عن طريق تميزه بالتوازن، والأخبار تبعاً للسياق ، فيتحقق الإفهام والتأثير . (1) "ويعد التكرار خاصية ظاهرة في شعر الحنين ، لأنه يدل على تأكيد تجارب الحنين ، ويعبرُ عما يعانيه الشاعر من ضيق وتمزق" . (2)

وترى نازك الملائكة في كتابها "قضايا الشعر المعاصر" أن التكرار في حقيقته إلحاحٌ على جهة مهمة في العبارة، يُعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وهذا هو القانون الأول البسيط الذي يبرز في كل تكرار يخطر على البال، فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة، تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه، والشاعر عندما يكرر عبارة أو كلمة فإنه يضع بين أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها، أو لنقل إنه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة، يحاول الشاعر فيها أن ينظم كلماته بحيث يقيم أساساً عاطفياً من نوع ما " (3).

(1) انظر: عبد المطلب ،محمد ، البلاغة الأسلوبية ، 219

(2) انظر: محمد دقالي ، ، الحنين في الشعرى الأندلسي ، 549 .

(3) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر ، 241-247 .

والتكرار وسيلة من وسائل الشاعر الكثيرة التي يحاول من خلالها أن يكشف عن مضمون نفسيته، كيف لا؟! وهو بتكراره يؤكد تلك العبارة أو الكلمة التي تشكل مفتاحاً لنفسيته، خصوصاً عند الحديث عن الحنين والشوق وما يجيش في النفس من عواطف وأحاسيس .

ومن الأمثلة على تكرار الصوت في شعر الحنين في هذا العصر، قصيدة للشاعر تقي الدين الحنبلي يتشوق فيها لصديقه شهاب الدين محمود :

### [ الطويل ]

أَمَّا وَالْهَوَىٰ إِن شَطَّ رَبْعُكُمْ عَنَّا  
فَأَنْتُمْ نَزُولُ بِالْقُلُوبِ إِذْنَ مِنَّا  
وَإِنْ حَجَبَتْ أَشْبَهَ أَخْكَمَ عَن  
عُيُونِنَا فَلَمْ يَحْجِبِ الْبَيْنُ الْمُشْتِ لَكُمْ مَعْنَى  
أَحْسَنُ إِلَيْكُمْ فِي التَّانِي وَفِي النَّوَى وَنَا  
عَجَبٌ لِلصَّبِّ إِنْ أَنْ أَوْ حَنَّا (1)

يظهر في الأبيات السابقة تكرار حرف النون ست عشرة مرة ، وهو ما أدخل نوعاً من الموسيقى والإيقاع بالإضافة إلى القافية والوزن .

ومن أمثلة ذلك أيضاً تكرار حرف العين في قول بدر الدين الذهبي<sup>(2)</sup> : [ الطويل ]

(3) الكتبي : فوات الوفيات ، 165/2

(2) ابن لؤلؤ (607 - 680 هـ) يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي، بدر الدين: من شعراء الدولة الناصرية بدمشق. ووفاته بها. كان كثير المقطعات اللطيفة، كقوله: " يا عاذلي فيه، قل لي: عن حبه كيف أسلو ؟ " يمر بي كل حين، وكلما مر يحلو ! " نشر الدكتور حسين علي محفوظ، ببغداد ديوانه باسم " شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي ". الأعلام ج246١8 فوات الوفيات ج368١4 الوافي بالوفيات ج432١4

تَذَكَّرْتُ رَبِّعًا بِالشَّامِ وَمَرْبَعًا  
 وَمَلْهُمِي لِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَمَرْتَعًا  
 فَعَاوِدُهُ دَاءٌ مِّنَ الشَّوْقِ مُؤَلِّمٌ  
 أَصَابَ حَرَارَاتِ الْقُلُوبِ فَأَوْجَعًا (1)

يدل تكرار حرف العين خمس مرات ، ما أعطى جرساً موسيقياً ، ولفت نظر السامع .  
 ومن موسيقياً التكرار في شعر الحنين تكرار الكلمة أكثر من مرة في النص الشعري ، والكلمة  
 تشكل الركن الثاني بعد الحرف في بناء النص الشعري ، من هنا يلجأ الشاعر إلى تكرارها  
 ليخدم النظام الداخلي للنص عن طريق تكثيف الدلالة الإيحائية له ، (2) كما أنها تشتمل على قيمة  
 إيقاعية ، فترداد لفظة معينة ينتج جرساً موسيقياً له أثر واضح على السامع .  
 من أمثلة ذلك قول شهاب الدين محمود يتشوق إلى صيدقه تقي الدين الحنبلي :

[ السريع ]

بَاتُوا فَبَانَ رُقَادِي يَوْمَ يَبْنِيهِمْ  
 فَاسْتُ أَظْمَعُ مِنْ طَيْفٍ بِإِمَامٍ (3)

في البيت السابق نجد الشاعر كرر كلمة (البين) بأشكالها ثلاث مرات مع تغيير الشكل في  
 (بينهم) مما يكشف عن حالة نفسية متوترة ، غارقة في الشوق والحنين للأحبة ، وهذا التكرار  
 أضفى جرساً

موسيقياً واضحاً في البيت .

ومن التكرار أيضاً تكرار الأسماء والأفعال ، من ذلك قول التلعفري :

[ الطويل ]

سَلِ الْبَرْقِ عَنِ لَمِيَاءِ أَيْنِ اسْتَقَلْتِ      تَرَى أَيَّ دَارٍ بَعْدَ لَمِيَاءِ حَلَّتْ

(1) الكتبي : م ، ن ، ، 375 / 4

(2) انظر: منذر عياش ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، 80

(3) الكتبي : فوات الوفيات ، ج 161/2

نقد أصبحت منها رباها عواظلاً      فيا ليت شعري أين حلت وحلت (1)

نلاحظ تكرار الاسم (لمياء) وكذلك تكرار الفعل (حلت) ثلاث مرات بنفس اللفظ، وهو ما ادخل نوعاً من الموسيقى والإيقاع على الأبيات، بالإضافة إلى الوزن والقافية، كما يبرز إلحاح الشاعر على تكرار كلمة (حلت) يدل على حرقه الحنين التي تعصف بنفس الشاعر.

ومن صور تكرار الكلمات قول ابن نباته المصري :

[ السريع ]

صَبُّ إِلَيَّ أَحْبَابِهِ مَا سَلَا      بِاللَّهِ فَيَا  
بُعْدٍ وَلَا قُورْبِ  
صَبُّ عَلَيْهِ الدَّمْعُ هَتَّانَهُ      فَيَا لَهُ صَبُّ  
عَلَيَّ صَبُّ (2)

كرر الشاعر لفظة الصبُّ أربع مرات، حتى يكشف عن نفسية حزينة، تميل إلى الانفجار، كما أن تكرار الباء وهي حرف انفجاري تسع مرات يؤكد ذلك أيضاً.

ومن صور التكرار الذي يخدم الموسيقى أيضاً، تكرار الأساليب الإنشائية كالاستفهام والأمر،

من ذلك تكرار أسلوب النداء في قول تقي الدين بن تمام الحنبلي (ت718هـ) متشوقاً إلى

صديقه شهاب الدين محمود :

[ البسيط ]

يَا سَاكِنِي مِصْرَ فَيَكُمُ سَاكِنَ الشَّامِ      يُكَايِدُ الشُّوقَ مِنْ عَامٍ إِلَى عَامٍ

(1) التلعفري : الديوان ، 7

(2) ابن نباته : الديوان ، 58

يَا نَازِحِينَ مَتَى تَدْنُو النَّوَى بِكُمْ حَسَّالَت  
لِبُعْدِكُمْ حَالِي وَأَيَّامِي (1)

كرر أسلوب النداء مرتين ليؤكد على حبه وشوقه لموطنه ، وهذا التكرار أدخل نوعاً من الموسيقى الإضافية على النص الشعري .

وفي موضع آخر يكرر البهاء زهير كلمة (كم) ، يقول : [ الطويل ]

إِلَى كَمِ حَيَاتِي بِالْفُرَاقِ مَمْرِيرَةٌ  
وَحَسَّامَ طَرْفِي لَيْسَ يَلْتَدُّ بِالْعَمَضِ

وَكَمِ رَأَتْ عَيْنِي بِإِلَادَا كَثِيرَةً  
فَأَمَّ أَرَفِيهَا مَسْرّاً وَمَا يُرْضِي (2)

كرر الشاعر كم الخبرية مرتين ليؤكد على المقدار الكبير من الشوق والحنين لموطنه من جهة والأسى والحسرة على فراقها من جهة أخرى ، وهذا التكرار ساهم في إضفاء موسيقى إضافية. ويكرر الشاعر شهاب الدين محمود يكرر أسلوب الاستفهام وهو يتشوق لأحبته

وأصدقائه وأهله فيقول : [ الكامل ]

أَعْلَى تِي فِي حُبِّ الدِّيَارِ مُلَامٌ أَمُّ  
هَلْ تَذَكَّرُهَا عَلِيَّ حَرَامٌ

أَمُّ هَلْ إِذَا ذَكَرْتُ مَنَازِلًا  
فَأَرَقْتُهَا وَأَعْلَى زِمَامٌ (3)

يتضح من التكرار لأسلوب الاستفهام الإيقاع الموسيقي الواضح ، والذي يترك أثراً في المتلقي .

(1) الكتبي : فوات الوفيات ، 163/2

(2) البهاء زهير : الديوان 188

(3) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 93/4

ويكرر الشاعر أسلوب النداء تأكيداً على شوقه وحنينه لأحبته وموطنه ، فيكون لهذا التكرار أثره في الموسيقى الشعرية للقصيدة ، من ذلك قول البهاء زهير متشوقاً لأهله وأحبته ودياره يقول :

[ الكامل ]

سَقَاكَ صَوْبُ الْحَيَا يَا دَارُ يَا دَارُ فَكَم تَقَضَّتْ

لِقَابِي فِيكَ أُوطَارُ<sup>(1)</sup>

إن تكرار عبارة ( يا دار يا دار ) يكشف عن نفسية الشاعر الذي منحنا مفتاحاً للتعرف على نفسيته الحزينة، والتي تشتاق وتحنُّ إلى ديارها، علَّها تجد الراحة والطمأنينة، كما أثار التكرار في الموسيقى الشعرية، التي أدت وظيفتها في شعر الحنين واستطاعت أن تبرز جمال النص الشعري ، مما ترك أثراً واضحاً في نفس المتلقي وجذبت انتباهه .

---

(1) البهاء زهير : الديوان ، 147



## الخاتمة

الحنين ظاهرة إنسانية مرتبطة بالحياة، وشعر الحنين يعبر عن هذه الظاهرة، لأنه يعكس ما في نفس الشاعر من العواطف والأحاسيس، ويشكل الصدق أهم عوامل بقاء هذا الشعر؛ لأن الشاعر قد يقول الشعر رياءً وتقرباً وطمعاً كما في المدح وغيره من الأغراض، أما شعر الحنين فهو إلهام وإيحاء من نفس صاحبه، كيف لا وهو يمثل الشوق والحنين بكل صدق. وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- الحنين مرتبط بالعواطف والمشاعر الإنسانية، فهو قديم قدم وجود الإنسان على الأرض، وهو حاضرٌ وموجود في شعر القدماء، ومن أبرز صورته الوقوف على الأطلال.
- يرتبط الحنين بأسباب تدفع إليه، أهمها الرحيل عن الأوطان، وهجر الأحبة والأهل والأصدقاء وهو أنواع هي: الحنين إلى الأوطان، والحنين إلى الأهل والأصدقاء، والحنين إلى المحبوبة، والحنين إلى الماضي متمثلاً بالذكريات الماضية والشباب وأيام الصبا.
- تلعب المثيرات دوراً بارزاً في إذكاء شعر الحنين، فعندما يبرق البرق ويهب النسيم ويهدل الحمام وتذرف الدموع، تتدفق مشاعر الشوق والحنين مندفقة سخية، فيبدأ الشاعر بنظم الشعر المعبر عن تلك العواطف.
- كان للحظات الوداع أثرها في إلهاب مشاعر الشعراء، فيزدهر شعر الحنين في هذه المواقف، من خلال تصوير هذه اللحظات بكلمات وصور تفيض شوقاً وحنيناً.
- يتسم شعر الحنين في غالبية بسهولة الألفاظ والمعاني، ووضوح الأساليب وذلك لأنه يصدر عن عواطف صادقة، وإحساس مرهف.
- جاء أكثر شعر الحنين على شكل مقطعات، فأجاد الشعراء فيها، تميزت بوحدة الموضوع.

- ابتعد الشعراء عن الإسراف في المحسنات البديعية، فجاءت بعيدة عن التكلف والتعقيد، وجاء البديع متناسقاً مع المضمون، فقد أكثر الشعراء من الطباق مثلاً ليظهروا إلمامهم وإحاطتهم بالعرض، وليقارنوا بين ماضيهم وحاضرهم ، وكذلك استخدموا الجنس بأنواعه.
  - وظّف الشعراء أسلوباً الإنشاء خراجاً عن معانيه الأساسية، والاقْتباس والتضمين، للتعبير عن المعاني التي يسعون لإظهارها .
  - نوع الشعراء في صورهم الفنية ، فاستخدموا الصورة البصرية والسمعية، وكان للتشبيه والتشخيص حضوره البارز في صورهم .
  - كان للموسيقا بنوعها الخارجية المتمثلة في الوزن والقافية ، والداخلية من خلال التصريح والتكرار، دوراً في إضفاء جرس موسيقي وإيقاع متميز، يؤدي وظيفته في التعبير عن الموضوع، وجذب الانتباه.
- التوصيات:

أوصي بدراسة شعر الحنين في العصر المملوكي الثاني لتكتمل حلقة البحث .

## قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

القرآن الكريم

- 1- الأبيشي، شهاب الدين محمد (ت850هـ)، **المستظرف في كل فن مستظرف**، ط2، بيروت : دار الكتب العلمية 1986.
- 2- ابن الأثير، نصر الله بن عبد الكريم (ت 637هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. تحقيق، محمد عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1995.
- 3- الأذفودي ، جعفر بن ثعلب (748هـ)، **الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء**

## والرواة

- من **أهل الصعيد** ، تحقيق سعد محمد حسن ، ط1 ، مصر : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966.
- 4- الإربلي ، محمد بن أحمد بن عمر ابن الظهير (ت677هـ) : **الديوان** ، جمع وتحقيق وشرح ودراسة عبد الرازق حويزي ، القاهرة : مكتبة الآداب ، 2006 .
- 5- الأصفهاني، علي بن الحسين (ت 356هـ)، **أدب الغرباء**. تحقيق صلاح الدين المنجد، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1972.
- 6- الأعشى، ميمون بن قيس (ت 7هـ): **الديوان**، محمد محمد حسين، بيروت: المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، د. ط، 1968.
- 7- امرؤ القيس، ابن حجر الكندي (ت 80 ق. هـ)، **الديوان**، تحقيق، محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط2، مصر: دار المعارف، 1964.

8- الأنصاري ، عبد العزيز (ت662هـ-)، الديوان ، تحقيق عمر موسى باشا ، دمشق

:

المطبعة الهاشمية ، 1967 .

9- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ-)، خزنة الأدب ولبّ لباب لسان

العرب،

تحقيق، عبد السلام هارون، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي 1989م (ج3).

10- البوصيري ، محمد بن سعيد (696هـ-)، الديوان ، شرح وتقديم احمد حسن بسج

ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية، 1416-1995.

11- ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي(ت 874هـ-)، أ- النجوم الزاهرة في ملوك

مصر

والقاهرة، تحقيق، جمال محرز وزميله. القاهرة: الهيئة المصرية العامة

للتأليف والنشر، د.ط ، 1971م. (1-16).

ب- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق، محمد أمين، القاهرة:

الهيئة المصرية العامة، (د،ط) 1984، (1-7)

12- التلعفري ، محمد بن يوسف بن مسعود (ت675هـ-)، الديوان ، ط2 ، مصر :مطبعة

دار المعارف د،ت.

13- التلمساني ، عفيف الدين (ت690هـ-) ،الديوان ، تحقيق ،يوسف زيدان ،إدارة

الكتب والمكتبات ،د،م.

14- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي(231هـ-) ،الديوان ،شرح شاهين

عطية، ط1، بيروت:

- مكتبة الطلاب، شركة الكتاب اللبناني، 1968.
- 15- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ): **المحاسن والأضداد**. تحقيق، صلاح الدين الهواري. ط1، بيروت المكتبة العصرية، 2003.
- 16- الجرجاني ، عبد القاهر أبوبكر (ت 471هـ)، أ- **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ، شرح ياسين الأيوبي ، د،ط ، بيروت: المكتبة العصرية ، 2002.
- ب- **أسرار البلاغة في علم البيان** ، د،ط بيروت: دار المعرفة، 1978.
- 17- ابن جعفر ، قدامة (ت 337هـ)، **نقد الشعر** ، تحقيق ،كمال مصطفى ، ط 3 ، القاهرة: مكتبة الخانجي ، 1978.
- 18- الجوهرى ، اسماعيل ، **الصحاح** ، تحقيق، احمد عبد الغفور ، ط3، بيروت : دار العلم للملايين ، 1984.
- 19- الحاتمي ،محمد بن الحسن بن مظفر (388هـ)، **حلية المحاضرة في صناعة الشعر**، تحقيق ، جعفر الكناني ، ط 1 ، بغداد : دار الرشيد للنشر 1979.
- 20- الحلبي ، صفي الدين ، **الديوان** ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر د،ط،د،ت.
- 21- الحموي، ابن حجة أبو بكر علي (ت 837هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**. تحقيق، عصام شعيتو، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، 2004 (1).
- 22- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 622هـ)، **معجم البلدان**، بيروت : دار صادر، د.ط، 1975. (1-5).
- 23- الحنبلي ، مرعي بن يوسف (ت 1033هـ) ، **القول البديع في علم البديع** ، تحقيق ودراسة، محمد بن علي الصامل ، ط1 ، الرياض : دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع ، 1425هـ-2004م

- 24 ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء**  
أبناء الزمان. تحقيق، إحسان عباس. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ط،  
1950م. (1-8)
- 25 ابن رشيقي القيرواني، أبو علي الحسن بن الأزدي القيرواني (ت 456هـ):  
**العمدة في محاسن الشعر ونقده**، تحقيق، محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت:  
دار الجيل، 1972.
- 26 الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (1205هـ)، **تاج العروس في شرح**  
**القاموس**، ط1، القاهرة: المطبعة الخيرية، 1986.
- 27 زهير، بهاء الدين زهير، **الديوان**، ط1 بيروت: دار صادر 1383-1964م.
- 28 ابن سعيد، علي بن موسى، **المغرب في حلى المغرب**، ط1، تحقيق كونت  
تلكوست، لندن، مطبعة لندن.
- 29 الشاب الظريف، عفيف الدين التلمساني (688هـ)، **الديوان** شرح وتقديم صلاح  
الدين الهواري، دار الكتاب العربي. د.ط.
- 30 الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت 764هـ)، **أ- الوافي بالوفيات**، تحقيق،  
س. ديدرینگ. فرانز شتاينر، ط2، فيسبادن، 1974. (1-4)
- ب- **أعيان العصر وأعيان النصر**، تحقيق فالح أحمد، ط1، بيروت: دار  
الفكر، 1998، (1-4)
- ج- **ألحان السواجع بين البادئ والمراجع**، تحقيق ابراهيم صالح، ط1  
دمشق، مطبعة البشائر، 2004.
- د- **الغيث المسجم في شرح لامية العجم**، ط1، (د،ت) القاهرة، المطبعة

الأزهرية.

ه- المختار من شعر ابن دانيال الحكيم شمس الدين الموصلني الكحال،

حققه محمد نايف الدليمي، العراق، مكتبة بسام بالموصل 1979.

و- الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه، حققه ، هلال ناجي وزميله،

ط1، ليدز، بريطانيا ، تصدر هذه السلسلة عن مجلة الحكمة

الصادرة في بريطانيا، 1999م.

31- ابن طباطبا، محمد بن أحمد (ت 322هـ)، عيار الشعر. تحقيق: طه الحاجري

ومحمد زغول سلام. القاهرة: مطبعة المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، 1956.

32- العجاج، عبد الله بن رؤبة (90هـ)، الديوان، تحقيق عزة حسن، (د،ط) بيروت:

دار

الشرق، 1971.

33- العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر (ت 852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المئة

الثامنة ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1997 ، ج1.

34- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 395هـ)، كتاب الصناعتين: الكتابة

والشعر. تحقيق، مفيد قميحة، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية ، 1989.

35- ابن العماد، عبد الحي الحنبلي (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في

أخبار من ذهب. بيروت : دار الآفاق الجديدة، د.ط، د.ت. (ج5).

36- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ) ، القاموس المحيط

، بيروت : دار الفكر (د،ط) 1999.

- 37- القرطاجني، حازم (ت 684هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**. تحقيق، محمد الحبيب بن الخوجة. دار الكتب الشرقية، د.ط، 1964.
- 38- ابن قزل ، علي بن عمر (656هـ) **الديوان** ، تحقيق مشهور الحبازي ، ط1 القدس : مركز التعاون والسلام الدولي ، 2003.
- 39- القزويني ، جلال الدين أبو عبد الله، **الإيضاح في علوم البلاغة** ، ط4 ، بيروت : دار إحياء التراث . 1998.
- 40- الكتبي ، محمد بن شاكر (764هـ): **فوات الوفيات** ، تحقيق إحسان عباس ، ط1 بيروت : دار صادر، د،ت
- 41- المرزوقي، أحمد بن محمد (ت 421 هـ)، **شرح ديوان الحماسة**. نشره ، أحمد أمين و عبد السلام هارون . ط 2 ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1967 . (1-4)
- 42- المقري ،أحمد بن المقري التلمساني (1041هـ) ،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، ط1 ،بيروت : دار صادر 1997 . (ج1)
- 43- المقرئزي ، احمد بن علي (845هـ) - **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية 1418.
- ب- **المواعظ والاعتبار** ،بيروت :، دار الكتاب اللبناني ، 1968.
- ج- **إغاثة الأمة بكشف الغمة** ، تحقيق كرم فرحات، ط1 القاهرة: عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، 2007.
- 44- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، **لسان العرب**. ط6 ،بيروت :دار صادر، 1997. (1-15).



- 45- ابن نباته ، جمال الدين بن نباته الفارقي (768هـ-)، الديوان ، ط1 بيروت :  
دار إحياء التراث العربي، دةت.
- 46- ابن الوردي ، عمر بن المظفر (749هـ-)، الديوان ، تحقيق أحمد فوزي الهيب  
ط1 الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع ،1407هـ-1986م .
- 47- اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد ، ذيل مرآة الزمان ، ط1 ، حيدر آباد  
الهند : دار المعارف العثمانية ، دةت (ج1).

### المراجع :

- 1- اسماعيل ، عز الدين ، أ- التفسير النفسي للأدب ، بيروت : دار  
العودة د، ط1962.
- ب- الأسس الجمالية في النقد الأدبي ، ط1، بيروت : دار الفكر  
العربي 1955 .
- ج- الشعر العربي: فضايه وظواهره الفنية ، ط3 م، بيروت : دار  
العلم للملايين 1981.
- 2- أمين ، بكري شخ ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ط1، بيروت:  
منشورات دار الآفاق الجديدة ، 1980.
- 3- أمين ، فوزي ، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي ، ط1 ، مصر: دار  
المعارف . (د،ت)
- 4- أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر. ط2، ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ،  
القاهرة ، 1952.

- 5- الأيوبي، ياسين ، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، ط1، طرابلس  
لبنان : جروس برس 1995.
- 6- باشلر، غاستون ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، ط1 ، بغداد: دار  
الحرية ، د، ت.
- 7- بدوي، أحمد، أ- أسس النقد الأدبي عند العرب. القاهرة : دار النهضة  
المصرية، د. ط، 1960.
- ب- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، ط8 ، مصر: دار النهضة .
- 8- البطل، علي ، الصورة في الشعر العربي، ط2 ، بيروت: دار الأندلس  
19981
- 9- بكار، يوسف، بناء القصيدة في النقد العربي القديم. ، د، ط، مصر: دار  
الثقافة 1979.
- 10- الأبياري، إبراهيم، الوطن في الأدب العربي، د، ط القاهرة : دار القلم، 1962.
- 11- جبري، شفيق ، أنا والشعر ، القاهرة : منشورات معهد الدراسات العربية  
العالمية ، 1959.
- 12- الجبوري، يحيى ، الحنين والغربة في الشعر العربي، ط1، عمان: دار مجلاوي  
للنشر والتوزيع ، 2008.
- 13- جحا، فريد، الحنين واللقاء في شعر المهجر، سوريا : مطبعة الضاد، د، ط،  
1961م.
- 14- حسين ، علي صافي ، ابن دقيق العيد حياته وديوانه ، مصر : دار المعارف  
، د، ت.

- 15- حفني ، عبد اللطيف ، مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية ، ط1 ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987.
- 16- حماسة، محمد عبد اللطيف ، اللغة وبناء الشعر ، ط1 ، القاهرة : مكتبة الزهراء 1992.
- 17- خالد، نبيل، الأدب العربي بين عصرين (المملوكي والعثماني) ط1، فلسطين: مكتبة الجامعة الاسلامية 2008 ، ط1، القاهرة ، دار النهضة العربية .
- 18- خفاجي، محمد عبد المنعم، النقد العربي الحديث ومذاهبه، د، ط مصر، مكتبة الكليات الأزهرية .
- 19- دقالي ، محمد أحمد ، الحنين في الشعر الأندلسي في القرن السابع ، ط1 ، مصر : دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر ، 2008.
- 20- دياب ، عبد الحي ، عباس العقاد ناقدًا ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، 1966.
- 21- ديب ، كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي ، ط2 ، بيروت: دار العلم للملايين 1982.
- 22- رتشاردز، إ.ا ، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة مصطفى بدوي ، مصر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، (د، ط) 1963م.
- 23- رومية ، وهب ، شعرنا القديم والنقد الجديد ، ط1، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1996.
- 24- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من

العرب والمستعربين والمستشرقين، ط14، بيروت: دار العلم للملايين، 1999م

(ج2)

26- سلام ، محمد زغلول ، أ- الأدب في العصر المملوكي ، الجزء الأول ، مصر ،

دار

المعارف د،ت.

ب- تاريخ النقد الأدبي ( من القرن الخامس حتى القرن العاشر) ط1

، مصر : دار المعارف ، 1964.

27- سليم ، محمود رزق ، الأدب العربي في عصور المماليك والعثمانيين والعصر

الحديث ، ط1 ، مصر : دار الكتاب العربي 1957 .

28- الشايب ، أحمد ، أ- الأسلوب ، ط12، القاهرة : مكتبة النهضة العربية

، 2003.

ب- أصول النقد الأدبي، ط10، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية 1994.

29- شوقي، أحمد، الشوقيات. بيروت : دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت، (1-4).

30- ضيف، شوقي، في النقد الأدبي. ط3، القاهرة : دار المعارف ، 1962.

31- عاشور ، سعيد ، أ- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، ط1 ، القاهرة :

دار

النهضة العربية ، د،ت.

ب- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط1 القاهرة، دار

النهضة العربية .

32- العاكوب ، عيسى علي وزميله، الكافي في علوم البلاغة العربية ، القاهرة ،

- منشورات الجامعة المفتوحة ، 1993 .
- 33- العبادي، أحمد مختار، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ط1 بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر 1986 .
- 34- عباس، إحسان، فن الشعر، بيروت: دار صادر، د.ط، 1996 .
- 35- عبد البديع، لطفي ، التركيب اللغوي في الأدب ، ط1، 197 ، القاهرة : دار المريخ للنشر والتوزيع .
- 36- عبد الله، محمد حسن، الصورة والبناء الشعري ، د.ط، القاهرة : دار المعارف. د.ت.
- 37- عبد الرحيم، رائد مصطفى ، فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي، ط1، عمان: دار الرازي للطباعة والنشر 2003 .
- 38- عبد المطلب، محمد ، البلاغة الأسلوبية، ط1 بيروت: مكتبة لبنان للنشر 1996
- 39- عتيق، عبد العزيز ، علم العروض والقافية ،بيروت : دار النهضة العربية د،ط 1987 .
- 40- العشماوي، زكي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، د.ت، ط، مصر : دار المعرفة الجامعية .
- 41- عصفور، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ط3 ، بيروت : المركز الثقافي العربي 1992 .
- 42- عياش، منذر ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ط1، القاهرة : مركز الإنماء الحضاري ، 2002 .
- 43- فهمي، ماهر حسن ، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، د.ط مصر:

مطبعة الجبلاوي، 1970.

44- كباية، وحيد صبحي، الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحسّ ،

القاهرة : منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط ، 1999.

45- مراد ،يوسف ، مبادئ علم النفس العام ،ط7، القاهرة : دار المعارف 1978.

46- ملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر، ط2، بيروت : دار النهضة 1962.

47- المناوي، محمد عبد الرؤوف ، التوقيف على مهارات التعاريف ، تحقيق محمد

رضوان الداية ، ط1 ،دمشق : دار الفكر ، 1410هـ.

48- مندور، محمد، الأدب وفنونه، د.ط، د.ت ، القاهرة: دار نهضة مصر.

49- موسى، ابراهيم نمر، شعر الحرب في العصر الأيوبي، ط1 فلسطين: دار البيرق

للنشر والتوزيع، 2007.

50- النويهي، محمد، قضية الشعر الجديد، ط2، بيروت: دار الفكر الحديث للطباعة

والنشر ، د.ت.

51- هلال ، محمد، النقد الأدبي الحديث ، ط3، القاهرة : مطابع الشعب 1964.

### الدوريات:

1- ابراهيم، لطفية، بلاغة الحنين في قصيدة(زارني طيف الخيال فهاجني للمعري)،

القاهرة، مجلة التراث، العدد115، 2008.

2- بدوي، عبده، الغربة المكانية في الشعر العربي، الكويت ،مجلة عالم الفكر ، م 15،

العدد 1، 1984م.

3- جابر عصفور ، الاستطراف والبراعة الشعرية ، الكويت ، مجلة العربي ،وزارة

الاعلام الكويتية العدد 506 يناير 2001.

4- فلفل ،محمد : بنية اللغة الشعرية بين القديم والحديث ، دمشق ، مجلة الموقف الأدبي

مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد 361 ايار 2001

### الرسائل الجامعية:

1- الخليلي، مها روعي ، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي عصر سيادة غرناطة،

رسالة ماجستير، جامعة النجاح، 2007م (غير منشورة)

2- الرجبي، عبد المنعم حافظ: الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر

الأموي. دكتوراه، جامعة القاهرة، 1979م.

3- سعيد ،ميسر حميد ، سراج الدين الوراق ، حياته وشعره، رسالة ماجستير،جامعة

أم القرى ، 1982.

4- قباجة، عبد المنعم : الغربة والحنين في شعر العصر العباسي الثاني ،رسالة

ماجستير، جامعة الخليل، 2008م (غير منشورة)

5- النجادي، موسى : وصف الطبيعة في العصر المملوكي الأول ،رسالة

ماجستير،جامعة

الخليل، 2006م

### الإنترنت :

1- قاوي، عبد الحميد : الصورة الشعرية بين النظرية والتطبيق ،رسالة

ماجستير ([www.pdfshare.com/up/index.php](http://www.pdfshare.com/up/index.php))

2- موصّل : ســــعد : موســــوعة العــــروض والقافيــــة

(<http://up.ahlalalm.net/ccfiles/k0v70473.rar>)

## فهرس المحتويات

الصف	الموضوع
	إجازة الرسالة
ب	الإقرار
ت	الإهداء
ث	الشكر
ج-ز	ملخص بالعربية



خ-1	ملخص بالانجليزية
ذ-1	المقدمة
1-4	مدخل إلى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في العصر المملوكي الأول
15-7	أ) الحنين لغة واصطلاحاً
18-2	ب) الحنين على مرّ العصور
23-3	ج) أسباب الحنين ودواعيه
24	الفصل الأول : موضوعات شعر الحنين
25-1	المبحث الأول : الحنين إلى الأوطان
42	المبحث الثاني : الحنين إلى الأهل والأصدقاء
43-4	1- الحنين إلى الأهل
44-5	2- الحنين إلى الأب
46-7	3- الحنين إلى الابن
47-0	4- الحنين إلى الأصدقاء
51-3	المبحث الثالث : الحنين إلى المحبوبة
59	المبحث الرابع : أنواع أخرى من الحنين
60-5	أ- الحنين إلى الماضي
67-3	ب- الحنين إلى الديار المقدسة
68-2	1- الحنين إلى الحجاز
73-4	2- الحنين

	إلى القُدس
75-82	ت - الحنين إلى الطعام
83-84	ث- الحنين إلى الملابس
84-85	ج- الحنين إلى الحيوانات
7-86	الفصل الثاني : مثيرات وبواعث شعر الحنين
83-88	المبحث الأول : البرق
94-100	المبحث الثاني : النسب اليم
101-106	المبحث الثالث : الحمم الأم
107-111	المبحث الرابع : الدم الوع
112-113	الفصل الثالث : الدراسة الفنية
114-128	المبحث الأول: بناء القصيدة (أ- المطلع ب- حسن التخلص ج- الخاتمة) د- وحدة القصيدة
128	المبحث الثاني : اللغة والأسلوب وب
129-137	1- اللغة
138-149	2- الأسلوب (أ- الاقتباس ب- التضمين ج- الأساليب الإنشائية)
150-159	المبحث الثالث : الصورة الشعرية ، الصورة الانفعالية

160 66	المبحث الرابع : المحسنات البديعية (الطباق ، الجناس)
167 76	المبحث الخامس : الموسيقى _____ قا
167 76	1- الموسيقى الخارجية (أ- الوزن ب- القافية )
177 83	2- الموسيقى الداخلية ( 1- التصريع 2- التكرار )
184 85	ال_____ أ_____ م_____ ة
186 97	ال_____ مصر_____ ادروال_____ راج_____ ع
198 99	ف_____ هرس ال_____ و_____ ضوع_____ ات